

أشعار الشعراء الستة الجاهليين

الأعلم الشنتمري

## امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المتوفي عام 560م - 80 ق.هـ

### ترجمة الشاعر

1 - هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر. وهو من قبيلة كندة. وكندة قبيلة يمنية، كانت تسكن قبل الإسلام غربي حضرموت؛ وكانت على اتصال بالحميريين. وفي عهد حسان بن تبع ملك حمير كان حجر بن عمرو سيد كندة في حاشية حسان. وقد فتح حسان فتوحاً كثيرة في جزيرة العرب، فولى حجراً بعض قبائلها ودانت كلها لحجر الكندي؛ كما دان حجر بالولاء لحمير، ونزل حجر نجداً؛ وكان اللخميون ملوك الحيرة قد بسطوا نفوذهم على تلك البلاد؛ وخاصة بلاد بكر بن وائل؛ فحارب حجر اللخمين وأزال نفوذهم. وفي عهد الحارث بن عمرو بن حجر اتسع سلطان كندة؛ واتصل الحارث بقباز ملك الفرس فولاه الحيرة مكان اللخمين؛ ونشر نفوذه - وسط الجزيرة - على كثير من قبائل العرب؛ وفرق الملك في أبنائه الأربعة: فولى ابنه حجراً "أبا امرئ القيس" بني أسد؛ وابنه شرحبيل بكر بن وائل؛ وابنه معد يكرب قبيلة قيس وكنانة وابنه سلمة قبيلتي تغلب والنمر بن قاسط. ولكن هذا النفوذ لم يدم طويلاً؛ فقد عاد اللخميون إلى نفوذهم في الحيرة وقربهم من ملك فارس؛ ودسوا الدسائس لأولاد الحارث فقتل سلمة وشرحبيل وتنكر بنو أسد لحجر؛ ونبذوا طاعته؛ وأمسكوا عن دفع الأتاوة له. واستعان حجر بجند من ربيعة وأعمل في بني أسد السيف؛ واستباح أموالهم؛ وحبس أسرافهم؛ ومنهم عبيد بن الأبرص الشاعر؛ ثم رق لهم وأطلق سراحهم فحقدوا عليه واغتالوه. وفي أخبار الرومان أن حجراً وأخاه معد يكرب قاما ببعض غزوات على حدود المملكة البيزنطية من أواخر القرن الخامس الميلادي. وعموت حجر تضععت سلطة كندة.

2 - نشأ امرؤ القيس في بيت ملك واسع الجاه، وكان من صباح ذكياً متوقد الذهن فلما ترعرع أخذ يقول الشعر ويصور به عواطفه وأحلامه. نشأ نشأت ترف؛ يحب اللهو ويشيب بالنساء ويقول في ذلك الشعر الماجن. فطرده أبوه وآلى ألا يقيم معه فكان يسير في أحياء العرب، ومعه طائفة من شباب القبائل الأخرى؛ كطيئع وكتب، وبكر بن وائل، يجتمعون على الشراب والغناء عند روضة أو غدير، ويخرج هو

للصيد فيصيد ويطعمهم من صيده. وظل كذلك حتى جاءه نعي أبيه وهو بدمون "قرية بالشام وقيل في اليمن"، فرووا أنه قال: "ضيعني أبي صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمراً، وغداً أمراً".

رحل امرؤ القيس يستنصر القبائل للأخذ بثأر أبيه من بني أسد فاستنجد بقبيلتي بكر وتغلب فأعانوه وأوقعوا ببني أسد؛ وقتلوا منهم، واكتفت بكر وتغلب بذلك وقالوا له قد أصبت ثأرك وتركوه. ولكن امرؤ القيس كان يريد التنكيل ببني أسد ويحاول أن يعيد لنفسه ملك أبيه، فلم يقنعه ما فعلت بكر وتغلب، فذهب إلى أهله باليمن يستنصرهم، فأعانوه بجنود ذهب بهم إلى بني أسد، ولكن ملك الحيرة أخذ يؤلب عليه ويدس الدسائس له حتى فشل.. وظل شريداً ينتقل بين أمراء العرب حتى نزل أخيراً على السموعل بتيماء فأجاره. وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث - أمير الغساسنة بالشام - ليوصله إلى قيصر ملك الرومان ويمهد لامرئ القيس السبيل للسفر إلى القسطنطينية؛ يطلب المعونة منه ليعيد ملكه فأجاب السموعل طلبه فأودعه امرؤ القيس امرأته ودروعاً له كان يتوارثها ملوك كندة، ورحل إلى قيصر. وكان ذلك في عهد القيصر "يوستينيانوس".

ويرى أن القيصر أحسن وفادته، وكان السبب في ذلك - على ما يظهر - أن امرأ القيس كان طريد اللخمين في الحيرة، وأمراء الحيرة في كنف الفرس. والفرس أعداء الروم. فلعل "يوستينيانوس" أراد أن يعينه ويجعل منه ومن أعوانه جيشاً ينتقم بهم من أمراء الحيرة، ويصطنعه كما اصطنع غساسنة الشام. وقد ذكر بعض مؤرخي الرومان خبر رحلته إلى القسطنطينية، وسموه "قيساً" لا امرأ القيس، وذكروا أن القيصر وعده بإعادة ملكه ثم ولاه فلسطين، ولكن هذا لم يرض امرأ القيس ففقل راجعاً. ولكن مؤرخي العرب يروون أن القيصر قبل وفادته وضم إليه جيشاً وفيهم جماعة من أبناء الملك؛ وأن قوماً من أصحاب قيصر قالوا له: "إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه".

وآخرون يروون أن بعض العرب ممن كان مع امرئ القيس ذكروا للقيصر أن امرأ القيس قال لقومه إنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، فأرسل قيصر إليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده؛ ومن أجل هذا سمي "ذا القروح" ومات بأنقرة وهو عائد من القسطنطينية. والظاهر أن امرأ القيس أصيب أثناء عودته بمرض جلدي سبب له قروحاً.

كان دين امرئ القيس الوثنية وكان غير مخلص لها. فقد روي أنه لما خرج للأخذ بثأر أبيه مر بصنم للعرب تعظمه يقال له ذو خلصة. فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الأمر والناهي والمتربص. فأجالها فخرج الناهي. فعل ذلك ثلاثاً فجمعها وكسرها. وضرب بها وجه الصنم. وقال: "لو كان أبوك قتل ما عقتني".

وكان امرؤ القيس يلقب بالملك الضليل؛ وبذي القروح؛ لما أصيب به في مرضه على ما ذكرناه.

- 3 -

### ألوان من حياة امرئ القيس

كان حجر في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة فغبر ذلك دهرًا، ثم بعث إليهم جاييه الذي كان يجيهم؛ فمنعوه ذلك - وحجر يومئذ بتهمته - وضربوا رسله؛ وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً.

فبلغ ذلك حجراً، فسار إليهم بجند من ربيعة وقبس وكنانة. فأتاهم وأخذ سراهم. فجعل يقتلهم بالعصا. وأباح الأموال؛ وصيرهم إلى تامة؛ وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبداً؛ وحبس منهم عمرو بن مسعود الأَسدي، وكان سيدياً؛ وعبيد بن الأبرص الشاعر؛ فسارت بنو أسد ثلاثاً.

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي من بني	أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والن	عم المؤبل والمدامة
وذوي الجياد الجرد والأ	سل المتقفلة المقامة
حلا أبيت اللعن حلا	إن فيما قلت آمة
في كل واد بين يث	رب فالقصور إلى اليمامة
تطريب عان أو صيا	ح محرق أو صوت هامة
ومنعتهم نجداً فقد	حلو على وجل تهامة
برمت بنو أسد كما	برمت ببيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من	نشم وآخر من تامة
إما تركت عف	وأ أو قتلت فلا ملامة
أنت المليك عليهم	وهم العبيد إلى القيامة
ذلوا لسوطك مثل ما	ذل الأشيقر ذو الخزامة

فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تامة تكهن كاهنهم فقال لبني أسد: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأفها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب؟ هذا دمه ينثعب وهذا غداً أول من يسلب.

قالوا: من هو؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية؛ لأخبرتكم أنه حجر ضاحية.  
فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته، وهزموا  
أصحابه وأسروه فحبسوه، وتشاور القوم على قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا  
رأيهم فيه: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم.  
فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله، فلما رأى ذلك علباء بن الحارث الكاهلي خشي أن يتواكلوا في  
قتله، فدعا غلاماً من بني كاهل - وكان ابن أخته - فقال: يا بني، أعندك خير فتأثر بأبيك، وتنال شرف  
الدهر، وإن قومك لن يقتلوك؟!.  
فلم يزل بالغلام حتى حربه، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: ادخل عليه مع قومك، ثم اطعنه في  
مقتله.

فعمد الغلام إلى الحديد فخبأها، ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها.  
فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله؛ فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل: نأرنا وفي أيدينا!  
فقال الغلام: إنما تأرت بأبي، فخلوا عنه.  
وأقبل كاهنهم المزدرج فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، وذل دهر، أما والله لا تحظون عند الملوك  
بعده أبداً.

ولما طعن الغلام حجراً ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع. وكان  
أكبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه؛ واستقرهم واحداً واحداً؛ حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم  
- فأيهم لم يجزع؛ فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي، وبين في وصيته من قتله؛ وكيف كان  
خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب فوضعه على رأسه؛ ثم استقراهم واحداً واحداً، فكلهم  
فعل ذلك؛ حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر، فلم  
يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس، اضرب فضرب، حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأسد  
عليك دستك.

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره؛ فقال الخمر علي والنساء حرام، حتى أقل من بني أسد مائة  
وأجز نواصي مائة.

وكان امرؤ القيس قد طرده أبو حجر، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من  
ذلك - فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب: من طيئ وكلب وبكر بن وائل، فإذا  
صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم؛ وخرج للصيد فتصيد فأكل

وأكلوا معه. وشرب الخمر وسقاهم. وغنته قيانه.  
ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير. ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من  
أرض اليمن. فقال:

**دمون إنا معشر يمانون**

**تطاول الليل على دمون**

**وإننا لأهلنا محبون**

ثم قال: ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً. لا صحو اليوم؛ ولا سكر غداً، "اليوم خمر، وغداً أمر". ثم قال:

**خليلي لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب .**

وقدم على امرئ القيس بن حجر الكندي بعد مقتل أبيه رجالات من بني أسد، فيهم المهاجر بن خدش؛  
وعبيد بن الأبرص، وقبيصة بن نعيم - وكان رجلاً مقيماً في بني أسد ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً  
وإصداراً، يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب.

فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم، وتقدم في إكرامهم والإفضال عليهم. واحتجب عنهم ثلاثاً.  
فقالوا لمن ببابه من رجال كندة: ما بال الرجل لا يخرج إلينا؟ ف قيل لهم: هو في شغل بإخراج ما في خزائن  
حجر من العدة والسلاح! فقالوا: اللهم غفرا! إنما قدمنا في أمر تناسى به ذكر ما سلف. ونستدرك به ما  
فرط. فليبلغ ذلك عنا.

فخرج إليهم بعد ثلاث في قباء وخف غمامة سوداء - وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في التراث -  
فلما رأوه نهضوا له. وبدر إليه قبيصة فقال: إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر. وما تحدثه أيامه  
وتنقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ. ولا تذكرة مجرب. ولك من سؤدد منصبك، وشرف  
أعراقك، وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، والرجوع عن الهفوة ولا  
تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما  
يطول رغباتها ويستغرق طلباتها.

وقد كان الذي كان من الخطب الجليل، الذي عمت رزيته نزاراً واليمن. ولم تخصص به كندة دوننا  
للشرف البارع الذي كان لحجر، ولولا كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على  
مثله ببذل ذلك، ولفديناه منه. ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه.  
فأحمد الحالات في ذلك: أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث إما أن اخترت من بني أسد  
أشرفها بيتاً وأعمالها في بناء المكرمات صوتاً فقدناه إليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بياقي  
قصرته. فيقال: رجل امتحن بملك عزيز عليه. فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام أو فداء بما يروح

على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة وكان ذلك فداء ترجع به القضب إلى أجفائها لم يردده تسليط الإحن على البراء وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فتسدل الأزر وتعقد الخمر فوق الرايات. فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع طرفه إليهم فقال قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم وأني لن أعتاض به ناقة أو جملاً فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها وإني لن أكون لعطبها سبياً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا.

### تصافح فيه المنايا النفوسا

### إذا جالت الخيل في مآزق

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار للحرب وبليّة، ومكروه وأذية. ثم نهضوا عنه وقيصة يقول متمثلاً:

### كتائبنا في مآزق الموت تمطر

### لعلك أن تستوخم الموت إن غدت

فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه ولكن أستعذبه فرويداً ينكشف لك دجهاها عن فرسان كندة وكتائب حمير. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي، إذ كنت نازلاً بربيعي، ومتحرماً بذيمامي، ولكنك قلت فأجبت.

قال قيصة: إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: هو ذاك!.

ثم شرب امرؤ القيس سبعا، فلما صحا آلى ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يصب امرأة حتى يدرك بثأره، فلما جنه الليل رأى برقاً فقال:

### يضيء سناه بأعلى الجبل

### أرقت لبرق بليل أهل

### بأمر تززع منه القل

### أتاني حديث فكذبتة

### ألا كل شيء سواه جل

### بقتل بني أسد ربهم

### وأين تميم وأين الخول

### فأين ربيعة عن ربها

### كما يحضرون إذا ما أكل

### ألا يحضرون لدى بابيه

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرأ وتغلب، فسألهم النصر، وبعث العيون على بني أسد، فلما كان الليل قال لهم علماء: يا معشر بني أسد، تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم، ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع

السلاح فيهم، وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام. فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن! لسنا لك بثأر، ونحن من كنانة فدونك تأرك فاطلبهم؛ فإن القوم ساروا بالأمس. فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك؛ فقال:

ألا يا لهف هند إثر قوم  
وقاهم جدهم ببني أبيهم  
وأفلتهن علباء جريضا  
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا  
وبالأسقين ما كان العقاب  
ولو أدركنه صفر الوطاب

وأدركهم ظهراً، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون على الماء؛ فنهد إليهم فقالتهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم؛ وقالوا له: لقد أصبت تأرك. قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتالهم، وانصرفوا عنه، فمضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير. فاستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد، ومر بتبالة وبها صنم للعرب تعظمه، فاستقسم عنده بقداحة، وهي ثلاثة: الأمر، والناهي، والتربص. فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها فكسرهما وضرب بها وجه الصنم وقال: لو أبوك قتل ما عقتني، ثم خرج فظفر ببني أسد. وألح المنذر في طلب امرئ القيس، ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ، وأمه أنو شروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة؛ وتفرقت حمير ومن كان معه عنه، فنجوا في عصبه من بني آكل المرار؛ ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجير بهم وصار يتحول عنهم إلى غيرهم؛ حتى نزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار، حتى يرى ذات عيبه.

فقال له الفزاري: يا بن حجر؛ إني أراك في خلل من قومك؛ وأنا أنفس بمثلك من أجل الشرف؛ وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيبى؛ وأهل البادية أهل وبر؛ لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس، أفلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصر، وجئت النعمان، فلم أر لضيف نازل ولا لمجند مثله ولا مثل صاحبه.

قال: من هو؟ وأين منزله؟ قال: السموعل بتيماء، هو يمنع ضعفك حتى ترى عيبك، وهو في حصن حصين وحسب كبير.

فقال له امرؤ القيس: وكيف لي به؟ قال أو صلك إلى من يوصلك إليه.

فصحه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري من يأتي السموع فيحمله ويعطيه.  
فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموع يعجبه الشعر؛ فتعال نتناشد له أشعاراً؛ فقال امرؤ القيس: قل  
حتى أقول. فقال الربيع:

قل للمنية أي حين نلتقي      بفناء بيتك في الحضيض المزلق  
ولقد أتيت بني المصاص مفاخراً      وإلى السموع زرتته بالأبلق  
فأتيت أفضل من تحمل حاجة      إن جنثه في غارم أو مرهق  
عرفت له الأفرام كل فضيلة      وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنب      وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

ثم مضى القوم حتى قدموا إلى السموع فأنشدوه الشعر؛ وعرف لهم حقهم؛ ثم إنه طلب إليه أن يكتب له  
إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر. ومضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله وأكرمه؛ وكانت له  
عنده منزلة.

ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً؛ فيه جماعة من أبناء الملوك، فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن  
العرب قوم غدر، ولا تأمن أن يظفر بما يريد؛ ثم يغزوك بمن بعثت معه.  
فبعث إليه حينئذ بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب، وقال له إني أرسلت إليك بحلتي كنت ألبسها  
تكرمة لك؛ فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إلي بخبرك من منزل إلى منزل.  
فلما وصلت إليه لبسها، واشتد سروره بها، فأسرع فيه السم وسقط جلده، فقال:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه      ليلبسني مما يلبس أبوسا  
فلو أنها نفس تموت سوية      ولكنها نفس تساقط أنفسا

ويروى أن امرأ القيس آلى بألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين؛ فجعل يخطب  
النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر.

فبينما هو يسير في جوف الليل إذ هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كائنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته؛ فقال لها:  
يا جارية! ما ثمانية وأربعة واثنتان؟ فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة؛ وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنتان  
فتديا المرأة.

فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك،

وأن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس، ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة، وأهدى إليها نخباً من سمن ونخباً من عسل وحلة من عصب، فترى العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بعشرة فانشقت؛ وفتح النخبين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها، فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يرعى الشمس؛ وأن سماءكم انشقت، وأن وعاءكم نضبا.

فقدم الغلام على مولاة فأخبره. فقال: أما قولها: إن أبي ذهب يقرب بعيداً ويعد قريباً، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه. وأما قولها: ذهبت أمي تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نساء. وأما قولها: إن أخي يرعى الشمس، فإن أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. وأما قولها: إن سماءكم انشقت؛ فإن البرد الذي بعثت به انشق. وأما قولها: إن وعاءكم نضبا؛ فإن النخبين الذين بعثت بهما نقصا فاصدقني!

فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني من نسي فأخبرهم أني ابن عمك، ونشرت الحلة فانشقت، وفتحت النخبين فأطعمت منها أهل الماء. فقال: أولى لك!. ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام، فترلا متزلاً، فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى أهل المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذبها، ففعلوا فأكل ما أطعموه، فقالت: اسقوه لبناً حازراً، فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له فنام.

فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك، فقال: سلي عما شئت، فسألته فلم يعجبها جوابه، فقالت: عليكم العبد فشدوا أيديكم به؛ ففعلوا.

قال: ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيه، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته، فقال لها: قد جاء زوجك! فقالت: والله ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء! وأبي أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً حازراً؛ فأبى أن يشربه وقال: فأين الصريف والرثعة؟ فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التلعة الحمراء، واضربوا عليها خباء.. ثم أرسلت إليه: هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاثة فأرسل إليها أن سلي عما شئت. فسألته، فأعجبها جوابه فقالت: هذا زوجي لعمركم؛ عليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية.

## شعر امرئ القيس

امرؤ القيس أسبق شعراء العربية إلى ابتداع المعاني والتعبير عنها، افتتح أبواباً من الشعر ووفق إلى تشبيهات وطوق موضوعات لم يسبق إليها. ففتح باب الغزل وأطال الوصف، وأمعن فيه، وأبدع تصويره هذا إلى لفظ جزل موجز. وسبك محكم يتخلله مثل مرسل، وحكمة بالغة. وكان شعره مرآة لحياته، وتاريخ قومه. فقد ذكرنا أنه كان لاهياً مولعاً بالشراب. فكذلك كان شعره في شبابه صورة لحياته.

بمثل شعره حياته وترفه في بدء شبابه. فقد كان يخرج إلى الصيد بالطهارة يطهون له ولصحبه ما يصيد:

وظل طهارة اللحم ما بين منضج      صفيف شواه أو قدير معجل

حتى إذا انتهت حياة اللهو والترف وحمل عبء أبيه كان شعره صورة لآماله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة      كفاني، ولم أطلب، قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل      وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وهو يصف حزنه على أبيه. وتهديده لقتلته بني أسد:

تطاول ليالك بالأثمد      ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة      كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاعني      وخبرته عن أبي الأسود

ولو عن نثا غيره جاعني      وجرح اللسان كجرح اليد

لقلت من القول ما لايزا      ل يؤثر عني يد المسند

فإن تدفنوا الداء لا نخفه      وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وإن تقتلونا نقتلكمو      وإن تقصدوا لدم نقصد

وأعددت للحرب وثابة      جواد المحثة والمروود

وهو يتردد في القبائل يتصرخها، يمدح من نصره، ويذم من خذله، فيمدح سعد بن ضباب الإيادي. وكان قد نزل به فأجده:

سأشكرك الذي دافعت عني      وما يجزيك مني غير شكري

فما جاء بأوثق منك جاراً      ونصرك للفريد أعز نصر

ويهبجو سبيع بن عوف :

أبلغ سبيعاً إن عرضت رسالة  
أقصر إليك من الوغيد فإنني  
ثم هو يذهب إلى قيصر فيصف ذلك في شعره:  
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه  
فقلت له لا تبك عينك إنما  
وهكذا كان شعره صورة لما روي من حياته.  
وأشهر شعره معلقته، ومطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
وتقع في واحد وثمانين بيتاً. وقد نظمها في أيام شبابه ولهوه وموضوعها الغزل في بنت عمه عزيزة.  
وله مطولات أخرى ذكرت في ديوانه وهو على كل حال قد امتاز بجودة الوصف، ولاسيما النساء  
والفرس والصيد. كما امتاز بكثرة متشبيهه المبكر فشبه النساء بالطباء والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي  
إلى كثير من أمثال ذلك. وقل أن ترى له أبياتاً حلت من التشبيه. وكان لرحلاته الكثيرة إلى الشام واليمن  
وغيرهما أثر في سعة خياله وحسن تصويره واستعماله ألفاظاً جديدة، فشبه في معلقته إشراق محبوبته  
بسراج الراهب، وحسن تصويره، وشبه تراثبها "وهي موضع القلادة منها" بالسجنجل "وهي كلمة رومية  
معناها المرأة"، وهكذا.  
وأورث امرؤ القيس الأدب العربي أبياناً كثيرة يتمثل بها كقوله: "وحسبك من غنى شيع وري"، وقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى  
رضيت من الغنيمة بالإياب  
وقوله:

بنو أسد قتلوا ربهم  
ألا كل شيء سواه الجلل  
وقوله:

وإنك لم يفخر عليك كفاخر  
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب  
وقوله:

كذلك جدى لا أصحاب صاحباً  
من الناس إلا خائني وتغيرا

وديوان امرئ القيس مشروح عدة شروح وطبع في باريس ومصر. وجمع أشعار امرئ القيس عدة من العلماء، وطبع ديوانه العلامة دي ستان في باريس سنة 1828 مع ترجمة لاتينية. وجمع الأب لويس شيخو اليسوعي أهم أخبار وأشعار امرئ القيس من كتب عديدة وسردها في كتابه المعروف بشعراء النصرانية المطبوع في بيروت سنة 1890.

ويعد امرؤ القيس أفحل شعراء الجاهلية وإمامهم ويقولون إنه كان أول من ابتداء في شعره بذكر طول محبوبته وباليقين في الأوصاف حتى إنه بلغ في ذلك مبلغاً عظيماً وأنه طبع في كل قصيدة من قصائده صوراً كثيرة من حياة البدو أنشدتها على نسق واحد بديع مقبول فإن تشبيهات واستعاراته حسنة جداً ولم يصل أحد إلى ما وصل إليه امرؤ القيس في المديح والهجو وأحسن صنعة في شعره هو وصفه جواده، فليس له في ذلك مثيل، ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب والنابعة إذا رهب وزهير إذا رغب وهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على أنهم أشعر شعراء العرب: امرؤ القيس والنابعة وزهير والأعشى واختلفوا في أيهم أشعر وأحسن ديباجة شعر والأكثر على أنه امرؤ القيس. قال لبيد: أشعر الناس ذو القروح. وقال الفرزدق: كان الشعر جملاً فنحر فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه. وقال جرير: اتخذ الخبيث الشعر نعين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس: إنه يقدم بلواء الشعر إلى النار. وقال علي بن أبي طالب: رأيت امرأ القيس أحسن الشعراء نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة. وقد أجاد امرؤ القيس في الغزل والوصف ووصف الخيل والصيد وتشبيه النساء بالطباء والمها إلى غير ذلك مما ابتكره من معان واهتدى إليه من أغراض. وله أبيات وقصائد غير صحيحة النسبة إليه وينكر بعض الرواة أبياته في معلقته:

على كاهل مني ذلول مرحل

وقربة قوم قد جعلت عصامها

إلى آخر هذه الأبيات.

### آراء النقاد في شعره

أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ووقعوا على غيرهما ومكثوا ثلاثاً لا يجدون الماء، ثم أقبل راكب فسمع بعضهم ينشد:

وأن البياض من فرائصها دامي

ولما رأت أن الشريعة همها

يفيء عليها الظل عر مضها طامي

تيممت العين التي عند ضارج

فقال: من يقول هذا؟ قيل امرؤ القيس. قال: والله ما كذب هذا عارض عندكم. وأشار لهم إليه فوصلوه فإذا ماء عذب وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه فشربوا منه وحملوا ولما أتوا النبي قالوا يا رسول الله أحيانا الله عز وجل بيّتين من شعر امرئ القيس وأنشدوهما. فقال صلى الله عليه وسلم: "ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها متسي في الآخرة حامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعر إلى النار". وسأل العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطاب عن الشعراء، فقال امرؤ القيس سابقهم حسف لهم عين الشعر فافتقر من معان عور أصح بصر.

وقال علي بن أبي طالب: "رأيت امرأ القيس أحسن الشعراء نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا رهبة".

ومر لبيد بالكوفة على مجلس وهو يتوكأ على محجن له فسأله عن أشعر العرب فقال: الملك الضليل ذو القروح.

وسئل جرير رأيه في امرئ القيس فقال: "اتخذ الحبيث الشعر نعلين"، وهذا رأي يمثل اقتدار امرئ القيس على الشعر وشدة تمكنه منه.

وقيل للفرزدق من أشعر الناس يا أبا فراس؟ فقال: ذو القروح. قيل حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

**وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب**

وقال ابن يحيى: سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون: "أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول: "ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي"؛ وحيث يقول: "ففا نبك من ذكرى حبيب ومترل"؛ وفي الإسلام القطامي حيث يقول: "إنا محيوك فاسلم أيها الطلل"؛ ومن المحدثين بشار حيث يقول:

**أبي طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما**

وقال بشار: لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

**كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي**

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حتى قلت:

**كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه**

وكان أبو عبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي يقول: أنسب بيت قالته العرب قول امرئ القيس:

**وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل**

وقال حماد بن إسحق قال لي أبو ربيعة لو لم تكن هذه القصيدة "بزيب ألمم" لنصيب؛ شعر من كانت

تشبه؟ قلت: شعر امرئ القيس "لأنها جزلة الكلام جيدة. فقال: سبحان الله قلت: ما شأنك؟ قال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت " فعجبت من اتفاقكما.

وفي أسطورة أدبية رواها صاحب الجمهرة سئل جني من أشعر العرب؟ فقال:

**ذهب ابن حجر بالقريض وقوله** **ولقد أجاب فما يعاب زياد**

ويقول الآمدي: "وفضل امرؤ القيس لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة؛ فوق ما استعار سائر الشعراء منه في الجاهلية والإسلام. ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه. ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصا وذكر الوحش والطيور وأول من قال قيد الأوابد الخ. فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه.

ومن آثار شعر الطبيعة عند امرئ القيس وصفه الجميل الرائع لليل وطوله:

**وليل كموج البحر أرخى سدوله** **علي بأنواع الهموم ليبتلي**

**فقلت له لما تمطى بصلبه** **وأردف أعجازاً وناء بكل كل**

**ألا أيها الليل الطويل ألا انحلي** **بصبح وما الأصباح منك بأمثل**

**فيا لك من ليل كأن نجومه** **بكل مغار الفتل شدت يبذبل**

والقارئ يقف أمام هذه القطعة الفنية الجميلة متأملاً معجباً مشدوهاً من روعة البيان وجمال التصوير ورقة التعبير وقوة التأثير ومن هذه الشخصية الفنية الكاملة التي تبرز من هذه الأبيات في وضوح وقوة وجمال. الليل رهيب، ظلماته كالموج، اللجج؛ وقد أقبل على الشاعر، فأثار في نفسه الذكريات، وهاج كوامن الأحزان وبعث الهموم من مرقدها، وترك النفس موزعة حيرى مفزعة.

واستمرت صور الماضي وأحداث الحاضر تتراءى أمام عينيه يتذكرها ويذكرها، يتذكر حياته اللاهية العابثة في صباح، وهذه الآمال والآلام التي تعتلج في صدره وذكريات الحب والأحباب المؤثرة الباقية. وطال الليل على الشاعر وطال، وامتد وامتد، فرسم لطوله هذه الصورة البارعة التي تجدها في البيت الثاني، فكأنه يتمطى بصلبه، وكأن أعجازه وأواخره يردف بعضها بعضاً، وكأنه يقع بصدره على المهمومين والحزونين ليوسعهم ألماً وشقاء.

ويتمنى الشاعر أن يذهب الليل بظلمته ورهيبته؛ وأن يشرق الصبح بضوئه وجماله ولكنه يعود فيتذكر أن أحزانه كامنة في نفسه فلن يسري عنها إشراق الصباح ولا ضجيج الحياة في أول النهار. وتستمر الصور والذكريات تطوف بخيال الشاعر وأمام عينيه اليقظتين والليل كما هو لم يذهب ولم يطلع

الصباح الجميل، وكأنه لا يريد أن يذهب بل كأنه مشدود بحبال قوية شدت بصخرة من صخور هذا الجبل الغليظ.

صور جميلة لا يعدل جماها جمال، وخيال يقظ مشوب لا يماثله في استنباط دقائق التصوير خيال. وهكذا كان امرؤ القيس وبحق ما كان زعيم الشعراء في الجاهلية. ويرى الأصمعي أن أحسن الناس تشبيهاً امرؤ القيس في قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا      لدى وكرها العناب والحشف البالي  
وفي قوله:

كأن عيون الوحش حول خبائنا      وأرحلنا الجزع الذي لم يتقرب  
وفي قوله:

ولو عن نثا غيره جاءني      وجرح اللسان كجرح اليد  
وفي قوله:

سموت إليها بعدما نام أهلها      سمو حباب الماء حالاً على حال  
وأن أبدع تشبيهاته قوله يصف فرساً:

كأن تشوفه بالضحي      تشوف أزرق ذي مخلب  
إذا قرعته جلال له      تقول سلبت ولم تسلب  
فقال الرشيد للأصمعي: هذا حسن؛ وأحسن منه قوله:

فرحنا بكابن الماء يجنب وسطنا      تصوب فيه العين طوراً وترتقي  
واجتمع عبيد الأبرص وامرؤ القيس يوماً فقال عبيد: كيف معرفتك بالأوابد؟ فقال قل ما شئت تجدي كما أحببت. فقال عبيد:

ما حية ميتة قامت بميتتها      درداء ما أنبتت ناباً وأضراسا  
فقال امرؤ القيس:

تلك الشعير تسقى في سناها      قد أخرجت بعد طول المكث أكداسا  
فقال عبيد:

ما السرود والبيض والأسماء واحدة      لا يستطيع لهن الناس تمساسا  
فقال امرؤ القيس:

تلك السحائب والرحمن أنشأها  
فقال عبيد:  
روى بها من محول الأبيض ألباسا

ما مرتجات على هول مراكبها  
فقال امرؤ القيس:  
يقطعن بعد المدى سيرا وأمراسا

تلك النجوم إذا حانت مطالعها  
فقال عبيد:  
شبهتها في سواد الليل أقباسا

ما القاطعات لأرض لا أنيس بها  
فقال امرؤ القيس:  
تأتي سراعاً وما يرجعن أنكاسا

تلك الرياح إذا هبت عواصفها  
فقال عبيد:  
كفى بأذيالها للترب كناسا

ما الفاجعات جهاراً في علانية  
فقال امرؤ القيس:  
أشد من فيلق ملمومة باسا

تلك المنايا فما يبقين من أحد  
فقال عبيد:  
يأخذن حمقاً وما يبقين أكياسا

ما السابقات سراع الطير في مهل  
فقال امرؤ القيس:  
لا يشتكين ولو طال المدى باسا

تلك الجياد عليها القوم مذ نتجت  
فقال عبيد:  
كانوا لهن غداة الروع أحلاسا

ما القاطعات لأرض الجو في طلق  
فقال امرؤ القيس:  
قبل الصباح وما يسوين قرطاسا

تلك الأماني يتركن الفتى ملكا  
فقال عبيد:  
دون السماء ولم ترفع له راسا

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر  
فقال امرؤ القيس:  
ولا لسان فصيح يعجب الناسا

تلك الموازين والرحمن أرسلها  
رب البرية بين الناس مقياسا

ومما يتصل بشعر امرئ القيس ما يروى من أنه وصل إلى حضرة سيف الدولة رجل من أهل بغداد، وكان ينقر العلماء والشعراء بما لم يدفعه الخصم ولا ينكره الوهم. فتلقاه سيف الدولة باليمن، وأعجب به إعجاباً شديداً، فقال يوماً: أخطأ امرؤ القيس في قوله:

كأنني لم أركب جواد اللذة  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل  
وهذا معدول عن وجهه ولاشك فيه.  
فقليل: وكيف ذلك؟ قال إنما سبيله أن يقول:

كأنني لم أركب جواداً ولم أقل  
ولم أسبأ الزق الروى للذة  
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال  
لخيلي كرى كرة بعد إجمال

فيقترن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله، ويقترن ذكر الشراب واللهو بالنساء؛ ويكون قوله "للذة" في الشرب أطبع منه في الركوب! فبهت الحاضرون، واهتز سيف الدولة، وقال: هذا النهدي وحق أبي!. فقال له بعض الحاضرين من العلماء: أنت أخطأت وطعنت في القرآن إن كنت تعمدت!. فقال سيف الدولة: وكيف ذلك؟ فقال: قال الله تعالى: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى"، وعلى قياسه يجب أن يكون: إن لك أن تجوع فيها ولا تظمأ ولا تعرى فيها ولا تضحى! وإنما عطفه امرؤ القيس بالواو التي لا توجب تعقيماً، ولا ترتب.. فحجل وانقطع!.

### شرح المختار من شعر امرئ القيس

1 - قال امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من معلقته المشهورة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
لتوضح فالمقراة لم يعف رسمها  
تري بعز الأرام في عرصاتها  
كأنني غداة البين يوم تحملوا  
بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
لما نسجتها من جنوب وشمال  
وقيعانها كأنه حب فلفل  
لدى سمرات الحي ناقف حنظل  
يقولون لا تهلك أسى وتجمل  
فهل عند رسم دارس من معول  
وإن شفائي عبرة مهراقة  
كدأبك من أم الحريثرت قبلها

ففاضت دموع العين مني صباية  
ألا رب يوم لك منهن صالح  
ويوم عقرت للعذارى مطيتي  
فظل العذارى يرتمين بلحمها  
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة  
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً  
فقلت لها سيرى وأرخى زمامه  
فمئتك حبلى قد طرقت ومرضع  
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له  
ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت  
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل  
وإن تك قد ساءتني خليقة

على النحر حتى بل دمعي مخملي  
ولاسيما يوم بدارة جلجل  
فيا عجباً من كورها المتحمل  
وشحم كهذاب الدمقس المفئل  
فقال لك الويلات إنك مرجلي  
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل  
ولا تبعيني من جناك المعئل  
فألهيته عن ذي تائم مخول  
بشق وشقى تحتها لم يحول  
علي وآلت حلفة لم تحلل  
وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي  
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أغرك مني أن حبك قاتلي  
وما ذرفت عينك إلا لتضربي  
وببيضة خدر لا يرام خباؤها  
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً  
إذا ما الثريا في السماء تعرضت  
فجئت وقد فضت لنوم ثيابها  
فقال يمين الله مالك حيلة  
خرجت بها نمشي نجر وراءها  
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي  
هصرت بفودي رأسها فتمايلت  
إذا التفنت نحوي تضوع ريحها

وأنك مهما تأمري القلب يفعل  
بسهميك في أعشار قلب مقتل  
تمتعت من لهو بها غير معجل  
علي حراساً لو يسرون مقتل  
تعرض أثناء الوشاح المفصل  
لدى الستر إلا لبسة المتفضل  
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي  
على أثرينا ذيل مرط مرحل  
بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل  
علي هضيم الكشح ربا المخخل  
نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

ترائبها مصقولة كالسجنجل  
غذاها نمير الماء غير المحلل  
بناظرة من وحش وجرة مطفل  
إذا هي نصته ولا بمعطل  
أثيث كقنو النخلة المتعتكل  
تضل المذارى في مثنى ومرسل  
وساق كأنبوب السقي المذل  
أساريع ظبي أو مساويك إسحل  
منارة ممسى راهب متبتل  
نئوم الضحى لم تنطق عن تفضل  
إذا ما سبكرت بين درع ومجول  
وليس صباي عن هواها بمنسل  
نصيح على تعذاله غير مؤتل  
علي بأنواع الهموم ليبتلي  
وأردف أعجازاً وناء بكلكل  
بصبح وما الإصباح منك بأمتل  
بكل مغار القتل شدت ببذبل  
بأمراس كنان إلى صم جندل  
بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
كجلمود صخر حطه السيل من عل  
كما زلت الصفواء بالمنتزل  
أثرن غباراً بالكديد المركل  
إذا جاش فيه حميه غلا مرجل  
ويلوى بأثواب العنيف المتبل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة  
كبكر مقانة البياض بصفرة  
تصد وتبدي عن أسيل وتتقي  
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش  
وفرع يغشى المتن أسود فاحم  
غدائره مستشزرات إلى العلى  
وكشح لطيف كالجديل مخصر  
وتغطو برخص غير شثن كأنه  
تضيء الظلام بالعشاء كأنها  
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها  
إلى مثلها يرنو الحليم صباية  
تسلت عمايات الرجال عن الصبا  
ألا رب خصم فيك ألوى رددته  
وليل كموج البحر أرخى سدوله  
فقلت له لما تمطى بصلبه  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي  
فيا لك من ليل كأن نجومه  
كأن الثريا علفت في مصامها  
وقد اغتدى والطير في وكنانها  
مكر مفر مقبل مدبر معاً  
كميت يزل اللبد عن حال منته  
مسح إذا ما السابحات على الونى  
على العقب جياش كأن اهترامه  
يطير الغلام الخف عن صهواته

تقلب كفيه بخيط موصل  
وإرخاء سرحان وتقريب تتقل  
مداك عروس أو صلاية حنظل  
وبات بعيني قائماً غير مرسل  
عذارى دوار في الملاء المذيل  
بجيد معم في العشيرة مخول  
جواجرها في صرة لم تزيل  
دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل  
صنيف شواء أو قدير معجل  
متى ما ترق العين فيه تسفل  
عصارة حناء بشيب مرجل  
بضاف فويق الأرض ليس بأعزل  
كلمع اليدين في حبي مكلل  
أهان السليط في الدبا والمفتل  
وبين إكام بعد ما متأمل  
يكب على الأذقان دوح الكنهيل  
ولا أطمأ إلا مشيداً بجندل  
من السيل والغناء قلقة مغزل

كبير أناس في بجاد مزمل  
نزول اليماني ذي العياب المخول  
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل  
وأيسره على الستار فيذبل  
فأنزل منه الغضم من كل منزل

درير كخروف الوليد أغره  
له أبطلا ظبي وساقا نعامة  
كأن على الكتفين منه إذا انتحى  
وبات عليه سرجه ولجامه  
فعن لنا سرب كأن نعاجه  
فأدبرن كالجرع المفصل بينه  
فألحقنا بالهاديات ودونه  
فعادى عداء بين ثور ونعجة  
وظل طهاة اللحم ما بين منضج  
ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه  
كأن دماء الهاديات بنحره  
وأنت إذا استدبرته سد فرجه  
أحار ترى برقاً أريك وميضه  
يضيء سنه أو مصابيح راهب  
قعدت له وصخبتي بين حامر  
وأضحى يسج الماء عن كل فيقة  
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة  
كأن نرى رأس المجيمر غدوة

كأن أبانا في أفانين ودقه  
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه  
كأن سباعاً فيه غرقى غدية  
على قطن بالبشيم أيمن صوته  
وألقى ببسيان مع الليل بركه

## تحليل القصيدة

قفًا نبك من ذكرى حبيب ومترل بسيط الورى بين الدخول فحومل مطلع معلقة امرئ القيس الرائعة الشهرة، والتي تدل على شخصية صاحبها المرحه وروحه الموهوب، مجوته المأثور، وأسلوب القصيدة أسلوب جزل فيه أسر وقوة في عذوبة حيناً مع الجمال والصدق والتنقل في الخيال ومع سحر المطلع وفخامته.

ومعانيها قريبة لا تعقيد فيها تنكئ على الحسن والمشاهدات، فهو حين يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها، وحين يصف الفرس يتحدث عن ساقه ومنتنه وشعره وحين يتحدث عن المطر يصف كثرته وأنه ألقى مياهه على جبل كذا وكذا ففزعت العصم وهدمت البيوت وسقطت جذوع النخل، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية في الخيل والمطر أو عن عواطفه الإنسانية في حبه وغزله.

وتمتاز المعلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية، وبما فيها من أساليب البيان، ومناهج الأداء وصور التعبير، وألوان الرسم والخيال والتفكير، فيها تشبيهات بليغة عذبة كثيرة واستعارات جميلة بالغة، وكنائيات أنيقة ساحرة، وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان. ولتفصيل ذلك كله نقول: للمعلقة مطلعها الساحر القوي وأسلوبها الجزل، وخيالها البدوي الموهوب وتشبيهاتها الحسية الساذجة المكرورة أحياناً، وفيها فوق ذلك وبرغم الكثير من ألفاظها البدوية الجافة ورقة النسيب ودقة الوصف وتنوع الأغراض وبراعة التصوير والبيان، وفيها جل ما ابتكره امرؤ القيس من المعاني الشعرية التي فضل بها على غيره من الشعراء وعدبها أميرهم وقائدهم، ففيها بكاء للديار واستيقاف للصحب وتجويد في النسيب وتصوير لاستهتاره ومجونه، وقص لذكرياته وأيامه، وإبداع في وصف الليل وطوله "والفرس ومحاسنه، والبرق، والمطر وآثاره". وفي المعلقة الكثير من التشبيهات الجميلة، كتشبيه موقفه حين رحيل أحبابه بموقف الحنظل، وغزارة ما ينهمر منهما من دموع، وكتشبيه عبق الرائحة من حبيبه بعقب رائحة النسيم، قد جاء برىا القرنفل. وتشبيه شحم ناقته بمذاب الدمقس المقتل، والثغر بالأفحوان المنور، وتعرض الثريا في السماء بتعرض أثناء الوشاح المفصل، وتشبيه ترائب المرأة بالمرآة المحلوة، وجيدها بجيد الطباء، وبنائها بأساريع الظبي، وجمالها المشرق بمنارة الراهب المتبتل، وتشبيه الليل بموج البحر واهتزام الفرس بغلي الرجل. فقد أخذ الحسن من جميع الحيوانات، أخذ من الظبي خاصرته، ومن النعامه ساقها، ومن الذئب والثعلب مشيهما، فهو جواد ويا له من جواد ضافي الذيل مستقيم العسيب، لماع الظهر كما تلمع صلاية الحنظل مما يعلق بها من الدهن اللامع، أو صلاية عروس تدق فيها العطر والطيب، وكأن دماء هوادي فرائسه في نحره المخضوب عصارة

حناء في شيب مسرح.

وتمتاز المعلقة بكناباتها الساحرة، كنؤوم الضحى في وصف المرأة بالترف والنعمة وقوله "لم تنتطق عن تفضل" في وصفها بأنها عزيزة منعمة لم تعز بعد ذل ولم تنعم بعد شقاء، وقوله "إذا ما اسبكرت بين درع ومجول" يريد إذا بلغت سن الشباب لأنه الدرع هو قميص المرأة والمجول ثوب تلبسه الفتاة وتجول فيه قبل أن تحدر، وقوله "قيد الأوابد" في وصف الفرس بسرعة العدو، وقوله: ولم ينضح بماء فيغسل في وصفه بالنشاط. ومنها كثير من المحازات الجميلة والاستعارات المبدعة كقوله "فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي" يريد بالثياب القلب أو الصداقة. وقوله "وبيضه حدر" يريد امرأة كريمة مخدرة. وقوله في وصف الليل بالطول "فقلت له لما تمطى بصلبه" وقوله "وتتقي بناظرة من وحش وجرة" وكذلك قوله "له أيطلا ظي وساقا نعامة" من أساليب التجريد أو التشبيه الجميلة.

وقد تجد في المعلقة تنقلاً في الخيال وفي رسم الصور الشعرية، ولكن لا ضير في ذلك، لأن الشعر فن والفنون تأتي أن تخضع لقيود المنطق والفلسفة وحريتها في التعبير والتصوير هو سر جمالها وخلودها وفق ذلك فإن الشعر صورة للحياة العربية في سذاجتها وبساطتها فضلاً عن أثر الارتجال والبديهة في نظم الشعر وإنشاده وخاصة في العصر الجاهلي.

وفي المعلقة وصف لما يحبه العربي من مظاهر الجمال في المرأة وفي الفرس وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها وفيها نواة للقصص الشعري وخاصة في الغزل، مما نهج نحوه عمر بن أبي ربيعة ثم بشار وأبو نواس. وليس فيها أثر للمدح لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته وهواه وترفه ومجونه، مما يرجع أنها نظمت في أيام صباه وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بثأر والده، حيث تجدها خالية من ذكر الأحداث التي طافت به بعد ذلك. وتعدد الأعراض والفنون في القصيدة يتفق ونهج العرب والشعراء الجاهليين في صياغة قصائدهم؛ حيث كانوا يروحون عن أنفسهم وسامعهم بهذا الاستطراد الجميل وتعدد نواحي القصيدة ومراميتها حتى تكون أشد أثراً وسحراً. وروح الشاعرية في المعلقة متحدة متناسقة إلا في أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهي:

**على كاهلي مني ذلول مرهل**

**وقربة أقوام جعلت عصامها**

وما بعده من أبيات، مما تخالف روحها روح المعلقة. والصحيح أن هذه الأبيات لتأبط شراً وأنكرها الكثير من الرواة، وقيل هي لامرئ القيس في عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة، فهي لا تمثل روحه في فترة شبابه اللاهية الماجنة التي نراها في معلقته.

وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية في كثير من نواحيها المختلفة، كما تصور حياة امرئ القيس وترفه وروحه

اللاهبي المسرف في العبث والمجون أتم التصوير، فهي صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه، وأثر أدبي كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم.

نشأ امرؤ القيس في بيت سؤدد ومجد ونعمة، فخب في سبيل اللهو وذاق أفانيق الجمال والحب وقضى أيام شبابه في مغازلة الغيد الحسان؛ فكانت له معهن أيام وذكريات قص الكثير منها في هذه المعلقة، وما برح في لهوه ومجونه حتى ضاق به والده ذرعاً فأبعده عنه، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو حتى قتل أبوه فذهبت سكرته وطالت حسرته، وهب للأخذ بثأره حتى قضى عليه أخيراً إسراره في الانتقام.

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء في الجاهلية، وحامل لواء الشعر في ذلك العصر البعيد، والمفتن في أبواب الشعر وأغراضه، والمجلى في بيان أسرار الجمال واللهو وفي رقة الأسلوب وسحره، وفي جزالة اللفظ وأسرته، وفي روائع التشبيه وبدائع الخيال، وفي ابتداع الكثير من المعاني الشعرية الطريفة التي قلده فيها سواء من الشعراء وتتناول المعلقة كثيراً من فنون الشعر، وتحوي الكثير من الأفكار المنوعة، ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى في بيتين وفيها شرح للهوه وعبثه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربي وزينة المرأة في الجاهلية ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في عشرين بيتاً، وفيها مناجاة الليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ووصف دقيق لفرسه في ثمانية عشر بيتاً، وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة في عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد وهي كلها في درجة عالية من الإحسان.

ويقول الزوزني في سبب إنشاد هذه القصة: "السبب في إنشادها هو قصة غددير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم في هذا الغدير مع أتراك لها وجمع ملباسهن ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات، ثم ذبح لهن ناقته وقسم متاعه عليهن يحملنه وركب مع عنيزة في هودجها".

وقد بدأها بكاء الديار بمطلع جميل ساحر ثم يستمر في وصف الديار وآثارها حتى يقول: وقوفاً بما صحي على مطيهم.

ثم يصف ذكريات لهوه وعبثه وغزله. ثم يصف الليل وطوله، وطوله والفرس وقوته ويذكر الصيد الذي صاده وطهى الطهارة له وسط الصحراء ويصف البرق والمطر في عدوبة وسحر وجمال.

- 2 - وقال أيضاً:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي      وهل يعمن من كان في العصر الخالي

قليل الهموم ما يببب بأوجال  
ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال  
ألح عليها كل أسحم هطال  
من الوحش أو بيضاً بميثاء شمال  
بواد الخزامى أو على رس أو عال  
وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال  
كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي  
وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي  
بأنسة كأنها خط تمثال  
كمصباح زيت في قناديل ذبال  
أصاب غضى جزلاً وكف بأجدال  
صباً وشمال في منازل قفال  
لعوب تتسني إذا قمت سربالي  
تميل عليه هونة غير مجبال  
بما احتسبا من لين مس وتسفال  
إذا انفلتت مرتجة غير متفال  
بيثرب أدنى دارها نظر عال  
مصاييح رهبان تشب لفقال  
سمو حباب الماء حالا على حال  
ألست ترى السماء والناس أحوالي  
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي  
لناموا فما إن من حديث ولا صال  
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال  
ورضت فذلت صعبة أي إذلال

وهل يعمن إلا سعيد مخلد  
وهل يعمن من كان أحدث عهده  
ديار لسلمى عافيات بذي خال  
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا  
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا  
ليالي سلمى إذ تريك منصباً  
ألا زعمت بسباسة اليوم أنني  
كذبت لقد أصبى على المرء عرسه  
ويا رب يوم قد لهوت وليلة  
يضيء الفراش وجهها لضجيعها  
كأن على لباتها جمر مصطل  
وهبت له ريح بمختلف الصوا  
ومثلك بيضاء العوارض طفلة  
إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها  
كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه  
لطيفة طي الكشح غير مفاضة  
تنورتها من أذرع وأهلها  
نظرت إليها والنجوم كأنها  
سموت إليها بعد ما نام أهلها  
فقال سبائك الله، إنك فاضحي  
فقلت يمين الله أبرح قاعداً  
حلفت لها بالله حلفة فاجر  
فلما تنازعنا الحديث وأساحت  
وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

عليه القتام سيئ الظن والبال  
ليقتلني والمرء ليس بقتال  
ومسنونة زرق كأنياب أحوال  
وليس بذى سيف وليس بنبال  
كما شغف المهنوءة الرجل الطالي  
بأن الفتى يهذي وليس بفعال  
كغزلان رمل في محاريب أقيال  
يطفن بجباء المرافق مكسال  
لطاف الخصور في تمام وإكمال  
يقطن لأهل الحلم ضل بتضلال  
ولست بمقلي الخلال ولا قال  
ولم أتطن كاعباً ذات خلخال  
لخليلي كري كرة بعد إجمال  
على هيكل عبل الجزيرة جوال  
لع حجابات مشرفات على الفال  
كأن مكان الردف منه على رال  
لغيث من الوسمي رائده خال  
وجاد عليه كل أسحم هطال  
كमित كأنها هراوة منوال  
وأكرعه وشي البرود من الخال  
على جمزى خيل تجول بأجلال  
طويل الفرا والروق أخنس ذيال  
وكان عداء الوحش مني على بال  
صبيود من العقبان طأطأت شملاي

فأبحت معشوقاً وأصبح بعلها  
يغط غطيظ البكر شد خناقه  
أيقتلني والمشرقي مضاجعي  
وليس بذى رمح فيطعنني به  
أيقتلني وقد شغفت فؤادها  
وقد علمت سلمى وإن كان بعلها  
وماذا عليه أن ذكرت أوانسا  
وببيت عذارى يوم دحن ولجته  
سباط البنان والعرائن والقنا  
نواعم يتبعن الهوى سبل الردى  
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى  
كأنني لم أركب جواداً للذة  
ولم أسبأ الزرق الروى ولم أقل  
ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي  
سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا  
وصم صلاب ما يقين من الوحي  
وقد أغتدي والطير في وكناتها  
تحاماه أطراف الرماح تحامياً  
بعجلزة قد أترز الجري لحمها  
ذعرت بها سرباً نقياً جلوده  
كأن الصوار إذ تجهد عدوه  
فجال الصوار واتقين بقرهه  
فعادى عداء بين ثور ونعجة  
كأنني بفتحاء الجناحين لقوة

وقد حجرت منها ثعالب أورال  
لدي وكرها العناب والحشف البالي  
كفاني ولم أطلب قليل من المال  
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

تخطف خزان الشربة بالضحي  
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً  
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة  
ولكنما أسعى لمجد مؤثل

بمدرك أطراف الخطوب ولا آلي

وطر المرء مادامت حشاشة نفسه

- 3 - وقال امرؤ القيس أيضاً:

نقض لبانات الفؤاد المعذب  
من الدهر تنفعي لدى أم جندب  
وجدت بها طيباً وإن لم تطيب  
ولا ذات خلق إن تأملت جأنب  
وكيف تراعى وصلة للتغيب  
أميمة أم صارت لقول المخيب  
فإنك مما أحدثت بالمجرب  
يسوك وإن يكشف غرامك تدرب  
سوالك نقبا بين حزمى شععب  
كجرمة نخل أو كجنة يثرب  
أشت وأناى من فراق المحصب  
وآخر منهم قاطع بحد كبكب  
كمر الخليج في صفيح مصوب  
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب  
بمثل غدو أو رواح مؤوب  
على أبلق الكشحين ليس بمغرب  
تغرد مياح الندامى المطرب

خليلي مرا بي على أم جندب  
فإنكما إن تنظراني ساعة  
ألم ترياني كلما جئت طارقاً  
عقيلة أتراب لها لا دميمة  
ألا ليست شعري كيف حادث وصلها  
أقامت على ما بيننا من مودة  
فإن تتأ عنها حقبة لا تلاقها  
وقالت متى يبخل عليك ويعتدل  
تبصر خليلي هل ترى من طعائن  
علون بأنطاكية فوق عقمة  
ولله عيناً من رأى من تفرق  
فريقان منهم جازع بطن نخلة  
فعيناك غرباً جدول في مفاضة  
وإنك لم يفخر عليك كفاخر  
وإنك لم تقطع لبانة عاشق  
بأدماء حرجوج كأن قنودها  
يغرد بالأسحار في كل سدفة

يمح لعاع البقل في كل مشرب  
مجر جيوش الغانمين وخيب  
وماء الندى يجري على كل مذنب  
طراد الهوادي كل شأو مغرب  
على الضمر والتعداء سرحة مرقب  
ترى شخصه كأنه عود مشحب  
وصهوة غير قائم فوق مرقب  
حجارة غيل وارسات بطحلب  
إلى حارك مثل الغبيط المذأب  
لمحجرها من النصيف المنقب  
كسامعتي مذعورة وسط ربرب  
ومثناته في رأس جذع مشذب  
عثاكيل قنو من سميحة مرطب  
تقول هزير الريح مرت بأثأب  
إلى سند مثل الغبيط المذأب  
به غرة من طائف غير معقب  
ويوماً على بيدانة أم تولب  
كمشي العذارى في الملاء المهذب  
وقال صحابي قد شأونك فاطلب  
على ظهر محبوك السراة محنب  
ويخرجن من جعد ثراه منصب  
وللزجر منه وقع أهوج منعب  
يمر كخذروف الوليد المنقب  
على جدد الصحراء من شد ملهيب

أقب رباع من حمير عماية  
بمحنية قد آزر الضال نبتها  
وقد أعتدي والطير في وكناتها  
بمنجرد قيد الأوابد لاحه  
على الأين جياش كان سراته  
يباري الخنوف المستاقل زماعه  
له أبطا ظبي وساقا نعامة  
ويخطو على ضم صلاب كأنها  
له كفل كالدعص لبدن الندى  
وعين كمرآة الصناع تديرها  
له أذنان تعرف العتق فيهما  
ومستفلك الذفرى كأن عنانه  
وأسم ريان العسيب كأنه  
إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه  
يدير قطة كالمحالة أشرفت  
ويخضد في الارى حتى كأنما  
فيوماً على سرب نقي جلوده  
فبينا نعاج يرتعين خميلة  
فكان تنادينا وعقد عذاره  
فلأياً بلأى ما حملنا غلامنا  
وولى كشؤبوب العشي بوابل  
فللساق ألهور وللوسط درة  
فأدرك لم تجهد ولم يثن شأوه  
ترى الفأر في مستتقع القاع لاجباً

خفاهن ودق من عشي مجلب  
وبين شبوب كالقضية قرهب  
يداعسها بالسهمري المعلب  
بمذرية كأنها ذاق مشعب  
فعالوا علينا فضل ثوب مطنب  
ردينية فيها أسنة قعضب  
وصهوته من أتحمي مشرعب  
إلى كل حاري جديد مشطب  
وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب  
إذا نحن قمنا عن شواء مضهب  
نعالي النعاج بين عدل ومحقب

أذاة به من صائك متلب  
عصارة حناء بشيب مخضب  
بضاف فويق الأرض ليس بأصهب

وحلت سليمي بطن قو فعرعرا  
مجاورة غسان والحي يغمرا  
لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرى  
حدائق دوم أو سفينا مقيرا  
دوين الصفا اللألئ يلين المشقرا  
وعالين قنواناً من البسر أحمرا  
بأسيافهم حتى أقو وأوقرا  
وأكامه حتى إذا ما تهصرا

خفاهن من أنفاقهن كأنما  
فعادى عداءً بين ثور ونعجة  
وظل لثيران الصريم غماغم  
فكاب على حر الجبين ومتق  
وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا  
وأوتاده ماذية وعماده  
وأطنابه أشطان خوض نجائب  
فلما دخلناه أضفنا ظهورنا  
كأن عيون الوحش حول خبائنا  
نمش بأعراف الجياد أكفنا  
ورحنا كأننا من جؤائي عشية

وراح كتيس الربل ينفض رأسه  
كأن دماء الهاديات بنحره  
وأنت إذا استدبرته سد فرجه  
- 4 - وقال أيضاً حين توجه إلى قيصر:

سما لك شوق بعدما كان أقصرا  
كنانية بانث وفي الصدر ودها  
بعيني ظعن الحي لما تحملوا  
فشبهتهم في الآل لما تكمشوا  
أو المكرعات من نخيل ابن يامن  
سوامق جبار أثيث فروعه  
حمته بنو الربداء من آل يامن  
وأرضى بني الربداء واعتم زهوه

أطافت به جيلان عند قطاعه  
كأن دمی شغف على ظهر مرمر  
غرائر في كن وصون ونعمة  
وريح سناً في حقه حميرية  
وبانا وألویا من الهند ذاكيا  
غلقن برهن من حبيب به ادعت  
وكان لها في سالف الدهر خله  
إذ نال منها نظرة ريع قلبه  
نزيف إذا قامت لوجه تمايلت  
أسماء أمسى ودها قد تغيرا  
تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت  
فلما بدا حوران والآل دونه  
تقطع أسباب اللبانة والهوى  
بسیر یضح العود منه يمنه  
ولم ينسى ما قد لقيت طعائنا  
كأثل من الأعراض من دون بيثشة  
فدع ذا وسل اللهم عنك بجسرة  
تقطع غيطاناً كأن متونها  
بعيدة بين المنكبين كأنما  
تطاير ظران الحصى بمناسم  
كأن الحصى من خلفها وأمامها  
كأن صليل المروحين تشده  
عليها فتى لم تحمل الأرض مثله  
هو المنزل الآلاف من جونا عط
تردد فيه العين حتى تحيرا  
كسا مزبد الساجوم وشياً مصورا  
يحلين ياقوتاً وشذراً مفقرا  
تخص بمفروك من المسك أذفرا  
ورندا ولبنى والكباء المقترا  
سليمى فأمسى حبلها قد تبترا  
يسارق بالطرف الخباء المسترا  
كما ذعرت كأس الصبوح المخمرا  
تراشى الفؤاد الرخص ألا تخترا  
سنبدل إن أبدلت بالود آخرا  
على خملي خوص الركاب وأوجرا  
نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا  
عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا  
وخملا لها كالقر يوما مخدرا  
ودون الغمير عامدات لغضورا  
ذمول إذا صام النهار وهجرا  
إذا أظهرت تكسى ملاء منشرا  
ترى عند مجرى الضفر هراً مشجرا  
صلاب العجى ملثومها غير أمعرا  
إذا نجلته رجلها حذف أعسرا  
صليل زيوف ينتقدن بعبقرا  
أبر بميثاق وأوفى وأصبرا  
بني أسد حزناً من الأرض أوعرا

ولكنه عمداً إلى الروم أنفرا  
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا  
بسير ترى منه الفرائق أزورا  
إذا سافه العود النباطي جرجرا  
يريد السرى بالليل من خيل بربرا  
ترى الماء من أعطافه قد تحدرا  
مشى الهيدبي في دفه ثم فرفرا  
على جلعده واهي الأباجل أبترا  
ولابن جريج في قرى حمص أنكرا  
ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا  
من الذر فوق الإتب منها لأثرا  
قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا  
بكاء على عمرو وما كان أصبرا  
وراء الحساء من مدافع قيصرا  
وقرت به العينان بدلت آخرا

من الناس إلا خانني وتغيرا  
ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا  
مرابطها في بربعيص وميسرا  
بتادف ذات التل من فوق طرطرا  
كأني وأصحابي على قرن أعفرا  
نقاداً وحتى نحسب الجون أشقرا

ولو شاء كان الغزو من أرض حمير  
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه  
فقلت له لا تبك عينك إنما  
وإني زعيم إن رجعت مملكا  
على لأحب لا يهتدى بمناره  
على كل مقصوص الذنابي معاود  
أقب كسرحان الغضى متمطر  
إذا زعته من جانبيه كليهما  
إذا قلت زوحنا أرن فرائق  
لقد أنكرتني بعلبك وأهلها  
نشيم يروق المزن أين مصابه  
من القاصرات الطرف لو دب مخول  
له الويل إن أمسى ولا أم هاشم  
أرى أم عمرو دمعها قد تحدرا  
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة  
إذا قلت هذا صاحب قد رضيته

كذلك جدي ما أصاحب صاحباً  
وكنا أناساً قبل غزوة قرمل  
وما جنبنت خيلي ولكن تذكرت  
ألا رب يوم صالح قد شهدته  
ولا مثل يوم في قداران ظلته  
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا

- 5 - قال أيضاً:

يضيء حبيباً في شماريخ بيض  
ينوء كتعتاب الكسير المهيبض  
أكف تلقى الفوز عند المفيض  
وبين تلاح يتلث فالعريض  
فوادي البدي فانتحي للأريض  
مدافع غيث في فضاء عريض  
يحوز الضباب في صفاصف بيض  
وإذ بعد المزار غير القريض  
أقلب طرفي في فضاء عريض  
كأني أعدي عن جناح مهيبض  
نزلت إليه قائماً بالحضيض  
كصفح السنان الصلبي النحيض  
ويرفع عزفاً غير جاف غضيض  
بمنجرد عبل اليدين قبيض  
كفحل الهجان ينتجى للعضيض  
جموم عيون الحسى بعد المخيض  
كما ذعر السرحان جنب الربيض  
وغادر أخرى في قناة الرفيض  
وأخلف ماء بعد ماء فضيض  
ذعرت بمدلاج الهجير نهوض  
كإجراض بكر في الديار مريض  
إذا اختلف اللحيان عند الجريض

أعني على برق أراه وميوض  
ويهدأ تارات سنه وتارة  
وتخرج منه لامعات كأنها  
قعدت له وصحبتني بين ضارج  
أصاب قطاتين فسال لواهما  
بلاد عريضة وأرض أريضة  
فأضحى يسح الماء عن كل فيقة  
فأسقى به أختي ضعيفة إذ نأت  
ومرقة كالزج أشرفت فوقها  
فظلت وظل الجون عندي بلبده  
فلما أجن الشمس عني غيارها  
يباري شبة الرمح خد مذلق  
أخفضه بالنقر لما علوته  
وقد أعتدي والطير في وكناتها  
له قصر يا غير وساقا نعامة  
يجم على الساقين بعد كلاله  
ذعرت بها سرباً نقياً جلودها  
ووالى ثلاثاً واثنين وأربعاً  
فآب إياباً غير نكد مواكل  
وسن كسنيق سناء وسنما  
أرى المرء ذا الأذواد يصبح محرضاً  
كأن الفتى لم يغن في الناس ساعة

- 6 - وقال أيضاً:

فعارمة فبرقة العيرات

غشيت ديار الحي بالبكرات

فغول فحليت فنفي فمنعج  
ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً  
أعني على التهام والذكرات  
بليل التمام أو وصلن بمنله  
كأني وردفي والقراب ونمرقي  
أرن على عقب حيال طروقة  
عنيف بتجميع الضرائر فاحش  
ويأكلن بهمي جعدة حبشية  
فأوردها ماء قليلاً أنيسه  
ثلث الحصى لتأ بسمر رزينة  
ويرخين أذناً كأن فروعها  
وعنس كألواح الإران فسألتهما  
فغادرتها من بعد بدن ردية  
وأبيض كالمخراق بليت حده

- 7 - وقال أيضاً يمدح غوير بن شحنة بن عطار من بني تميم، وبني عوف رهطه:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم  
عوير ومن مثل العوير ورهطه  
ثياب بني عوف طهارى نقيه  
هم أبلغوا الحي المضلل أهلهم  
فقد أصبحوا والله أصفاهم به

- 8 - وقال أيضاً:

لمن طلل أبصرته فشجاني  
ديار لهند والرباب وفررتي  
ليالي يدعوني الهوى فأجيبه  
كخط زبور في عصيب بمان  
ليالينا بالنعف من بدلان  
وأعين من أهوى إلي رواني

كشفت إذا ما اسود وجه الجبان  
منعمة أعملتها بكران  
أجش إذا ما حركته اليدان  
شهدت على أقب رخو اللبان  
مسح حثيث الركض والذألان  
شديدات عقد لينات المثاني  
تبتنته بشيظم صلتان  
كتيس ظباء الحلب الغذوان  
كعرق الرخامى اهتز في الهجلان  
من النشوات والنساء الحسان  
حواصنها والمبرقات الرواني  
بجزع الملا عيناك تبتدران  
ورش وتوكاف وتتهملان  
فريان لما تسلقا بدهان

فإن أمس مكروباً فيا رب بهمة  
وإن أمس مكروباً فيا رب قينة  
لها مزهر يعلو الخميس بصوته  
وإن أمس مكروباً فيا رب غارة  
على ربذ يزداد عفواً إذا جرى  
ويخدى على صم صلاب ملاطس  
وغيث من الوسمي حو تلاعه  
مكر مفر مقبل مدبر معاً  
إذا ما جنبناه تأود متته  
تمتع من الدنيا فإنك فاني  
من البيض كالآرام والأدم كالدمى  
أمن ذكر نبهانية حل أهلها  
فدمعهما سكب وسح وديمة  
كأنهما مزادتا متعجن

- 9 - وقال أيضاً:

ورسم عفت آياته منذ أزمان  
كخط زبور في مصاحف رهبان  
عقابيل سقم من ضمير وأشجان  
تكلى من شعيب ذات سح وتهتان  
فليس على شيء سواه بخزان  
على حرج كالقر تخفق أكفاني  
وعان فككت الغل عنه ففداني  
فقاموا جميعاً بين عاث ونشوان

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان  
أنت حجج بعدي عليها فأصبحت  
ذكرت بها الحي الجميع فهيجت  
فسحت دموعي في الرداء كأنها  
إذا المرء لم يحزن عليه لسانه  
فإما تريني في رحالة جابر  
فيا رب مكروب كررت وراءه  
وفتيان صدق قد بعثت بسخرة

وخرق بعيد قد قطعت نياطه  
وغيث كألوان الفنا قد هبطته  
على هيكل يعطيك قبل سؤاله  
كتيس الطباء الأعفر انضرجت له  
وخرق كجوف العير قفر مضلة  
يدافع أعطاف المطايا بركنه  
ومجر كغلان الأنيعم بالغ  
مطوت بهم حتى تكل مطيهم  
وحتى ترى الجون الذي كان بادنا

10 - وقال أيضاً يمدح جارية بن مرأبا حنبل، ويذم خالد بن سدوس بن أصمغ النبهي:

دع عنك نهياً صبح في جراته  
كأن دثاراً حلقت بلبونه  
تلعب باعث بذمة خالد  
وأعجبني مشي الحزقة خالد  
أبت أجأ أن تسلم العام جارها  
تبيت لبوني بالقرية أمنا  
بنو ثعل جيرانها وحماتها  
تلاعب أولاد الوعول رباعها  
مكللة حمراء ذات أسرة

11 - وقال أيضاً:

أرانا موضعين لأمر غيب  
عصافير وذبان ودود  
فبعض اللوم عادلني فإني  
إلى عرق الثرى وشجت عروقي

ونسحر بالطعام وبالشراب  
وأجرأ من مجلحة الذئاب  
ستكفيني التجارب وانتسابي  
وهذا الموت يسلبني شبابي

فيلحقني وسيكا بالتراب  
أمق الطول لماع السراب  
أنال مآكل القمح الرغاب  
إليه همتي وربّه اكتسابي  
رضيت من الغنيمة بالإياب  
وبعد الخير حجر ذي القباب  
ولم تغفل عن الصم الهضاب  
سأنشب في شبا ظفر وناب

ونفسي سوف يسلبها وجرمي  
ألم أفض المطي بكل خرق  
وأركب في اللهام المجر حتى  
وكل مكارم الأخلاق صارت  
وقد طوفت في الآفاق حتى  
أبعد الحارث الملك ابن عمرو  
أرجي من صروف الدهر لينا  
وأعلم أنني عما قريب

ولا أنسى قتيلا بالكلاب

كما لاقى أبي حجر وجدي

- 12 - وقال:

أم الصرم تختارين بالوصل نياس  
من الشك ذي المخلوجة المتلبس  
بشرية أوطاف بعرنان موجس  
يشير التراب عن مبيت ومكنس  
إثارة نبات الهواجر مخمس  
وضجته مثل الأسير المكردس  
إذا التقتها غبية بيت معرس  
كلاب ابن مر أو كلاب ابن سنبس  
من الذمر والإيحاء نوار عضرس  
على الصمد والآكام جذوة مقبس  
بذي الرمث إن ماوتته يوم أنفس  
كما شبرق الولدان ثوب المقدس  
كقرم الهجان القادر المتشمس

أماوي هل لي عندكم من معرس  
أبيني لنا إن الصريمة راحة  
كأنني ورحلي فوق أحقب قارح  
تعشى قليلاً ثم أنحى ظلوفه  
يهيل ويذري تربها ويثيره  
فبات على خد أحم ومنكب  
وبات إلى أرطاة حقف كأنها  
فصبحة عند الشروق غدية  
مغرثة زرقا كأن عيونها  
فأدبر يكسوها الرغام كأنها  
وأيقن إن لاقينه أن يومه  
فأدركنه يأخذن بالساق والنسا  
وغورن في ظل الغضى وتركنه

- 13 - وقال:

ألما على الربع القديم بعسعسا  
فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا  
فلا تنكروني إنني أنا ذاكم  
فإما تربيثي لا أغمض ساعة  
تأوبي دائي القديم فغلسا  
فيا رب مكروب كررت وراءه  
ويا رب يوم قد أروح مرجلا  
يرعن إلى صوتي إذا ما سمعنه  
أراهن لا يحبين من قل ماله  
وما خفت تبريح الحياة كما أرى  
فلو أنها نفس تموت جميعا  
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة  
لقد طمح الطماح من بعد أرضه  
ألا إن بعد العدم للمرء قنوة

كأنني أنادي أو أكلم أخرسا  
وجدت مقيلاً عندهم ومعرسا  
ليالي حل الحي غولاً فألعسا  
من الليل إلا أن أكب فأنعسا  
أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا  
وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا  
حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا  
كما ترعوي عيط إلى صوت أعيسا  
ولا من رأين الشيب فيه وقوسا  
تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا  
ولكنها نفس تساقط أنفسا  
فيا لك من نعمى تحولن أبؤسا  
ليلبسني من دائه ما تلبسا  
وبعد المشيب طول عمر وملبسا

- 14 - وقال:

لعمرك ما قلبي إلى أهله بحر  
ألا إنما الدهر ليال وأعصر  
ليال بذات الطلح عند محجر  
أعادي الصبوح عند هر وفرتي  
إذا ذقت فاه قلت طعم مدامة  
هما نعجتان من نعاج تباله  
إذا قامتا تضوع المسك منهما  
كأن التجار أصدوا بسبيئة

ولا مقصر يوماً فيأتيني بقر  
وليس على شيء قويم بمستمر  
أحب إلينا من ليال على أقر  
وليداً وهل أفنى شبابي غير هر  
معتقة مما تجيء به التجر  
لذي جؤذرين أو كبعض دمي هكر  
نسيم الصبا جاءت بريح من القطر  
من الخص حتى أنزلوها على يسر

وشجت بماء غير طرق ولا كدر  
إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر  
وأقوالها إلا المخيلة والشكر  
أجر لساني يوم ذلكم مجر  
ولا نأنا يوم الحفاظ ولا حصر  
مرابط للأمهارة والعكر الدثر  
يروح على آثار شأنهم النمر  
بمثنى الزقاق المترعات وبالجزر  
أحب إلينا منك فافرس حمر  
ومن خاله ومن يزيد ومن حجر  
ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فلما استطابا صب في الصحن نصفه  
بماء سحاب زل عن متن صخرة  
لعمرك ما إن ضرني وسط حمير  
وغير الشقاء المستبين فليتني  
لعمرك ما سعد بخلة آثم  
لعمري لقوم قد نرى أمس فيهم  
أحب إلينا من أناس بقنة  
يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا  
لعمري لسعد حيث حلت دياره  
وتعرف فيه من أبيه شمائلًا  
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا

- 15 - وقال يبيب سبيع بن عوف بن مالك:

فعمائتين فهضب ذي أقدام  
تمشي النعاج بها مع الآرام!  
وبليس قبل حوادث الأيام  
نبكي الديار كما بكى ابن خدام

لمن الديار غشيتها بسحام  
فصفا الأطيظ فصاحتين فغاضر  
دار لهند والرباب وفررتني  
عوجا على الطلل المحيل لاننا

كالنخل من شوكان حين صرام  
بيض الوجوه نواعم الأجسام  
نشوان باكره صبوح مدام  
من خمر عانة أو كروم شبام  
موم يخالط جسمه بسقام  
رتك النعامة في طريق حام  
روعاء منسمها رثيم دام

أو ما ترى أظعانهن بواكراً  
حور تعلل بالعبير جلودها  
فظلت في دمن الديار كأنني  
أنف كلون دم الغزال معتق  
وكان شاربها أصاب لسانه  
ومجدة نساتها فتكمشت  
تخدى على العلات سام رأسها

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري  
فجزيت خير جزاء ناقة واحد  
وكأنما بدر وصيل كتيفة  
أبلغ سبيعاً إن عرضت رسالة  
أقصر إليك من الوعيد فإنني  
وأنا المنبه بعد ما قد نوموا  
وأنا الذي عرفت معد فضله  
وأنزل البطل الكريه نزاله  
خالي ابن كبشة قد علمت مكانه  
وإذا أذيت ببلدة ودعتها

- 16 - وقال:

إني امرؤ صرعي عليك حرام  
ورجعت سالمة القرا بسلام  
وكأنما من عاقل أرمام  
إني كهملك إن عشوت أمامي  
مما ألقى لا أشد حزامي  
وأنا المعالن صفحة النوم  
ونشدت عن حجر ابن أم قطام  
وإذا أناضل لا تطيش سهامي  
وأبو يزيد ورهطه أعمامي  
ولا أقيم بغير دار مقام

يا دار ماوية بالحائل  
صم صداها وعفا رسمها  
قولا لدودان عبيد العصا  
قد قرت العينان من مالك  
ومن بني غنم بن دودان إذ  
نطعنهم سلكي ومخلوجة  
إذ هن أفساط كرجل الدبي  
حتى تركناهم لدى معرك  
حلت لي الخمر وكنت امرأ  
فاليوم أسقى غير مستحقب

- 17 - وقال:

مثلج كفيه في قتره  
غير باناة على وتره

رب رام من بني ثعل  
عارض زوراء من نشم

قد أتته الوحش واردة  
فرماها في فرائصها  
برهيش من كنانته  
راشه من ريش ناهضة  
فهو لا تنمي رميته  
مطعم للصيد ليس له  
وخليل قد أفارقه  
وابن عم قد تركت له  
وحدث الركب يوم هنا

- 18 - وقال:

يا هند لا تنكحي بوهة  
مرسعة بين أرساغه  
ليجعل في رجليه كعبها  
ولست بخزرافة في القعود  
ولست بذي رثية إفر  
وقالت بنفسى شباب له  
وإذ هي سوداء مثل الفحيم

- 19 - وقال في قتل شرحبيل بن عمرو بن حجر عمه ويهجو البراجم من بني تميم ويربوعاً ودارما:

ألا قبح الله البراجم كلها  
وآثر بالملحاة آل مجاشع  
فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم  
وما فعلوا فعل العوير بجاره

- 20 - وقال بمدح العوير بن شحنة وقومة بني عوف:

إن بني عوف ابتوا حسبا  
ضيعه الدخلون إذ غدروا

ولم يضع بالمغيب من نصرورا  
إنهم جبر بئس ما اتتمروا  
ولا أست عير يحكها نفر  
لا عور شانه ولا قصر

إدوا إلى جارهم خفارته  
لم يفعلوا فعل آل حنظلة  
لا حميري وفي ولا عدس  
لكن عوير وفي بذمته

- 21 - وقال حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه:

تالله لا يذهب سيخي باطلا  
حتى أبير مالكا وكاهلا  
القاتلين الملك الحاحلا

خير معد حسباً ونائلا  
يا لهف هند إذ خطن كاهلا  
نحن جلبنا القرع القوافلا  
يحملنا والأسل النواهلا  
مستقرمات بالحصى جوافلا  
تستنفر الأواخر الأوائلا

- 22 - وقال لما ذهبت إليه:

كأن قرون جلتها العصي  
فآرام وجاد لها الولي  
كأن الحي صبحهم نعي  
معلقة بأحقبها الدلي  
وحسبك من غنى شبع وري

ألا إلا تكن إيل فمعزى  
وجاد لها الربيع بواقصات  
إذا مشت حوالبها أرنت  
تروح كأنها مما أصابت  
فتوسع أهلها أقطاً وسمناً

- 23 - وقال حين غزا بني أسد فأخطأهم وأوقع ببني كنانة وهو لا يدري:

هم كانوا الشفاء فلم يصابوا  
وبالأسقين ما كان العقاب

ألا يا لهف هند إثر قوم  
وقاهم جدهم ببني أبيهم

وأفلاتهن علباء جريصاً

ولو أدركنه صفر الوطاب

24 - وقال يمدح المعلى أحد بني تميم ب- 24 - ن ثعلبة من جديلة طيئ وكان أجاره والمنذر بن ماء السماء يطلبه فمنعه ووفى له:

كأنني إذ نزلت على المعلى

نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلى

بمقتدر ولا ملك الشأم

أشد نشاط ذي القرنين حتى

تولى عارض الملك الهمام

أقر حشا امرئ القيس بن حجر

بنو تميم مصابيح الظلام

25 - وقال يمدح طريف بن مالك:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره

طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

إذا البازل الكوماء راحت عشية

تلاوذ من صوت المبسين بالشجر

26 - وقال يصف تقلب الزمان ودورانه:

أبعد الحارث الملك بن عمرو

له ملك العراق إلى عمان

مجاورة بن شمحي بن جرم

هوانا ما أتيج من الهوان

ويمنعها بنو شمحي بن جرم

معيزهم خانك ذا الحنان

27 - وقال يصف الغيث

ديمة هطلاء فيها وطف

طبق الأرض تحرى وتدر

تخرج الود إذا ما أشجدت

وتواريه إذا ما تشتكر

وترى الضب خفيفاً ماهراً

ثانياً برثته ما ينعفر

وترى الشجراء في ريقه

كروس قطعت فيها الخمر

ساعة ثم انتحاهها وابل

ساقط الأكناف واه منهمر

راح تمريره الصبا ثم انتحى

فيه شؤبوب جنوب منفجر

ثج حتى ضاق عن آذيه

عرض خيم فجفاف فيسر

قد غدا يحملني في أنفه

لاحق الإطلين محبوك ممر

28 - وقال ينازع الحارث التوعم اليشكري قال امرؤ القيس: أحرار ترى بريقاً حب وهناً فقال

الحارث بن التوعم: كنار مجوس تستعر استعاراً ثم قال امرؤ القيس: أرققت له ونام أبو شريح فقال الحارث:

إذا ما قلت قد هدأ استطارا فقال امرؤ القيس: كان هزيره بوراء غيب فقال الحارث: عشار وله لاقت  
عشارا فقال امرؤ القيس: فلما أن دنا لقفا أضاخ فقال الحارث: وهت أعجاز ريقه فحاراً فقال امرؤ  
القيس: فلم يترك بذات السر ظيباً فقال الحارث: ولم يترك بجلهتها حمارة - 29 - وقال:

أحار بن عمر وكأني خمر  
لا وأبيك ابنة العامر  
تميم بن مر وأشياعها  
إذا ركبوا الخيل واستلأموا  
تروح من الحي أم تبتكر  
أمرخ خيامهم أم عشر  
وفيمن أقام عن الحي هر  
وهر تصيد قلوب الرجال  
رمتني بسهم أصاب الفؤاد  
فأسبل دمعي كفض الجمان  
وإذ هي تمشي كمشي النزي  
برهرة رودة رخصة  
فتور القيام قطيع الكلا  
كأن المدام وصوب الغمام  
يعل به برد أنيابها  
فبت أكابد ليل التما  
فلما دنوت تسديتها  
ولم يرنا كالي كاشح  
وقد رابني قولها يا هنا  
وقد اغتدى معي القانصان  
ويعدوا على المرء ما يأتهم  
ي لا يدعي القوم أنني أفر  
وكندة حولي جميعاً صبر  
تحرقت الأرض واليوم قر  
وماذا عليك بأن تنتظر  
أم القلب في إثرهم منحدر  
أم الظاعنون بها في الشطر  
وأقلت منها ابن عمرو حجر  
غداة الرحيل فلم أنتصر  
أو الدر رقايقه المنحدر  
ف يصرعه بالكثيب البهر  
كخرعوبة البانة المنفطر  
م تفتقر عن ذي غروب خصر  
وريح الخزامى ونشر القطر  
إذا طرب الطائر المستحر  
م والقلب من خشية مقتشعر  
فتوباً نسيت وثوباً أجر  
ولم يفش منا لدى البيت سر  
ه ويحك ألحقت شراً بشر  
وكل بمربأة مقتفر

سميع بصير طلوب نكر  
تبوع طلوب نشيط آش  
فقلت هبلت ألا تنتصر  
كما خل ظهر اللسان المجر  
كما يستدير الحمار النعر  
كسا وجهها سعف منتشر  
د ركب فيه وظيف عجر  
ب سود يفئن إذا تزبئر  
ن لحم حماتيهما منبتر  
ل أبرز عنها جحاف مضر  
تسد بها فرجها من دبر  
أكب على ساعديه النمر  
ء ركين في يوم ريح وصر  
ن أضرم فيها الغوى السعر  
ن حذفه الصانع المقتدر  
فمنه تريح إذا تنبهر  
وشقت مآقيها من آخر  
من الخضر مغموسة في الغدر  
ململة ليس فيها أثر  
لها ذنب خلفها مسبطر  
تنزل ذو برد منهمر  
فواد خطأ وواد مطر  
ء أخطأها الحاذق المقتدر

فيدركنا فغم داجن  
ألص الضروس حتى الضلوع  
فأنشب أظفاره في النسا  
فكر إليه بمبراته  
فظل يرنح في غيطل  
وأركب في الروع خيفانة  
لها حافز مثل قعب الولي  
لها ثن كخوافي العقا  
وساقان كعباهما أصمعا  
لها عجز كصفاء المسي  
لها ذنب مثل ذيل العروس  
لها متنتان خطاتاكما  
لها عذر كقرون النسا  
وسالفة كسحوق الليا  
لها جبهة كسراة المچ  
لها منخر كوجار الضباع  
وعين لها حذرة بدرة  
إذا أقبلت قلت دباءة  
وإن أدبرت قلت أثفية  
وإن أعرضت قلت سر عوفة  
وللسوط فيها مجال كما  
لها وثبات كصوب السحاب  
وتعدو كعدو نجاة الطبا

- 30 - وقال:

وحدث حديث الراكب إن شئت واصدق  
كنخل من الأعراض غير منبق  
وخففن من حوك العراق المنمق  
تضمخن من مسك ذكي وزنبق  
غوارب رمل ذي ألاء وشبرق  
فحلوا العقيق أو ثنية مطرق  
أمون كبنيان اليهودي خيفق  
تنيف بعذق من غرس ابن معنق  
بإثر جهام رائح متفرق  
بكل طريق صادفته ومأزق  
يرفى ذى زوائد نقق  
لذكرة قيض حول بيض مفلق  
وتسحقه ريح الصبا كل مسح  
بعيد من الآفات غير مروق  
تعفى بذيل الدرع إذ جئت مودقي  
ركود نوادي الربرب المتورق  
شديد مشك الجنب فعم المنطق  
كذئب الغضى يمشي الضراء ويتقي  
وسائره مثل التراب المدقق  
ترى التراب منه لاصقاً كل ملصق  
وخيط نعام.. يرتعي متفرق  
إلى غصن بان ناضر لم يحرق  
على ظهر ساط كالصليف المعرق  
على ظهر باز في السماء محلق

ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق  
وحدث بأن زالت بليل حملهم  
جعلن حوايا واقتعدن قعائدا  
وفوق الحوايا غزلة وجآذر  
فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم  
على إثر حي عامدين لنية  
فعزيت نفسي حين بانوا بجسرة  
إذا زجرت ألفتها مشمعة  
تروح إذا راحت رواح جهامة  
كأن بها هراً جنياً تجره  
كأني ورحلي والقراب وتمرقي  
تروح من أرض لأرض نطية  
يجول بأفاق البلاد مغربا  
وبيت يفوح المسك في حجراته  
دخلت على بيضاء جم عظامها  
وقد ركدت وسط السماء نجومها  
وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل  
بعشا ربيئاً قبل ذلك مخملاً  
فظل كمثل الخشف يرفع رأسه  
وجاء خفياً يسفن الأرض بطنه  
وقال ألا هذا صوار وعانة  
فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد  
نزاوله حتى حملنا غلامنا  
كأن غلامي إذ علا حال منته

رأى أرنباً فانقض يهوى أمامه  
فقلت له صوب ولا تجهده  
فأدبرن كالجزع المفصل بينه  
وأدركهن ثانياً من عنانه  
فصاد لنا عيراً وثوراً وخاضباً  
وظل غلامي يضجع الرمح حوله  
وقام طوال الشخص إذ يخضبونه

إليها وجلاها بطرف ملقلق  
فيدرك من أعلى القطاه فتزلق  
بجيد الغلام ذي القميص المطوق  
كغيث العشي الأقهب المتودق  
عداء ولم ينضح بماء فيعرق  
لكل مهاة أو لأحقب سهوق  
قيام العزيز الفارسي المنطق

فقلنا ألا قد كان صيد لقانص  
وظل صحابي يشتونون بنعمة  
ورحنا كأننا من جوائى عشية  
ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا  
وأصبح زهلولا يزل غلامنا  
كأن دماء الهاديات بنحره

فخبوا علينا كل ثوب مزرق  
يصفون غارا باللكيك الموشق  
نعالي النعاج بين عدل ومشنق  
تصوب فيه العين طوراً وترتقي  
كقدح النضي باليدين المفوق  
عصارة حناء بشيب مفرق

- 31 - وقال:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تتوص  
وكم دونها من مهمة ومفازة  
تراعت لنا يوماً بجنب عنيزة  
بأسود ملتف الغدائر وارد  
منابته مثل السدوس ولونه  
فهل تسلين الهم عنك شملة  
تظاهر فيها الني لا هي بكرة  
أؤوب نعوب لا يواكل نهزها  
كأني ورحلي والقرا ب و غرقي

فتقصر عنها خطوة وتبوص  
وكم أرض جذب دونها ولصوص  
وقد حان منها رحلة فقلوص  
وذي أشر تشوفة وتشوص  
كشوك السيال فهو عذب يفيض  
مداخلة صم العظام أصوص  
ولا ذات ضغن في الزمام قموص  
إذا قيل سير المدلجين نصيص  
إذا شب للمرو والصغار وبيص

بمنعرج الوعساء بيض رصيص  
تحاذر من إدراكه وتحيص  
فأربى حملهن دروص  
معالي إلى المتنين فهو خميص  
وحاركة من الكدام حصيص  
كنائن يجري بينهن دليص  
تجبر بعد الأكل فهو نميص  
مسدس أطارته الرياح وخصوص  
حلي بأعلى حائل وقصيص  
جنادبها صرعى لهن فصيص  
طوالة أرساغ اليدين نحوص  
بلائق خضراً ماؤهن قليص  
وترعد منهن الكلى والفريص  
أقب كمقلاء الوليد خميص  
وجحش لدى مكرهن وقيص  
أقب كسكر الأندري محيص

على نقتق هيق له ولعرسه  
إذا راح للأدحي أوباً يفنها  
أذلك أم جون يطارد آتتاً  
طواء اضطمار الشد فالبطن شارب  
بحاجبه كدح من الضرب جالب  
كأن سرته وجدة ظهره  
ويأكلن من قو لعاعاً وربة  
تطير عفاء من نسيل كأنه  
تصيفها حتى إذا لم يسغ لها  
تغالبن فيه الجزء لولا هواجر  
أرن عليها قارباً وانتحت له  
فأوردها من آخر الليل مشرباً  
فيشربن أنفاساً وهن خوائف  
فأصدرها تعلق النجاد عشية  
فجحش على أدبارهن مخلف  
وأصدرها بادي النواجد قارح

- 32 - وقال:

نام الخلي ولم ترقد  
كليلة ذي العائر الأرمد  
وحبرته عن أبي الأسود  
وجرح اللسان كجرح اليد  
ل يؤثر عني يد المسند  
أعن دم عمرو على مرثد  
وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

تطاول ليلك بالأثمد  
وبات وباتت له ليلة  
وذلك من نبأ جاعني  
ولو عن نثا غيره جاعني  
لقلت من القول ما لايزا  
بأي علاقتنا ترغبون  
فإن تدفنوا الداء لا تخفه

وإن تقصدوا لدم نقصد  
ة والحمد والمجد والسؤدد  
ن والنار والحطب المفاد  
جواد المحثة والمروود  
كمعمعة السعف الموقد  
تضائل في الطي كالمبرد  
كفيض الأتي على الجدد  
ر من خلب النخلة الأحرد  
إذا صاب بالعظم لم ينأد

إذ لا يلائم شكلها شكلي  
إلا صباك وقله العقل  
حتى بخلت كأسوأ البخل  
ومشيت متئداً على رسلي  
قسراً ولا أخطاد بالخنل  
جاوزتها بنجائب فنل  
وأبيت مرتفقاً على رحلي  
في متته كمدبة النمل  
عهد بتمويه ولا صقل  
ولوت شמוש بشاشة البذل

حوراء حانية على طفل  
ولها عليه سراوة الفضل  
حلمي وسدد للنتقى فعلي

فإن تقتلونا نقتلكم  
متى عهدنا بطعان الكما  
وبني القباب وملء الجفا  
وأعددت للحرب وثابة  
سبوحاً جموحاً وإحضارها  
ومشوددة السك موضونة  
تفيض على المرء أردانها  
ومطرداً كرشاء الجرو  
وذا شطب غامضاً كلمه

حي الحمول بجانب العزل  
ماذا يشق عليك من ظعن  
منيتنا بغد وبعد غد  
يا رب غانية لهوت بها  
لا استنقيد لمن دعا لصبا  
وتنوفة جرداء مهلكة  
فبيتن ينهشن الجبوب بها  
متوسداً عضباً مضاربه  
يدعى صقيلاً وهو ليس له  
عفت الديار فما بها أهلي

نظرت إليك بعين جازئة  
فلها مقلدها ومقتلها  
أقبلت مقتصداً وراجعني

- 33 - وقال:

الله أنجدح ما طلبت به  
ومن الطريقة جائر وهدى  
إني لأصرم من يصارمني  
وأخي إخاء ذي محافظة  
حلو إذا ما جئت قال ألا  
نازعه كأس الصبوح ولم  
إني بحبك واصل حبلي  
ما لم أجدك على هدى أثر  
وشمالي ما قد علمت وما

- 34 - وقال:

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا  
وأصبحت ودعت الصبا غير أنني  
فمنهن قولي للندامى ترفقوا  
ومنهن ركض الخيل ترجم بالقنا  
ومنهن نص العيس والليل شامل  
خوارج من برية نحو قرية  
ومنهن سوفي الخود قد بلها الندى  
تعز عليها ريبتي ويسوءها  
بعثت إليها والنجوم طوالع  
فجاءت قطوف المشي هيابة السرى  
يزجينا مشي النزيف وقد جرى  
تقول وقد جردتها من ثيابها  
وجدك لو شيء أتانا رسوله  
فبتنا تسد الوحش عنا كأننا

وعزيت قلباً بالكواعب مولعا  
أراقب خلات من العيش أربعا  
يداجون نشاجاً من الخمر مترعا  
يبادرن سرباً آمناً أن يفزعا  
تيمم مجهولاً من الأرض بلقعا  
يجددن وصلاً أو يقربن مطمعا  
تراقب منظوم التمام مرضعا  
بكاه فتننى الجيد أن يتضوعا  
حذاراً عليها أن تقوما فتسمعا  
يدافع ركنها كواعب أربعا  
صباب الكرى في مخها فتقطعا  
كما رعت مكحول المدامع أتلعا  
سواك ولكن لم نجد لك مدفعا  
قتيلان لم يعلم لنا الناس مضرعا

وتدنى على السائري المضلعا  
بمنكب مقدام على الهول أروعا

تجافى عن الماثور بيني وبينها  
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت

## علقة الفحل الشاعر الجاهلي

### ترجمة الشاعر

هو علقمة بن عبدة، بن النعمان التميمي، من نجد وسادات تميم وشعرائهم المشهورين المتوفى عام 561 م.

شب وترعرع في بادية نجد وكان للبيئة أثرها في الشاعر فأرهفت حسه وصقلت خياله وجلت قريحته، وألمته الشعر الرصين الرائع الديباجة، الفخم الأسلوب الذي يمتلكه الشاعر ويستلج الحواس الحقيق بأن يلقب صاحبه بالفحل.

وسبب تلقيبه بهذا اللقب كما يقال - أنه ابن امرأ القيس وخلفه على زوجته بعد تحاكمهما إليها. وتفصيل الخبر أن علقمة ضاف امرأ القيس - وصديقاً له - فتذاكرا القريض، وادعاه كل منهما على صاحبه، ولج في ذلك فقالت لهما "أم جندب" وكانت سليمة الذوق: قولاً شعراً تصفان فيه الخيل وتذكران الصيد على قافية واحدة وروى واحد، لأنظر أيكما أشعر فرضياً بحكمها وأنشدها على البديهة قصيدتين كبيرتين وأول قصيدة امرئ القيس:

لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

خليلي مرابي على أم جندب

وأول قصيدة علقمة:

ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ذهب من الهجران في غير مذهب

ولما فرغا من إنشادهما قالت أم جندب لبعلة علقمة أشعر منك. فقال وهو يكاد يتميز من الغيظ: وكيف ذلك؟ قالت لأنك قلت:

وللزجر منه وقع أهوج منعب

فللسوط أهوب وللساق ذرة

فزجرت فرسك وجهده بسوطك ومريته بساقك، وقال علقمة:

يمر كمر الرائح المتحلب

فأدر كهن ثانياً من عنانه

فأدر ك الطريدة وهو ثان من عنان فرسه. لم يضره بسوط ولا مره بساق، ولا زجره فتزبد وجهه. وقال لها ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق وطلقها فخلفه عليها علقمة وسمى لذلك الفحل. ويروى أن علقمة لقب بالفحل تمييزاً له عن سمي من قومه هو علقمة بن سهل أحد بني ربيعة بن مالك التميمي، وكان شاعراً مثله، ومن شعره:

يقول رجال من صديق وصاحب  
فلن يعدم الباقر قبرا لجنتي  
أراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا  
ولن يعدم الميراث من المواليا

وخفت عيون الباقيات وأقبلوا  
حراساً على ما كنت أجمع قبلهم  
إلى ما لهم قد بنت عنه بماليا  
هنيئاً لهم جمعي وما كنت واليا

وقد وفد علقمة على الحارث الوهاب سيد بني غسان ملك الشام ومدحه بقصيدته

طحا بك قلب في الحسان طروب  
يعيد الشباب عصر حان مشيب

وكان أخو علقمة شاس أسيراً عند الحارث مع عدة رجال من بني تميم فطلب علقمة إطلاقهم وكان سبب أسرهم على ما يروى أن الحارث الغساني خطب إلى المنذر ابنته هنداً فوعده بها وكانت هند لا تريد الرجال فصنعت مجلدها شبه البرص فندم المنذر على تزويجها وأمسكها عن ملك غسان فنشبت الحرب بسبب ذلك وأسرى خلق كثير من أصحاب المنذر منهم شاس بن عبدة أخو علقمة فلما مدح علقمة الحارث بقصيدته المذكورة وطلب منه فك أسر أخيه لبي الملك دعاءه وأطلق له أخاه وكل الأسرى من قبيلته. ومن شعر علقمة الجيد قصيدة مطلعها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوب  
أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته  
أثر الأحبة يوم البين مشكوم

والنقاد يعجبون بشعر علقمة إعجاباً شديداً.

اجتمع الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهمم والمخبل السعدي وعلقمة الفحل قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فنحروا جزوراً واشتروا خمراً بغير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال أحدهم وقد لعبت برأسه سورة الحميا: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرنا. وقال كل منهم لصاحبه أنا أشعر منك، ثم تحاكموا إلى أول من يطلع عليهم. ومن غرائب المصادفات أن يكون أول طالع حكم العرب وقاضيها الحصيف الرأي ربيعة بن حذار الأسدي. ولما طلع رحبوا به وقالوا له: أخبرنا أيننا أشعر؟ قال أخاف أن تغضبوا. فأمنوه من ذلك. فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضح فيؤكل؛ ولا ترك نيتاً فينتفع به. وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص. وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء. وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة قد أحكم حرزها فليس يقطر منها شيء. وقال ابن الأعرابي "150-240 هـ" لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر ولا وصف أحد النعام إلا احتاج

إلى علقمة بن عبدة ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني.  
 وقال أبو عبد الله بن سلام الجمحي المتوفي عام 231 هـ في كتابه طبقات الشعراء لابن عبدة ثلاث روائع  
 جياذ لا يفوقهن شعر: الأولى "طحا بك قلب في الحسان طروب" والثانية "ذهبت من المهجران غير  
 مذهب"، والثالثة "هل ما علمت وما استودعت مكتوم". وقد شارك ابن سلام في رأيه هذا ابن رشيق  
 القيرواني في كتابه "العمدة" وقد ذكره ابن سلام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية.  
 وقال ابن سعيد المغربي "610-693 هـ" في كتابه "عنوان المرقصات والمطربات" "معاني الغوص في شعر  
 علقمة معدومة، وأقرب ما وقع له قوله:

**أوردتها وصدور العبس مسنفة** **والصبح بالكوكب الدري منحور**

يشير إلى أن كوكب الصبح مثل سنان الحربة طعن به فسال منه دم الشفق وإذا تبين هذا المعنى كان من  
 المرقصات.. وقوله:

**يحملن أترجة نضح العبير بها** **كأن تطيبها في الأنف مشوم**

يشير إلى أن ما نال هذه المرأة من مضض السير واصفرار لونها كالأترجة وأنها كلما تحركت تزيد طيباً!  
 ومنه أخذ ابن الرمي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيب ثغرها".  
 وقال أبو عمرو بن العلاء "68-154 هـ" "أعلم الناس بالنساء علقمة بن عبدة حيث يقول:

**فإن تسألوني بالنساء فإنني** **بصير بأدواء النساء طبيب**

**إذا شاب رأس المرء أو قل ماله** **فليس له من ودهن نصيب**

**يردن ثراء المال حيث علمنه** **وشرخ الشباب عندهن عجيب**

وكانت العرب - كما يقول حماد الراوية - تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوا منها كان مقبولاً، وما  
 ردوا منها كان مردوداً، فقدم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي أولها:

**هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟** **أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم**

فقالوا: هذا سمط الدهر.. ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم درته التي مطلعها "طحابك" فقالوا: هاتان  
 سمطا الدهر.

وقد عمر علقمة طويلاً، وتوفي عام 561، ويروي بعض الباحثين أنه عمر بعد ذلك طويلاً وتوفي 265؛  
 وله أبناء شعراء منهم خالد، وعلي، ولعلي ابن شاعر اسمه عبد الرحمن.

**شرح المختار من شعر علقمة**

1 - قال علقمة بن عبدة يمدح الحارث بن أبي شمر الغساني:

طحا بك قلب في الحسان طروب  
يكلفني ليلى وقد شط وليها  
منعمة لا يستطاع كلامها  
إذا غاب عنها البعل لم تفش سره  
فلا تعدلي بيني وبين مغمر  
سقالك يمان ذو حي وعارض  
وما أنت أم ما ذكرها ربعية  
فإن تسألوني بالنساء فإنني  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله  
يردن ثراء المال حيث علمنه  
فدعها وسل الهم عنك بحسرة  
وناجية أفنى ركيب ضلوعها  
وتصبح عن غب السرى وكأنها  
تعفق بالأرطى لها وأرادها  
إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي  
لتبلغني دار امرئ كان نائياً  
إليك "أبيت اللعن" كان وجيفها  
تتبع أفياء الظلال عشية  
هداني إليك الفرقدان ولاحب  
بها جيف الحسرى فأما عظامها  
فأوردتها ماء كأن جمامه  
تراد على دمن الحياض فإن تعف  
وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتي

بعيد الشباب عصر حان مشيب  
وعادت عواد بيننا وخطوب  
على بابها من أن تزار رقيب  
وترضى إياب البعل حين يؤوب  
سقتك روايا المزن حيث تصوب  
تروح به جنح العشي جنوب  
يخط لها من ثرمداء قليب  
بصير بأدواء النساء طيب  
فليس له من ودهن نصيب  
وشرخ الشباب عندهن عجيب  
كهمك فيها بالرداف خبيب  
وحاركها تهجر فدؤوب  
مولعة تخشى القنيص شوب  
رجال فبذت نبلهم وكيب  
لكلكها والقصر بين وجيب  
فقد قربتني من نذاك قروب  
بمشتبهات هو لهن مهيب  
على طرق كأنهن سبوب  
له فوق أصراء المتان علوب  
فبيض، وأما جلدها فصليب  
من الأجن حناء معاً وصيب  
فإن المندى رحلة فركوب  
وقبلك ربنتي فضعت ربوب

وغودر في بعض الجنود ربيب  
لأبوا خزايا والإياب حبيب  
وأنت لبيض الدارين ضروب  
عقياً سيوف مخذم ورسوب  
وقد حان من شمس النهار غروب  
وأنت بها يوم اللقاء تطيب  
وهنب وقاس جالدت وشبيب  
كما خششت ييس الحصاد جنوب  
وما جمعت جل معاً وعيب  
بشكته لم يستلب وسليب  
صواعقها لطيرهن دبيب  
والإطمر كالقناة نجيب  
بما ابتل من حد الطبات خضيب  
فحق لشأس من نذاك ذنوب  
مساو ولا دان لذاك قريب  
فإني امرؤ وسط القباب غريب  
تنزل من جو السماء يصبوب

فأدت بنو كعب بن عوف ربيبها  
فوالله لولا فارس الجون منهم  
تقدمه حتى تغيب حجوله  
مظاهر سربالي حديد عليهما  
فجالدتهن حتى اتقوك بكبشهم  
تجود بنفس لا يجاد بمثلها  
قاتل من غسان أهل حفاظها  
تخشخش أبدان الحديد عليهم  
كأن رحال الأوس تحت لبانه  
رغا فويهم سقب السماء فداحض  
كأنهم صابت عليهم سحابة  
فلم تتج إلا شطبة بلجامها  
والإكمي ذو حفاظ كأنه  
وفي كل حي قد خبطت بنعمة  
وما مثله في الناس إلا قبيله  
فلا تحرمني نائلاً عن جنابة  
فلمست لإنسي ولكن لملاك

- 2 - وقال علقمة أيضاً:

أم حبليها إذ نأتك اليوم مصروم  
إثر الأحبة يوم البين مشكوم  
كل الجمال قبيل الصبح مزوم  
فكلها بالتزديدات معكوم  
كأنه من دم الأجواف مدموم  
كأن تطيابها في الأنف مشموم

هل ما علمت وما استودعت مكتوم  
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته  
لم أدر بالبين حتى أزمعوا طعنأ  
رد الإماء جمال الحي فاحتملوا  
عقلاً ورقماً تظل الطير تتبعه  
يحملن أترجة نضج العبير بها

للباسط المتعاطي وهو مزكوم  
دعماء حاركها بالقنب محزوم  
كتر كحافة كير القين ملموم  
في الخد منها وفي اللحيين تلغيم

من ناصع القطران الصرف ترسيم  
حدورها من أتي الماء مطموم  
إلا السفاه وظن الغيب ترجيم  
كأنها رشأ في البيت ملزوم  
جلذية كأتان الضحل علكوم  
كما توجس طاوي الكشح موشوم  
أجنى له باللوى شرى وتتوم  
وما استطف من التتوم مخدوم  
أسك ما يسمع الأصوات مصلوم  
يوم رذاذ عليه الريح مغيوم  
ولا الزفيف دوين الشد مسؤوم  
كأنه حاذر للنحس مشهوم  
كأنهن إذا بركن جرثوم  
كأنه يتناهى الروض علجوم  
أدحي عرسين فيه البيض مركوم  
كما تراطن في أفدانها الروم  
بيت أطافت به خرقاء مهجوم  
تجيبه بزمار فيه ترنيم  
عريفهم بأثافي الشر مرجوم

كأن فارة مسك في مفارقها  
فالعين مني كأن غرب تحط به  
قد عريت حقبة حتى استطف لها  
كأن غسلة خطمي بمشفرها

قد أدبر العر عنها وهي شاملها  
تسقي مذانب قد زالت عصيفتها  
من ذكر سلمى وما ذكرى الأوان لها  
صفر الوشاحين ملء الدرع خرعية  
هل تلحقي بأولي القوم إذ شحطوا  
تلاحظ السوط شزراً وهي ضامرة  
كأنها خاضب زعر قوائمه  
يظل في الحنظل الخطبان ينقفه  
فوه كشق العصا لأياً تبينه  
حتى تذكر بيضات وهيجه  
فلا تزيده في مشيه نفق  
يكاد منسمه يختل مقلته  
يأوي إلى خرق زعر قرادتها  
وضاعة كعصي الشرع جوؤوه  
حتى تلافى وقرن الشمس مرتفع  
يوجي إليها بإنقاض ونقفة  
صعل كأن جناحيه وجوؤوه  
تحفه هقلة سطاء خاضعة  
بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا

والبخل مبق لأهليه ومذموم  
على نقادته واف ومعلوم  
مما تضمن به النفوس معلوم  
والحلم آونة في الناس معدوم  
أنى توجه والمحروم محروم  
على سلامته لابد مشؤوم  
على دعائمه لابد مهدوم  
والقوم تصرعهم صهباء خرطوم  
الغض أربابها حانية حوم  
ولا يخالطها في الرأس تدويم  
يجنها مدمج بالطين مختوم  
وليد أعجم بالكتان مفدوم  
مقدم بسبا الكتان ملثوم  
مقلد قضب الريحان مفعوم  
ماض أخو ثقة بالخير موسوم  
يوم تجيء به الجوزاء مسموم  
دون الثياب ورأس المرء معموم  
يهدى بها نسب في الحي مغلوم  
ولا السنابك أفناهن تقليم  
نو فيئة من نوى قران معجوم  
كأن دفا على علياء مهزوم  
من الجمال كثير اللحم عبثوم  
حنت شغاميم في حافاتها كوم  
خضر المزاد ولحم فيه تنشيم

والجود نافية للمال مهلكة  
والمال صوف قرار يلعبون به  
والحمد لا يشتري إلا له ثمن  
والجهل ذو عرض لا يستراد له  
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه  
ومن تعرض للغربان يزجرها  
وكل بيت وإن طالت إقامته  
قد أشهد الشرب فيهم مزهور رنم  
كاس عزيز من الأعناب عتقها  
تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبها  
عانية قرقف لم تطلع سنة  
ظلت ترقرق في الناجود يصفقها  
كأن إبريقهم ظبي على شرف  
أبيض أبرزه للضح راقبه  
وقد غدوت على قرني يشيعني  
وقد علوت قنود الرحل يسفني  
حام كأن أوار النار شامله  
وقد أقود أمام الحي سلهبة  
لا في شظاها ولا أرساغها عتب  
سلاءة كعصا النهدي غل بها  
تتبع جونا إذا ما هيجت زجلت  
يهدى بها أكلف الخدين مختبر  
إذا ترغم من حافاتها ربع  
وقد أصاحب فتياناً طعامهم

وقد يسرت إذا ما الجوع كلفه  
لو ييسرون بخيل قد يسرت بها  
- 3 - وقال علقمة أيضاً يعارض امرأ القيس:

معقب من قداح النبع مقروم  
وكل ما يسر الأقوم مغروم  
ولم يك حقاً كل هذا التجنب  
ليالي حلوا بالستار فغرب  
على شادن من صاحبة متريب  
من القلقى والكبيس الملوب  
تبلغ رس الحب غير المكذب  
تحل بأير أو بأكناف شريب  
فقد أنهجت حبالها للتغضب  
كموعد عرقوب أخاه بيثرب

ذهبت من الهجران في غير مذهب  
ليالي لا تبلى النصيحة بيننا  
مبتلة كأن أنضاء حليها  
محال كأحواز الجراد ولؤلؤ  
إذا ألم الواشون للشر بيننا  
وما أنت أم ما ذكرها ربعة  
أطعت الوشاة والمشاة بصرمها  
وقد وعدتك موعداً لو وقت به

تشك وإن يكشف غرامك تدرب  
ذوات العيون والبنان المخضب  
بيشة ترعى في أراك وحلب  
فأنجح آيات الرسول المخيب  
بمثل بكور أو رواح مؤوب  
كهملك مرقال على الأين دغلب  
ترقب مني غير أدنى ترقب  
لمحجرها من النصيف المنقب  
عثاكيل عذق من سميحة مرطب  
كذب البشير بالرداء الذهب  
وماء الندى يجري على كل مذنب  
طراد الهوادي كل شأن معرب

وقالت متى تبخل عليك بعثل  
فقلت لها فيئ فما تستقرني  
ففاعت كما فاعت من الأدم مغزل  
فعشنا بها من الشباب ملاوة  
فإنك لم تقطع لبانة عاشق  
بمجرة الجنين حرف شملة  
إذا ما ضربت الدف أوصلت صولة  
بعين كمرأة الصناعات تديرها  
كأن بحادتها إذ ما تشذرت  
تذب به طوراً وطوراً تمره  
وقد أغتدي والطير في وكناتها  
بمنجرد قيد الأوابد لاحه

على نفث راق خشية العين مجلب  
لمع الرداء في الصوان المكعب  
مع العتق خلق مفعم غير جأنب  
كسامعتي مذعورة وسط ربرب  
من الهضبة الخلقاء زحلو ف ملعب  
إلى سند مثل الغيط الم ااب  
سلام النطى يغشى بها كل مركب  
حجارة غيل وارسات بطحلب  
ولكن نادى من بعيد ألا اركب  
صبوراً على العلات غير مسبب  
وأكرعه مستعملاً حير مكسب  
كمشي العذارى في الملاء المهذب  
خرجن علينا كالجمار المتقرب  
حثير كغيث الراح المتحلب  
على جدد الصحراء من شد ملهب  
تجلله شؤوب غيث منقرب  
يداعسهن بالنضى المعلب  
بمدراته كأنها ذلق مشعب  
وتيس شبوب كالهشيمة قرهب  
فخبوا علينا فضل برد مطنب  
إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب  
وأرحلنا الجزع الذي لم يتقرب  
نعالي النعاج بين عدل ومحقب  
أداة به من صائك متحلب

بغوج لبانيه ثم بريمه  
كميت كلون الأرجوان نشأته  
ممر كعقد الأندري يزينه  
له حرتان تعرف العتق فيهما  
وجوف هواء تحت متن كأنه  
قطاة تكردس المحالة شرفت  
وغلّب كأعناق الضباع مصيغها  
وسمر يفلقن الظراب كأنها  
إذا ما افتصنا لم نخاتل بجنه  
أحاطفة لا يلعن الحي شخصه  
إذا انفدوا زاداً فإن عنانه  
رأينا شياهاً ترتعين خميلة  
فينا تمارينا وعقد عذاره  
فأتبع أدبار الشياه بصادق  
ترى الفأر عن مسترغب القدر لائناً  
خفى الفأر من أنفاقه فكأنما  
فظل لنيران الصريم غماغم  
فهاو على حر الجبين ومتق  
وعادى عداء بين ثور ونعجة  
فقلنا ألا قد كان صند لقانص  
فظل الأكف يختلن بحاند  
كأن عيون الوحش حول خبائنا  
ورحنا كأنامن جؤاى عشية  
وراح كشاة الربل ينغض رأسه

## وراح يباري في الجناب قلو صنا

## عزيزاً علينا كالجباب المسبب

قال الأعلام: كمل جميع ما رواه الأصمعي من شعر علقمة، ونذكر قطعاً من شعره مما رواه أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي "القبالي" عن الطوسي وابن الأعرابي وغيرهما.

- 4 - وقال في فكه أحاء شأسا:

كان لقومي في الفداء جدد

دافعته عنه بشعري إذ

تسعين أسرى مقرنين صدد

فكان فيه ما أتاك وفي

طار لأطراف الطبات وقد

دافع قومي في الكتيبة إذ

أغلال منهم والحديد عقد

فأصبحوا عند ابن جفنة في ال

هكة غي بادئ ورشد

إذ مخنب في المخنيين وفي الن

- 4 - وقال علقمة أيضاً:

إلينا وحانت غيلة المتفقد

تراعت وأستار من البيت دونها

بريمين شتى من دموع وإثم

بعيني مهاة يخدر الدمع منهما

من الحلي سمطى لؤلؤ وزبرجد

وجيد غزال شارذ فردت له

- 6 - وقال علقمة أيضاً أو علي بن علقمة في يوم الكلاب الثاني:

بنجدران في شاء الحجار الموقر

ود نفير للمكاور أنهم

حفاة وأعيا كل أعيس مسفر

أسعيا إلى نجران في شهرناجر

كأنهم تذييح شاء معتر

وقرت لهم عيني بيوم حذنة

كثير عظام الرأس ضخم المذمر

عمدتم إلى شلو تنوذر قبلكم

- 7 - وقال علقمة أيضاً:

هش جررت له الشواء بمسعر

وأخي محافظة طليق وجهه

بيدي أغر يجر فضل المنزر

من بازل ضربت بأبيض باتر

من نص راكبها سفائف عرعر

ورفعت راحلة كأن ضلوعها

واستن في أفق السماء الأغبر

حرجاً إذا هاج السراب على الصوى

- 8 - وقال في مولى له، وينسب هذا الشعر لابنه خالد:

كما دملت ساق تهاض بها وقر

ومولى كمولى الزبرقان دملته

إذا ما أحالت والجبائر فوقها      أتى الحول لا براء جبير ولا كسر  
تراه كأن الله يجدع نفسه      وعينيه إن مولاه ثاب له وفر  
ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه      كضب الكدى أفنى أنامله الجفر

- 9 - وقال علقمة وينسب هذا الشعر لحفيده عبد الرحمن بن علي بن علقمة:

وشامت بي لا تخفي عداوته      إذا حمامى ساقته المقادير  
إذا تضممني بيت برابية      آباو سراعاً وأمسى وهو مهجور  
فلا يغرنك جري الثوب معتجراً      إني امرؤ في عند الجد تشمير  
كأنني لم أقل يوماً لعادية      شدوا ولا فتية في موكب سيروا  
ساروا جميعاً وقد طال الوجيف بهم      حتى بدا واضح الأقراب مشهور  
ولم أصبح جمام الماء طاوية      بالقوم وردهم للخمس تبكير  
أوردتها وصدور العيس مسنفة      والصبح بالكوكب الدري منحور  
تباشروا بعد ما طال الوجيف بهم      بالصبح لما بدت منه تباشير  
بدت سوابق من أولاه نعرفها      وكبره في سواء الليل مستور

كامل المختار من شعر علقمة بن عبدة التميمي.

### النابعة الذبياني 535 - 604 م

- 1 - هو زيادة بن معاوية من غيظ بن مرة من ذبيان من قيس من مضر؛ وكنيته أبو أمامة، ولقب بالنابعة لنبوغه في الشعر وهو كبير دفعة واحدة بعد أن أحكمته التجارب ومشى به السن وهو أ حد الأشراف الذين غض الشعر منهم، ويعد من شعراء الطبقة الأولى مع امرئ القيس، وكانت تضرب له قبل بسوق عكاظ فتأتية الشعراء تعرض عليه أشعارها فيفاضل بينهم.

وكان النابعة من أشراف قومه، ومع تكسبه بالشعر فإنه كان يعتز بنفسه، لا كما صنع الأعشى. وكان يقصد الملوك ويمدحهم في غير صنعة فيجزلون له العطاء. اتصل بالنعمان بن المنذر أبي قابوس ملك الحيرة الذي تولى الملك من عام 580 - 602 م، ومدحه بقصائد رائعة كثيرة، فقربه النعمان إليه، وصار أثيراً عنده ومن ندمائه، وغمره بعطائه الجزل، حتى صار النابعة يأكل في صحاف الذهب والفضة، ثم غضب عليه.. وتختلف الروايات في سبب ذلك.

قيل إن النابغة رأى زوجة النعمان "المتجردة" يوماً في حين غفلة فسقط نصيفها عن وجهها فاستترت بيدها وذراعها، فقال فيها قصيدته:

أمن آل أمية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

فامتلاً النعمان غضباً وأوعد النابغة فهرب.. وقيل إن غضب النعمان عليه لأن أحد خصوم النابغة وهو عبد القيس التميمي ومرة بن سعد السعدي نظماً هجاء في النعمان على لسان النابغة وأنشد النعمان أبياتاً منها:

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن ض ر الأقصي ومن يخون الخليلا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يبرزأ العدو فتيللا

وكانت أم النعمان بنت صائغ من فدك - بلدة قريبة من المدينة - فنبر النابغة من ذلك الشعر، ولكنه خاف على نفسه فهرب إلى الشام.

وقيل ان سبب وعد النعمان للنابغة أنه كان هو والمنخل اليشكري جالسين في مجلس النعمان ومعهم زوجته المتجردة، فقال النعمان للنابغة: صفها في شعرك. فقال قصيدته:

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

فلحقت المنخل غيرة، فقال للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من عرف. فحقد النعمان على النابغة وعلم بذلك فخافه وهرب. وقيل إن النابغة وصف امرأة بقصيدته "يا دار مية بالعلياء فالسند" فوشى للنعمان أنه يعني زوجته المتجردة.. وأياً ما كان فقد كان لوشايات خصوم النابغة أثرها في تغير قلب النعمان وسخطه عليه، فهرب وأتى قومه، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام، وكانوا أعداء للملوك الحيرة، فاتصل النابغة بعمرو بن الحارث الأصغر ملك غسان ومدحه ومدح أخاه النعمان وظل لديه حتى مات، وملك أخوه النعمان، فأقام عنده أثيراً لديه. ولكنه كان يحن إلى بلاط النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ويرسل إلى الملك قصائد من اعتذارياته الرائعة يتبرأ فيها مما رمى به ويعتذر مما كان. وتوالت اعتذاراته على النعمان فعفا عنه فعاد إليه وعاشره في الحيرة.. ويقال أن النابغة استجار ببعض المقرين لدى النعمان فكلّمه في شأنه، حتى أمنه وأمر له بمائة بغير. ويقال أن النابغة علم بمرضه فلم يملك صبره وسار إليه فألفاه في مرضه فمدحه. ثم عوفي النعمان فأمنه وأقام عنده، وظل النابغة عظيماً شريفاً مكرماً عند الملوك والأمراء، وتوفي عام 604 م.

2 - وفي الأغاني ترجمة طويلة له، وكذلك في الشعر والشعراء لابن قتيبة كما عرض له ابن سلام في طبقات الشعراء، وكذلك شعراء النصرانية، وكذلك صاحب كتاب تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، وأخرج الأستاذ عمر الدسوقي كتاباً عنه، كما نشر عدد عنه في سلسلة "الروائع" .. وعرض له صاحب الجمهرة، والمرزباني في الموشح، وكثير من العلماء، كما كتب عنه الزيات وجورجي زيدان وأصحاب الوسيط والمفصل، وسواهم.

وشعر النابغة لطيف رقيق إذا تملكته عاطفة قوية من إشفاق أو حماسة أو رهبة كما ترى في أهاجيه ومدائحه واعتذارياته، وقيل عنه أشعر الناس إذا رهب وهو في اعتذارياته حزين عميق الحزن قلق مضطرب يداخله التشاؤم واليأس الشديد ذلك كله لأن خيال الشاعر دقيق واسع، يسمو إلى درجة عالية في إكمال الصورة وإيضاح المشابهات، يتوسع بالتشبيه، ويفسح له خياله المجال في التصوير، كما في وصفه للفرات أو لغيره.

وتمتاز معانيه بالدقة والانسجام والتآلف والصدق والقرب من العقل والبعد عن التعقيد والغموض، مع مراعاة المخاطبين، ومع البصر بمواقع الكلام. وقد أجاد النابغة في المدح والاعتذار والعزل والفخر إجازة بالغة كما أجاد في الوصف والثناء والحكمة إجادة دون ذلك.

وأسباب إجادته في المدح معروفة منها حب المال، وخصب الخيال، وقوة الذكاء، وميله إلى التجويد والتنقيح، والتهذيب إلى غير ذلك من الأسباب. وإجادته في الاعتذار كذلك كان الباعث عليها الرهبة والخوف مع الرغبة والأمل. أما الوصف فقد أجاد في بعض دون البعض الآخر، فأجاد في وصف الثور والوحش والفرات وما إلى ذلك. وقال الأصمعي: لم يكن النابغة وزهير وأوس يحسنون صفة الخيل، ولكن طفيل الغنوي أحسن في صفة الخيل غاية الإحسان.

3 - ويمتاز شعر النابغة ببلوغه غاية الحسن والجودة ونقاوته من العيوب وجودة مطالع قصائده وأواخرها. وكان البدو من أهل الحجاز يحفظون شعره ويفخرون به لحسن ديباجته وجمال رونقه وجزالة لفظه وقلة تكلفه وليس له نظير في وصف الإحساسات النفسية كالخوف وما شابه ذلك. أجاد في المدح كما بلغ الغاية في الاعتذار واعتذارياته إلى النعمان من عيون الشعر العربي وهي فن جديد من فنون الشعر الجاهلي. وتبلغ غاية الجودة والإحسان ومنها قوله:

ولا قرار على زار من الأسد

نبئت أن أبا قابوس أو عدني

مهلاً فداء لك الأقسام كلهم

وما أثمر من مال ومن ولد

وقوله:

أتاني أبيب اللعن أنك لمتني

وتلك التي تستك منها المسامح

مقالة أن قد قلت سوف أناله

وذلك من تلقاء مثلك رائع

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه

وسيف أعيرته المنية قاطع

أبي الله إلا عدله ووفاءه

فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وقوله:

أتاني أبيب اللعن أنك لمتني

وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشني

هراساً به يعلى فراشي ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

ألم تر أن الله أعطاك سورة

ترى كل ملك دونها يتذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد عده بعض العلماء من شعراء المعلقات ومطلع معلقته:

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأمد

وتقع في واحد وخمسين بيتاً. وهي من قصائده الاعتذاريات، بدأها ببيكاء الاطلاق كالمألوف من أشعار الجاهلية، ثم انتقل من ذلك إلى وصف ناقته:

فقد عما ترى إذ لا ارتجاع له

وانم القنود على عيرانة أجد

وشبهها بوحش وجرة، ثم أفاض كعادته في وصف وحش وجرة، والكلاب الصائدة، ودخل من ذلك إلى النعمان:

فتلك تبلغني النعمان إن له

فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه

وما أحاشي من الأقسام من أحد

ثم طلب إليه أن يكون حكيماً في أمره، لا يقبل سعاية الساعين، ونفى عن نفسه ما اتهم به

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه

إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

هذا لأبرأ من قول قذفت به

كانت نوافذه حراً على الكبد

ثم مدحه بالكرم، وأنه يشبه نهر الفرات، واسترسل في وصف الفرات كعادته أيضاً.. وختمها بقوله:

ها إن تاعذرة إلا تكن نفعت

فإن صاحبها قد تاه في البلد

ويظهر من شعره التدين والتزام مكارم الأخلاق، فهو يقول:

قالت أراك أخاباً رحل وراحلة

تغشى متالف لن ينظرتك الهرما

حياك ربي فأنا لا يحل لنا

لهو النساء وإن الدين قد عزما

مشميرين على خوص مزمنة

نرجو الإله ونرجو البر والطعما

وقوله:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقي حومة المستأسد الحامي

وقوله:

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكاً همماً

من علا وجاوز الأقواما

وقدم عمر بن الخطاب النابغة على جميع الشعراء في غير موضع، وفضله على جميع شعراء غطفان في موضع آخر، ويروى عن حسان قصة تدل على مكان النابغة عند النعمان وفضله لديه على جميع الشعراء، وحسان منهم. وحضر النابغة سوق عكاظ مرة فأنشده الأعشى ثم حسان ثم شعراء آخرون ثم الخنساء فقال لها: لولا أن أبا بصير أنشدني لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال له حسان: أنا أشعر منك ومن أهلك. فقال له النابغة: يابن أخي إنك لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المنتأى عنك أوسع

ومن روائع شعره قصيدته:

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

ومن معانيه المتدعة قوله:

نبئت أن أبا قانوس أوعدي

ولا قرار على زار من الأسد

وقوله:

فلو كفى اليمين بغتك خونا

لا فردت اليمين عن الشمال

وأخذه عن المثقب العبدى فقال:

بنصر لم تصاحبها يميني

ولو أني تخالفني شمالي

وقوله:

كذي العري يكوي غيره وهو رائع

فحملتني ذنب امرئ تركته

وقد أخذت الكميت فقال:

بهن العر قبلي ما كويننا

ولا أكوي الصحاح براتعات

وقوله وهو أحسن ما قيل في العفة:

يحيون بالريحان يوم السباسب

رقاق النعال طيب حجاتهم

وما يتمثل به من شعره:

تتهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة

وقوله:

فتبا يعرض بغارب ملحاحا

واستبق ودك للصديق ولا تكن

أخذه ابن ميادة فقال:

كما يلح بعض الغارب القتب

ما إن ألح على الإخوان أسألهم

ومما يمثل به من شعره قوله:

عبد الإله ضرورة متعبد

لونها عرضت لأشمط راهب

ولخاله رشدا وإن لم يرشد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها

أخذه ربيعة بن مقروم فقال:

في رأس مشرفة الذرى يتبتل

لو أنها عرضت لأشمط راهب

ولهم من ناموسه يتنزل

لرنا لبهجتها وحسن حديثها

ومن أمثالها ثم أصدق من قطة - قال النابغة

يا حسنها حين تدعوها فتنسب

تدعو القطاويها تدعى إذا نسبت

أخذه ابو نواس فقال أصدق من قوة قطة قطا. ومن حكمه:

على شعث، أي الرجال المهذب؟

ولست بمستبق أخا لا تلمه

ومما سبق إليه قوله:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها

وقد أخذه أبو نواس فقال:

نظر السقيم إلى وجوه العود

ضعيفة كر الطرف تحسب أنها

ومما يستحسن من قوله:

قريبة عهد بالأفاقة من سقم

حسب الخليين نأي لأرض بينهما

وقوله:

هذا عليها وهذا تحتها بالي

المرء يأمل أن يعي

تفنى بشائسته ويب

وتخونه الأيام ح

كم شامت بي إن هلك

ومما سبق إليه ولم يحسن تشبيهه قوله:

ش وطول عيش قد يضره

قى بعد حلو العيش مره

تى لا يرى شيئاً يسره

ت وقائل: لله دره

من وحش وجرة موشى أكارعه

طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فشبه الثور في بياضه والتماعه بالسيف المجرد من الغمد، ولم تسمع كلمة "الفرد" إلا في هذا الشعر؛ وللطرماح في المعنى نفسه:

يبدو وتضمرة البلاد كأنه

سيف على شرف يسل ويغمد

وهذا أكمل في التشبيه لدلالته على الاختفاء، والظهور المأخوذ من حركة هذا الثور الوحشي.

وفضل ناقد أمام الأصمعي قول النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها

نظر السقيم إلى وجوه العود

وقوله:

فإنك كالليل الذي هو مدكي

وإن خلت أن المنتأى عنك أوسع

وقوله:

من وحش وجرة موشى أكارعه

طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فقال الأصمعي: أما تشبيهه مرض الطرف فحسن، إلا أنه هجنه بذكره العلة وتشبيهه المرأة بالليل، وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنها بين النساء أعارها

عينيهِ أهور من جآذر جاسم

### وسنان أقصده النعاس فرنقت

### في عينه سنة وليس بنائم

وأما تشبيه الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه، وإنما كان سبيله أن يأتي بما ليس له سيم؛ حتى يأتي بمعنى ينفرد به ولو قال قائل: إن قول "النمري" في هذا أحسن لو وجد مساعاً إلى ذلك، حيث يقول:

### فلو كنت بالعنقاء أو بسنامها

### لخلتك إلا أن تصد تراني

وأما قوله: "طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد" فالطرمح أحق بهذا المعنى؛ لأنه أخذه فجوره، وزاد عليه، وإن كان النابغة اخترعه، وقول الطرمح هو:

### يبدو وتضمرة البلاد كأنه

### سيف على شرف يسلم ويغمد

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله "وتضمرة البلاد" وتشبيهه اثنين بقوله "يبدو وتضمر، ويسلم ويغمد"؛ وجمع حسن التقسيم، وصحة المقابلة. وقال جعفر أمام الأصمعي في مجلس الرشيد: لست أفص على شاعر واحد أنه أحسن الناس في بيت تشبيهاً، ولكن قول امرئ القيس:

### كائن غلامي إذ علا حال منته

### على ظهر باز في السماء محلق

وقول عدي بن الرقاع:

### يتعاوران من الغبار ملاءة

### غبراء محكمة هما نسجاها

### تطوى إذا وردا مكاناً خاسئاً

### وإذا السنايك أسهلت نشرها

وقول النابغة:

### بأنك شمس والملوك كواكب

### إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

قال الأصمعي: قلت هذا حسن كله بارع، وغيره أحسن منه؛ وإنما يجب أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله، ولم يتعرض له أحد، أو تعرض له شاعر فوقه دونه. فأما قول امرئ القيس: "على ظهر باز في السماء محلق". فمن قول أبي داود.

### إذا شاء راكمه ضمه

### كما ضم بازي السماء الجناحا

وأما قول عدي: "يتعاوران من الغبار ملاءة" فمن قول الخنساء:

### جاري أباه فأقبلا وهما

### يتعاوران ملاءة الحضر

وأول من نطق به جاهلي من بني عقيل، قال:

ألا يا دار الحي بالبرهان  
عفت حجج بعدي لهن ثمانى  
فلم يبق منها غير نؤدى مهدم  
وغيره أثاف كالركى دفان  
وآثار هاب أوراق اللون سافرت  
به الريح والأمطار كل مكان  
قفار مريرات يحاز بها القطار  
ويضحى بها الجنان يعتركان  
يثيران من نسج الغبار عليهما  
قميص أسمالا ويرنديان

وشارك عدياً أبو النجم، وأورده في أحسن لفظ، قال يصف عيراً وأتانا، وما أثاراه من الغبار بعدوهما:

ألقى بجنب القاع من حبالها  
سرباله وانشام في سربالها

وأما قول النابغة: "بأنك شمس والملوك كواكب" فقد تقدمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند، وهو أحق به من النابغة إذ كان أبا عذرتة، فقال:

وكادت تميد الأرض بالناس إذ رأوا  
لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب  
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت  
عل كل ضوء والملوك كواكب

قال الأصمعي: فكأنى والله ألقمت جعفرأ حجراً فاهتز الرشيد فوق سريره وكاد يطير عجباً وطرباً.  
وقال: والله لله درك يا أصمعي اسمع الآن ما كان عليه اختياري ليقبل أمير المؤمنين فقال عينت على ثلاثة أشعار أقسم بالله أنى أملك السبق بأحدها ثم قال الرشيد أتعرف يا أصمعي تشبيهاً أفخر أو أعظم في أحقر مشبه وأصغره في أحسن معرض من قول عنترة الذي لم يسبقه إليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع في مجاراته طامع حين شبه ذباب الروض العازب في قوله:

وخلا الذباب بها فليس مبارح  
غردا كفعل الشارب المترنم  
هزجا يحك ذراعه بذراعه  
فعل المكب على الزناد الأجدم

ثم قال: يا أصمعي هذا من التشبيهات العقم التي لا تنتج، فقلت كذلك هو يا أمير المؤمنين ومجدك آليت ما سمعت قط أحداً يصف شعره بأحسن من هذه الصفة ولا استطاع بلوغ هذه الغاية فقال مهلاً لا تعجل.. أتعرف أحسن من قول الحطيئة يصف لغام ناقته أو تعلم أحداً قبله أو بعده شبه تشبيهه، حيث يقول:

ترى بين لحبيها إذا ما ترغمت  
لغاماً كنسج العنكبوت الممدد

فقلت والله ما علمت أحداً تقدمه إلى هذا التشبيه، أو أشار إليه بعده ولا قبله قال أتعرف بيتاً أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامه سقط ريشها وبقي أثره في قوله:

كأنما مننتى أقماع ما مرطت

من العفاء بليتيها التأليل

فقلت ولا والله يا أمير المؤمنين، فالتفت إلى يحيى، فقال أوجب؟ فقال وجب، ويؤخذ على النابغة بعض مبالغات في معانيه كقوله:

إذا ارتعشت خاف الجبان رعائها

ومن يتعلق حيث علق يفرق

وكقوله: تقد السلوقى المضاعف نسجه=وتوقد بالصفاح نار الحباحب فقد ذهب إلى أن سيفه يقطع الدرع المضاعف والفارس والفرس ثم يذهب في الحجارة فيقدح فيها الشرر. ويؤخذ عليه قوله:

وكننت امرأ لا أمدح الدهر سوقه

فلمست على خير أتاك بجاحد

فتراه يمتن على ممدوحه بمدحه إياه، وجعله خيراً أتاه ولا يحسد عليه، وإنما يحسن الثناء إذا كان خالصاً من كل وجه.

وأخذوا عليه الخنونة في بعض معانيه، كقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

- 1 - قال النابغة الذبياني بمدح النعمان ويعتذر إليه:

يا دار مية بالعلياء فالسند

أفوت وطل عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها

عيت جواباً وما بالربع من أحد

إلا الأوارى لأياً ما أبينها

والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ردت عليه أقاصيه ولبده

ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

خلت سبيل أني كان يحبسه

ورفعته إلى السجفين فالنضد

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا

أحنى عليها الذي أحنى على لبد

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

وانم القنود على عيرانة أجد

مقدوفة بدخيس النحض بازلهما

له صريف صريف القعو بالمسد

كأن رحلي وقد زال النهار بنا

يوم الجليل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشى أكارعه

طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً

في حالك اللون صدق غير ذي أود

لما رأى واشق إقعاص صاحبه

ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس إنني لا أرى طمعاً

وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

فتلك تبغني النعمان إن له  
أسرت عليه من الجوزاء سارية  
فارتاع من صوت كلاب فبات له  
فبثهن عليه واستمر به  
وكان ضمران منه حيث يوزعه  
شك الفريضة بالمدرى فأنفذا  
كأنه خارجاً من جنب صفحته  
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه  
إلا سليمان إذ قال الإله له  
فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد  
ترجي الشمال عليه جامد البرد  
طوع الشوامت من خوف ومن صرد  
صمع الكعوب بريات من الحرد  
طعن المعارك عند المحجر النجد  
طعن المبيطر إذ يشفى من العضد  
سفود شرب نسوه عند مفتأد  
ولا أحاشى من الأقوام من أحد  
قم في البرية فاحدها عن الفند

وخيس الجن إني قد أذنت لهم  
فمن أطاعك فانفعه بطاعته  
ومن عصاك فعاقبه معاقبة  
إلا لمثلك أو من أنت سابقه  
أعطى لفارهة حلو توابعها  
الواهب المئة المعكاء زينها  
والأدم قد حيست فثلاً مرافقها  
والراكضات ذيول الريط فانقها  
والخيل تمزع غرباً في أعنتها  
احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت  
يحفه جانباً نيق وتتبعه  
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا  
فحسبوه فألفوه كما حسبت  
فكملت مئة فيها حمامتها  
بينون تدمر بالصفاح والعمد  
كما أطاعك وادش على الرشد  
تنهي الظلوم ولا تقعد على ضمد  
سبق الجواد إذا استولى على الأمد  
من المواهب لا تعطى على نكد  
سعدان توضح في أوبارها اللبد  
مشدودة برحال الحيرة الجدد  
برد الهواجر كالغزلان بالجرد  
كالطير تنجو من الشؤوب ذي البرد  
إلى حمام شراع وارد الثمد  
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمدم  
إلى حمامتنا ونصفه فقد  
تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد  
وأسرعت حبسة في ذلك العدد

فلا لعمر الذي مسحت كعبته  
والمؤمن العائذات الطير تمسحها  
ما قلت من سيء مما أتيت به  
إلا مقالة أقوام شقيت بها  
إذن فعاقبني ربي معاقبة  
أنبتت أن أبا قوس أوعدني  
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم  
لا تقذفني بركن لا كفاء له  
فما الفرات إذا هب الرياح له  
يمده كل واد مترع لجب  
يظل من خوفه الملاح معتصماً  
يوماً بأجود منه سيب نافلة  
هذا الثناء فإن تسمع به حسناً  
ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت  
- 2 - وقال يعتذر إلى النعمان بن المنذر:

عفا ذو حساً فررتي بالفوارع  
فتجمع الأشراج غير رسمها  
توهمت آيات لها فعرفتها  
رماد ككحل العين لأيا أبينه  
كأن مجر الراميات ذيولها  
على ظهر مبناة جديد سيورها  
فكفكفت مني عبرة فرددتها  
على حين عانتبت المشيب على الصبا  
وقد حال هم دون ذلك شاغل

وما هريق على الأنصاب من جسد  
ركبان مكة بين الغيل والسعد  
إذن فلا رفعت سوطي إلى يدي  
كانت مقالتهم قرعاً على الكبد  
قرت بها عين من يأتيك بالفند  
ولا قرار على زار من الأسد  
وما أثمر من مال ومن ولد  
وإن تأنفك الأعداء بالرغد  
ترمى غواربه العبرين بالزبد  
فيه ركام من الينبوت والخضد  
بالخيزرانة بعد الأين والنجد  
ولا يحول عطاء اليوم دون غد  
فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد  
فإن صاحبها مشارك النكد

فجنباً أريك فالتلاع الدوافع  
مصايف مرت بعدنا ومرابع  
لستة أعوام وذا العام سابع  
ونؤى كجذم الحوض أثم خاشع  
عليه حصير نمقته الصوانع  
يطوف بها وسط اللطيمة بائع  
على النحر منها مستهل وداعم  
وقلت ألما أصح والشيب وازع  
مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبو قابوس في غير كنهه  
فبت كأني ساورتني ضئيلة  
يسهد من ليل التمام سليمها  
تناذرها الراقون من سوء سمها  
أتاني أبيت اللعن أنك لمتني  
مقالة أن قد قلت سوف أناله  
لعمري وما عمري علي بهين  
أقارع عوف لا أحاول غيرها  
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة  
أتاك بقول هلهل النسج كاذب  
أتاك بقول لم أكن لأقوله  
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة  
بمصطحبات من لصاف وثيرة  
سماماً تبارى الريح خوصاً عيونها  
عليهن شعث عامدون لحجهم

أتاني ودوني راكس فالضواجع  
من الرقش في أنيابها السم نافع  
لحلي النساء في يديه قعاقع  
تطلقه طوراً وطوراً تراجع  
وتلك التي تستك منها المسامع  
وذلك من تلقاء مثلك رائع  
لقد نطقت بطلاً على الأقارع  
وجوه قرود تبتغي من تجادع  
له من عدو مثل ذلك شائع  
ولم يأت بالحق الذي هو ناصع  
ولو كبت في ساعدي الجوامع  
وهل يأتين ذو أمة وهو طائع  
يزرن إلا سيرهن التدافع  
لهن رذايا بالطريق ودائع  
فهن بأطراف الحي خواضع

لكلفتني ذنب امرئ وتركته  
فإن كنت لاذ والضعن عني مكذب  
ولا أنا مأمون بشيء أقوله  
فإنك كالليل الذي هو مدركي  
خطاطيف حجن في حبال متينة  
أتوعد عبداً لم يخنك أمانة  
وأنت ربيع ينعش الناس سيله  
أبى الله إلا عدله ووفاءه

كذي العر يكوي غيره وهو راتع  
ولا حلقي على البراءة نافع  
وأنت بأمر لا محالة واقع  
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
تمد بها أيد إليك نوازع  
وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع  
وسيف أعيرته المنية قاطع  
فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وتسقى إذا ما شبت غير مصرد

- 3 - وقال أيضاً:

بزوراء في حافاتها المسك كانع

وليل أفاسيه بطيء الكواكب  
وليس الذي يرعى النجوم بأئب  
تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
لوالده ليست بذات عقارب  
ولا علم إلا حسن ظن بصاحب  
وقبر بصيداء الذي عند حارب  
ليلتمسن بالجيش دار المحارب  
كتائب من غسان غير أشائب  
أولئك قوم بأسهم غير كاذب  
عصائب طير تهتدي بعصائب  
من الضاريات بالدماء الدوارب  
جلوس الشيوخ في ثياب المرانب  
إذا ما التقى الجمعان أول غالب  
إذا عرض الخطي فوق الكواثب  
بهن كلوم بين دام وجالب  
إلى الموت إرقال الجمال المصاعب  
بأيديهم بيض رقاق المضارب  
ويتبعها منهم فراش الحواجب  
بهن فلول من قراع الكتائب  
إلى اليوم قد جربن كل التجارب  
وتوقد بالصفاح نار الحبابب  
وطعن كإبزاغ المخاض الضوارب

كليني لهم يا أميمة ناصب  
تطاول حتى قلت ليس بمنقض  
وصدر أراح الليل عازب همه  
علي لعمر ونعمة بعد نعمة  
حلفت يميناً غير ذي مثنوية  
لئن كان للقبرين قبر بجلق  
وللحارث الجفني سيد قومه  
وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت  
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر  
إذا ما غزوا في الجيش حلق فوقهم  
يصاحبهم حتى يغرن مغارهم  
تراهن خلف القوم خزراً عيونها  
جوانح قد أيقن أن قبيله  
لهن عليهم عادة قد عرفنها  
على عارفات للطعان عوابس  
إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا  
فهم يتساقون المنية بينهم  
يطير فضاظاً بينها كل قونس  
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
تورثن من أزمان يوم حليلة  
تقد السلوقي المضاعف نسجه  
بضرب يزيل الهام عن سكناته

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم  
محلثهم ذات الإله ودينهم  
رقاق النعال طيب حجاتهم  
نحيبهم بيض الولائد بينهم  
يصونون أجساداً قديماً نعيمها  
ولا يحسبون الخير لا شر بعده  
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً  
- 4 - وقال أيضاً:

من الجود والأحلام غير عواذب  
قويم فما يرجون غير العواقب  
يحيون بالريحان يوم السبابس  
وأكسية الإضريح فوق المشاحب  
بخالصة الأردن خضر المناكب  
ولا يحسبون الشر ضربة لازب  
بقومي، وإذ أعيت علي مذاهبي

إني كأني لدى النعمان خبره  
بأن حصناً وحياً من بني أسد  
ضلت حلومهم عنهم وغرهم  
قاد الجياد من الجولان قائظة  
حتى استغاثت بأهل الملح ما طمعت  
ينضحن نضح المزاد الوفر أتأفها  
قب الأياطل تردى في أعنتها  
شعث عليها مساعير لحربهم  
وما بحصن نعاس إذ تؤرقه  
ظلت أقاطيع أنعام مؤبلة  
فاذ وقيت بحمد الله شررتها  
ولا تلاقى كما لاقت بنو أسد  
لم يبق غير طريد غير منفلت  
أو حرة كمهاة الرمل قد كبلت  
تدعو قعيناً وقد عض الحديد بها

بعض الأود حديثاً غير مكذوب  
قاموا فقالوا حمانا غير مقروب  
سن المعيدي في رعي وتعزيب  
من بين منعلة تزجى ومجنوب  
في منزل طعم نوم غير تأويب  
شد الرواة بماء غير مشروب  
كالخاضبات من الزعر الظنابيب  
شم العرائين من مرد ومن شيب  
أصوات حي الأمرار محروب  
لدى صليب على الزوراء منصوب  
فانجى فزار إلى الأطواد فاللوب  
فقد أصابتهم منها بشؤبوب  
وموثق في حبال القد مسلوب  
فوق المعاصم منها والعراقيب  
عض الثقاف على صم الأنابيب

مستشعرين قد الفوا في ديارهم

- 5 - وقال يهجو زرعة بن عمرو:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها  
فحلفت يا زرع بن عمر وأني  
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني  
إذا اقتسمنا خطيتنا بيننا  
فلتأتينك قصائد وليدفعن  
رهط بن كوز محقي أدراعهم  
ولرهط حراب وقد سورة  
وبنو قعين لا محالة أنهم  
سهكين من صدأ الحديد كأنهم  
وبنو سواة زائر ك بوفدهم  
وبنو جذيمة حتى صدق سادة  
متكنفي جني عكاظ كليهما  
قوم إذا كثر الصياح رأيتهم  
والغاضريون الذين تحملوا  
تمشي بهم أدم كأن رجالها  
شعب العلاقيات بين فروجهم  
برز الأكف من الخدام خوارج  
شمس موانع كل ليلة حرة  
جمعاً يظل به الفضاء معضلاً  
لم يحرما حسن الغذاء وأمهم  
حولي بنو دودان لا يعصونني  
زيد بن زيد حاضر بعراعر

دعاء سوع ودعمي وأيوب

يهدي إلى غرائب الأشعار  
بما يشق على العدو ضراري  
تحت العجاج فما شقت غباري  
فحملت برة واحتملت فجار  
جيش إليك قوادم الأكوار  
فيهم ورهط ربيعة بن حذار  
في المجد ليس غرابهم بمطار  
آتوك غير مقلمي الأظفار  
تحت السنور جنة البقار  
جيشاً يقودهم أبو المظفار  
غلبوا على خبت إلى تعشار  
يدعو بها ولدائهم عرعار  
وقرا غداة الروع والإنفار  
بلوائهم سيراً لدار قرار  
علق هريق على متون صوار  
والمحصنات عواذب الأطهار  
من فرج كل وصيلة وإزار  
يخلفن ظن الفاحش المغيار  
يدع الإكام كأنهن صحارى  
طفحت عليك بناتق مذكار  
وبنو بغيض كلهم أنصاري  
وعلى كنيب مالك بن حمار

وعلى الذئيمة من بني سيار  
ورقا مراقلها من المضمار  
صفرأ مناخرها من الجرجار  
خبب السباع الوله الأبكار  
ما كان من سخم بها وصفار  
أعجلنهن مظنة الإعدار

وعلى الرميثة من سكين حاضر  
فيهم بنات المسجدي ولا حق  
يتجلب اليعضيد من أشداقها  
تشلى توابعها إلى ألاقها  
إن الرميث مانع أرماحنا  
فأصبين أبكاراً وهن بامة

- 6 - وقال أيضاً:

واحتلت الشرع فالأجزاء من اضما  
إلا السفاه وإلا ذكرة حلما  
ولا تبيع بجنبي نخلة البرما  
حسناً وأملح من حاورته الكلما  
تغشى متالف لن ينظرنك الهرما  
لهو النساء وإن الدين قد عزما  
نرجو الإله ونرجو البر والطعما  
إذا الدخان تغشى الأشمط البرما  
ترجى مع الليل من صرادها صرما  
بزحين غيماً قليلاً ماؤه شبما  
وليس جاهل شيء مثل من علما  
مثنى الأيادي، وأكسوا الجفنة الأدمأ  
بعد الكلال تشكى الأين والسأما  
بذي المجاز ولم تحسن به نعما  
هل في مخفيكم من يشتري أدما  
لا تحطمنك إن البيع قد زرما  
بذي المجاز تراعى منزلاً زيمأ

كانت سعاد وأمسى حبلها انجذما  
إحدى بلي وما هام الفؤاد بها  
ليست من السود أعقاباً إذا انصرفت  
غراء أكمل من يمشي على قدم  
قالت أراك أخاً رحل وراحلة  
حياك ربي فإننا لا يحل لنا  
مشمريين على خوص مزمنة  
هلا سألت بني ذبيان ما حسى  
وهبت الريح من تلقاء ذي أرل  
صهب الظلال أتين التين عن عرض  
ينبئك ذو عرضهم عني وعالمهم  
إني أتمم أيساري، وأمنحهم  
وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت  
كادت تساقطني رحلي وميثرتي  
من قول حرمية قالت وقد طعنوا  
قلت لها وهي تسعى تحت لبتها  
باتت ثلاث ليال ثم واحدة

عدو النحوص تخاف القانص للجمما  
مشى الإمام الغواذي محمل الحزما  
في ليلة من جمادى أحضلت ديما  
إذا استكف قليلاً تربه انهدمما

كالهبرقي تنخى ينفخ الفحما  
يقرو الأماعر من لبنان والأكما

وهمين همأ مستكنا وظاهرا  
وورد هموم لن يحدن مصادرا  
وهل وجدت قبلي على الدهر قادرا  
على فتية قد حاوز الحي سائرا  
يرد لنا ملكاً ولالأرض عامرا  
ونرهب قدح الموت إن جاء قامرا  
وأصبح جد الناس يطلع عاثرا  
جياذك لا يخفى لها الدهر حافرا  
وتبعث حراساً علي وناظرا  
ومن دس أعدائي إليك المأبرا  
ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا  
تقبل معروف في وسد المفاقرا  
وإن كنت أرعى مسحلان فحامرا  
يخال به راعي الحمولة طائرا  
وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا  
ولا نسوتي حتى يمئن حرائرا

فانشق عنها عمود الصبح حافلة  
تحيد عن أستن سود أسافله  
أو ذي رشوم بحوضي بات منكرساً  
بات بحقف من البقار يحفزه

مولى الريح روقيه وجبهته  
حتى غدا مثل نصل السيف منصلتاً

- 7 - وقال يعتذر إلى النعمان ويمدحه:

كتمتك ليلاً بالجمومين ساهرا  
أحاديث نفسي تشتكي ما يريبها  
تكلفني أن يفعل الدهر همها  
ألم تر خير الناس أصبح نعشه  
ونحن لديه نسأل الله خلداه  
ونحن نرجي الخلد إن فاز قدحنا  
لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا  
وردت مطايا الراغبين وعريت  
رأيتك ترعاني بعين بصيرة  
وذلك من قول أذاك أقوله  
فأليت لا آتيك إن جئت مجرما  
فأهلي فداء لامرئ إن أتيته  
سأكعم كلبي أن يريبك نبحه  
وحلت بيوتي في يفاع ممنع  
تزل الوعول العصم عن قذفاته  
حذاراً على ألا تتال مقادتي

أقول وإن شطت بي الدار عنكم  
ألكنني إلى النعمان حيث لقيته  
وصبحه فلج ولا زال كعبه  
ورب عليه الله أحسن صنعه  
فألفيته يوماً يمير عدوه

- 8 - وقال يعتذر إلى النعمان بن المنذر، ويمدحه:

إذا ما لقينا من معد مسافرا  
فأهدى له الله الغياث البواكرا  
على كل من عادى من الناس ظاهرا  
وكان له على البرية ناصر  
وبحر عطاء يستخف المعابرا

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني  
فبت كأن العائدات فرشني  
حلفت فلم أترك لنفسك ربية  
لئن كنت قد بلغت عني خيانة  
ولكنني كنت امرأ لي جانب  
ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم  
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم  
فإنك شمس والملوك كواكب  
فلا تتركني بالوعيد كأنني  
ألم تر أن الله أعطاك سورة  
ولست بمستبق أخاً لا تلمه  
فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته

وتلك التي أهتم منها وأنصب  
هراساً به يعلى فراشي ويقشب  
وليس وراء الله للمرء مذهب  
لمبلغك الواشي أغش وأكذب  
من الأرض فيه مستراد ومذهب  
أحكم في أموالهم وأقرب  
فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا  
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب  
إلى الناس مطلي به القار أجرب  
ترى كل ملك دونها يتذبذب  
على شعث أي الرجال المهذب؟  
وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب

- 9 - وقال أيضاً:

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر  
وقلت يا قوم إن الليث منقبض  
لا أعرفن ربرجاً حوراً مدامعها  
ينظرن شرراً إلى من جاء عن عرض  
خلف العضاريط لا يرقين فاحشة

وعن تربهم في كل أصفار  
على برائته لوثبة الضاري  
كأن أبكارها نعاج دوار  
بأوجه منكرات الرق أحرار  
مستمسكات بأفتاب وأكوار

يذرين دمعاً على الأشفار منحدرًا  
 إما عصيت فإني غير منفلت  
 أو أضع البيت في سوداء مظلمة  
 تدافع الناس عنا حين تركبها  
 ساق الرفيدات من جوش ومن عظم  
 قرمى قضاة حلا حول حجرته  
 حتى استقل بجمع لا كفاء له  
 لا يخفض الرز عن أرض ألم بها  
 وعيرتني بنو ذبيان خشيته  
 يأمئن رحلة حصن وابن سيار  
 مني اللصاب فجنبنا حرة النار  
 تقيد الغير لا يسري بها الساري  
 من المظالم تدعى أم صبار  
 وماش من رهط ربعي وحجار  
 مدا عليه بسلاف وأنفار  
 ينفي الوحوش عن الصحراء جرار  
 ولا يضل عن مصباحه الساري  
 وهل علي بأن أخشاك من عار

- 10 -

وقال النابغة يرد على بدر بن حذار ويذكر حزيماً وزبان ابني سيار بن عمرو بن جابر لأنه بلغه أنهما أعانا  
 بدراً ورويا شعره فيه:

ألا من مبلغ عني حريماً  
 فإياكم و عوراً داميات  
 فإني قد أتاني ما صنعتم  
 فلم يك نولكم أن تشقذوني  
 فإن جوابها في كل يوم  
 ومن يتربص الحدثان تنزل  
 وزبان الذي لم يرع صهري  
 كأن صلاءهن صلاء جمر  
 وما وشحتن من شعر بدر  
 ودوني عازب وبلاد حجر  
 ألم بأنفس منكم ووفر  
 بمرلاه عوان غير بكر

- 11 - وقال أيضاً:

قالت بنو عامر خالوا بنو أسد  
 يأبى البلاء فلا نبغي بهم بدلاً  
 فصالحونا جميعاً إن بدا لكم  
 إنني لأخشى عليكم أن يكون لكم  
 تدبو كواكبه والشمس طالعة  
 يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام  
 ولا نريد خلاء بعد إحكام  
 ولا تقولوا لنا أمثالها عام  
 من أجل بغضائهم يوم كأيام  
 لا النور نور ولا الإظلام إظلام

كالليل يخلط أصراماً بأصرام  
شم العرائن ضرابون للهام  
لا يقطع الخرق إلا طرفه سام  
إلا ابتدار إلى موت بالإجم  
للخامعات أكفاً بعد أقدام  
وموتمين وكانوا غير أيتام  
عند الكعان أولو بؤسي وإنعام  
عند الكمأة صريعاً جوفه دام

أو تزجروا مكفهرأ لا كفاء له  
مستحقي خلق المادي يقدمهم  
لهم لواء بكفي ماجد بطل  
يهدي كتائب خضراً ليس يعصمها  
كم غادرت خيلنا منكم بمعترك  
يا رب ذات خليل قد فجعن به  
والخيل تعلم أنا في تجاولها  
ولوا وكبشهم يكبو لجهته

- 12 - وقال في أمر بني عامر:

خلت لهم من كل مولى وتابع  
بألقي كمي ذي سلاح ودارع  
يقيمون حولياتها بالمقارع  
بأيد طوال عاريات الأشجاع  
هم ألحقوا عيساً بأرض القعاقع  
بنو عامر عسر المخاض الموانع  
ومولاهم عبد بن سعد بطامع  
يغنيهم فيها نقيق الضفادع  
رمى الله في تلك الأنوف الكوانع

ليهني بني ذبيان أن بلادهم  
سوى أسد يحمونها كل شارق  
قعوداً على آل الوجيه ولاحق  
يهزون أرماحاً طوالاً متونها  
فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم  
وقد عسرت من دونهم بأكفهم  
فما أنا في سهم ولا نصر مالك  
إذا نزلوا ذا ضرغد وعتائداً  
قعوداً لدى أبياتهم يثمدونها

- 13 - وقال يصف المتجرده زوج النعمان بن المنذر:

عجلان ذا زاد وغير مزود  
لما تزل برحالنا وكأن قد  
وبذاك خبرنا الغداف الأسود  
إن كان تفريق الأحبة في غد  
والصبح والإمساء منها مواعي

أمن آل مية رائح أو مغتد  
أفد الترحل غير أن ركابنا  
زعم البوارح أن رحلتنا غداً  
لا مرحباً بغد ولا أهلاً به  
حان الرحيل ولم تودع مهدداً

فأصاب قلبك غير أن لم تقصد  
منها بعطف رسالة وتردد  
عن ظهر مرنان بسهم مصدر  
ذهب توقد كالشهاب الموقد  
كالغصن في غلوائه المتأود  
والإتب تنفجه بندي مقعد  
رياً الروادف بضة المتجرد  
كالشمس يوم طلوعها بالأسعد  
بهج متى يرها يهل ويسجد  
بنيت بآجر تشاد بقرمد  
فتناولته واتقتنا باليد  
عدم يكاد من اللطافة يعقد  
نظر السقيم إلى وجوه العود  
برداً أسف لثاته بالإثم  
جفت أعاليه وأسفله ندى  
عذب مقبله شهى المورد  
عذب إذا ما ذقته قلت ازدد

يشفى برىا ريقها العطش الصدى  
من لؤلؤ متتابع متسرد  
عبد الإله ضرورة متعبد  
ولخاله رشداً وإن لم يرشد  
لدنت له أروى الهضاب الصخد  
كالكرم مال على الدعام المسند

في إثر غانية رمتك بسهمها  
غنيت بذلك إذ هم لك جبرة  
ولقد أصابت قلبه من حبها  
والنظم في سلك يزين نحرها  
صفراء كالسيراى أكمل خلقها  
والبطن ذو عكن لطيف طيه  
محطوطة المتتين غير مفاضة  
قامت تراءى بين سجفي كلة  
أو درة صدفية غواصها  
أو دمية من مرمر مرفوعة  
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه  
بمخضب رخص كأن بنانه  
نظرت إليك بحاجة لم تقضها  
نجلو بقادمتي حمامة أيقة  
كالأقحوان غداة غب سمائه  
زعم الهمام بأن فاها بارد  
زعم الهمام "ولم أذقه" أنه

زعم الهمام "ولم أذقه" أنه  
أخذ العذارى عقده فظمنه  
لو أنها عرشت لأشمط راهب  
لرنا لبهجتها وحسن حديثها  
بتكلم لو تستطيع سماعه  
وبفاحم رجل أثيث نيته

فإذا لمست لمست أختم جائماً  
 وإذا طعنت طعنت في مستهدف  
 وإذا نزعت نزعت عن مستحصف  
 لا وارد منها يحور لمصدر  
 وإذا يعض تشده أعضاؤه  
 ويكاد ينزع جلد من يصلى به

متحيزاً بمكانه ملء اليد  
 رابي المجسة بالعبير مقرد  
 نزع الحزور بالرشاء المحصد  
 عنها، ولا صدر يحور لمورد  
 عض الكبير من الرجال الأرد  
 بلوافح مثل السعير الموقد

- 14 - وقال يمدح بني عذرة:

لقد قلت للنعمان يوم لقيته  
 تجنب بني حن فإن لقاءهم  
 عظام اللهى أولاد عذرة إنهم  
 وهم منعوا وادي القرى من عدوهم  
 من الواردات الماء بالقاع تستقى  
 بزاخية ألوت بليف كأنه  
 صغار النوى مكنوزة ليس قشرها  
 هم طردوا عنها بليا فأصبحت  
 وهم منعوها من قضاة كلها  
 وهم قتلوا الطائي بالحجر عنوة

يريد بني حن ببرقة صادر  
 كريبه وإن لم تلق إلا بصابر  
 لهاميم يستلهونها بالحناجر  
 بجمع مبير للعدو المكائر  
 بأعجازها قبل استقاء الحناجر  
 عفاء قلاص طار عنها تواجر  
 إذا طار قشر التمر عنها بطائر  
 بلي بواد من تهامة غائر  
 ومن مضر الحمراء عند التغاور  
 أبا جابر واستكحوا أم جابر

- 15 - وقال يمدح غسان حين ارتحل من عندهم راجعاً:

لا يبعد الله جيراناً تركتهم  
 لا ييرمون إذا ما الأفق جلله  
 هم الملوك وأبناء الملوك لهم  
 أحلام عاد وأجساد مطهرة

مثل المصابيح تجلو ليلة الظلم  
 برد الشتاء من الأمحال كالأدم  
 فضل على الناس في اللأواء والنعيم  
 من المعقة والآفات والإثم

- 16 - وقال أيضاً:

جمع محاشك يا زيد فإنني

أعددت يربوعاً لكم وتميماً

ولحقت بالنسب الذي عبرتني  
عيرتني نسب الكرام وإنما  
حدبت على بطون ضنة كلها  
لولا بنو عوف بن بهثة أصبحت  
وتركت أصلك يا يزيد ذميما  
فخر المفاخر أن يعد كريما  
إن ظالماً فيهم وإن مظلوما  
بالنغف أم بني أبيك عقيما  
- 17 - وقال أيضاً:

أبلغ بني ذبيان أن لا أخالهم  
بجمع كلون الأعبل الجون لونه  
هم يردون الموت عند لقائه  
بعبس إذا حلوا الدماخ فأظلما  
ترى في نواحيه ذهيراً وحذيما  
إذا كان ورد الموت لأبد أكراما  
- 18 - وقال لعضام بن شهيرة الجرمي حاجب النعمان بن المنذر:

ألم أقسم عليك لتخبرني  
فإني لا ألام على دخول  
فإن يهلك أبو قابوس يهلك  
ونمسك بعده بذناب عيش  
أحمول على النعش الهمام  
ولكن ما وراءك يا عصام  
ربيع الناس والشهر الحرام  
أجب الظهر ليس له سنام  
- 19 - وقال أيضاً يمدح النعمان بن الحارث الأصغر وكان قد خرج إلى بعض متزعاته:

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج  
ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد  
وإن يهلك النعمان تغر مطيه  
وتتحط حصان آخر الليل نحطه  
ويأت معدا ملكها وربيعها  
وتلك المنى لو أننا نستطيعها  
ويلق إلى جنب الفناء قطوعها  
تقضض منها أو تكاد ضلوعها  
وإن كان في جنب الفراش ضجيعها  
على إثر خير الناس إن كان هالكاً  
- 20 - وقال أيضاً:

فإن يك عامر قد قال جهلاً  
فكن كأبيك أو كأبي براء  
ولا تذهب بحلمك طاميات  
فإنك سوف تحلم أو تناهى  
فإن مظنة الجهل الشباب  
توافقك الحكومة والصواب  
من الخيلاء ليس لهن باب  
إذا ما شبت أو شاب الغراب

فإن تكن الفوارس يوم حسى  
فما إن كان من نسب بعيد

أصابوا من لقائك ما أصابوا  
ولكن أدركوك وهم غضاب

فوارس من منولة غير ميل

ومرة، فوق جمعهم العقاب

- 21 - وقال يهجو يزيد بن عمرو بن الصعف الكلابي:

لعمرك ما خشيت على يزيد  
كأن التاج معصوباً عليه  
فحسبك أن تهاض بمحكمات  
فقبلك ما شتمت وقاذعوني  
يصد الشاعر الثنيان عني  
أثرت الغي ثم نزعت عنه  
فإن يقدر عليك أبو قبيس  
وتخضب لحية غدرت وخانت  
وكنت أمينه لو لم تخنه

من العحر المضلل ما أتاني  
لأذواد أصبن بذى أبان  
تمر بها الروى على لساني  
فما نزر الكلام ولا شجاني  
صدود البكر عن قرم هجان  
كما حاد الأزب عن الطعان  
تمط بك المعيشة في هوان  
بأحمر من نجيع الجوف آني  
ولكن لا أمانة لليمان

- 22 - وقال يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل  
وقفت بربيع الدار قد غير البلى  
أسائل عن سعدى وقد مر بعدنا  
فسليت ما عندي بروحة عرمس  
موثقة الأنساء مضبورة القرا  
كأنني شددت الرحل حين تشذرت  
أقب كعقد الأندي مسح  
أضر بجرداء النسالة مسح  
إذا جاهدته الشد جد وإن ونت

وكيف تصابى المرء والشيب شامل  
معارفها والساريات الهواطل  
على عرصات الدار سبيع كوامل  
تخب برحلي تارة وتناقل  
نعوب إذا كل العتاق المراسل  
على قارح مما تضمن عاقل  
حزابية قد كدمته المساحل  
يقلبها إذ أعوزته الحلائل  
تساقط لا وان ولا متخاذل

وإن هبطاً سهلاً أثار عجاجة  
ورب بني البر شاء ذهل وقيسها  
لقد عالني ما سرها وتقطعت  
فلا يهنئ الأعداء يصرح ملكهم  
وكانت لهم ربيعة يحذرونها  
يسير بها النعمان تغلي قدوره  
تحت الحداة جالزاً بردائه  
يقول رجال ينكرون خليقتي  
أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته  
وإن تلادى إن ذكرت وشكتي  
حباؤك والعيس العتاق كأنها  
فإن تك قد ودعت غير مذمم  
فلا تبعدن إن المنية موعد  
فما كان بين الخير لو جاء سالماً  
فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت  
فآب مصلوه بعين جلية  
سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم  
ولا زال ريحان ومسك عنبر  
ونبت حوذاناً وعوف منورا  
بكي حارث الجولان من فقد ربه  
قعوداً له غسان يرجون أوبه

وإن علوا حزناً تشظت جنادل  
وشيبان حيث استبهلتها المنازل  
لروعاتها مني القوى والوسائل  
وما عتقت منه تميم ووائل  
إذا خضخضت ماء السماء القبائل  
تجيش بأسباب المنايا المراحل  
بقي حاجبيه ما يثير القنابل  
لعل زياداً "لا ابا لك" غافل  
تحرك داء في فؤادي داخل  
ومهري وما ضمت لدي الأنامل  
هجان المها تحدى عليها الرحائل  
أواسي ملك ثبتتها الأوائل  
وكل امرئ يوماً به الحال زائل  
أبو حجر إلا ليال فلائل  
فما في حياتي بعد موتك طائل  
وغودر بالجولان حزم ونائل  
بغيث من الوسمي قطر ووايل  
على منتهاه ديمة ثم هائل  
سأتبعه من خير ما قال قائل  
وحوران منه موحش متضائل  
وترك ورهط الأعجمين وكابل

قال الأعلام الشنتمري في شرحه للديوان: كمل جميع ما رواه الأصمعي من شعر النابغة نصل به قصائد متخيرة مما رواه غير الأصمعي إن شاء الله تعالى.

- 23 - وقال:

فأعلى الجزع للحي المبني  
عفون؛ وكل منهمر مرن  
وذاك تفرط الشوق المعني  
كأن مفيضهن غروب شن  
مفجعة على فنن تغني  
سأهديه إليك: إليك عني  
فليس يرد مذهبها التظني  
مداينة المداين فليدني  
أيربوع بن غيظ للمعن  
يقعقع خلف رجليه بشن  
هوى الريح تنسج كل فن

فإنك سوف تترك والتمني  
وليس بها الدليل بمطمئن  
فإنني لست منك ولست مني  
إلى يوم النسار، وهم مجني  
وهم أصحاب يوم عكاظ إنني  
أتيهم بود الصدر مني  
وكانوا يوم ذلك عند ظني  
رحيب السرب أرعن مرجحن  
على أوصال ذيال رفن  
عليها معشر أشباه جن  
دفعن إليه في الرهج المكن  
قرعت ندامة من ذلك سني

غشيت منازلأ بعريتات  
تعاورهن صرف الدهر حتى  
وقفت بها القلوص على اكتاب  
أسائلها وقد سفحت دموعي  
بكاء حمامة تدعو عديلاً  
ألكي يا عيين إليك قولاً  
قوافي كالسلام إذا استمرت  
بهن أدين من يبغي أذاتي  
أتخذل ناصري وتعز عبساً  
كأنك من جمال بني أفيش  
تكون نعامة طوراً وطوراً

تمن بعادهم واستبق منهم  
لدى جرعاء ليس بها أنيس  
إذا حاولت في أسد فجوراً  
فهم درعي التي استلامت فيها  
وهم وردوا الجفار على تميم  
شهدت لهم مواطن صادقات  
وهم ساروا لحجر في خميس  
وهم زحفوا لغسان بزحف  
بكل مجرب كالليث يسمو  
وضمر كالمداح مسومات  
غداة تعاورته ثم بيض  
ولو أني أطعتك في أمور

أثاركة تدللها قطام  
فإن كان الدلال فلا تلجي  
فلو كانت غداة البين منت  
صفحت بنظرة فرأيت منها  
ترائب يستضيء الحلي فيها  
كأن الشذر والياقوت منها  
خلت بغزها ودنا عليها  
تسف بريره وتروود فيه  
كان مشعشعاً من خمر بصرى  
تمين قلالة من بيت رأس  
إذا فضت خواتمه علاه  
على أنيابها بغريض مزن  
فأضحت في مداهن باردات  
تلذ لطمعه وتخال فيه  
فدعها عنك إذا شطت نواها  
ولكن ما أتاك عن ابن هند  
فداء ما تقل النعل مني  
ومغراه قبائل غائطات  
يقدن مع امرئ يدع الهوينى  
أعين على العدو بكل طرف  
وأسمر مارن يلتاح فيه  
وأنباه المنبئ أن حيا  
وأن القوم نصرهم جميع

وضناً بالتحية والكلام  
وإن كان الوداع فبالسلام  
وقد رفعوا الخدور على الخيام  
تحيت الخدر واضعة القرام  
كجمر النار بدر بالظلام  
على جيداء فاترة البغام  
أراك الجزع أسفل من سنام  
إلى دبر النهار من البشام  
نمته البخت مشدود الختام  
إلى لقمان في سوق مقام  
يبيس القمحان من المدام  
تقبله الجبابة من الغمام  
بمنطلق الجنوب على الجهام  
إذا نبهتها بعد المنام  
ولجت من بعادك في غرام  
من الجزم المبين والتمام؟  
إلى أعلى الذؤابة للهمام  
على الذهيوط في لجب لهام  
ويعمد للمهمات العظام  
وسلهبة تجلل في السمام  
سنان مثل نبراس النهام  
حلولاً من حزام أو جذام  
فئام مجلبون إلى فئام

يصن المشي كالحذاء التؤام  
وخفق الياجيات من الشأم  
يقربهم له ليل التمام  
كأن رؤوسهم بيض النعام  
وبالناجين أظفار دوامي  
يسوين الذبول على الخدام  
شعث مكرهين على الفطام  
دقاق الترب محترم القتام  
وما راموا بذلك من مرام  
نماه في قروع المجد نامي  
بنوا مجد الحياة على إمام  
يجلل خندق منه وحام  
على متناذر الأكلاء طام

فأوردهن بطن الأتم شعناً  
على إثر الأدلة والبغايا  
فباتوا ساكنين وبات يسرى  
فصيحهم بها صهباء صرفاً  
فذاق الموت من بركت عليه  
وهن كأنهن نعاج رمل  
يوصين الرواة إذا ألموا  
وأضحى ساطعاً بحبال حسمي  
فهم الصالبون ليدرکوه  
إلى صعب المقادة ذي شريس  
أبوه قبله وأبو أبيه  
فدوحت العراق فكل قصر  
وما تنفك محلولاً عراها

- 25 - وقال يمدح النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي:

بروضة نعمي فذات الأسود  
وكل ملث ذي أهاضيب راعد  
إلى كل رجاف من الرمل فارد  
عروب تهادي في جوار خرائد  
وأبياتنا يوماً بذات المراد  
وكيد يغم الخارجي مناجد  
وجد إذا خاب المفيدون صاعد  
أوانس يحميها امرؤ غير زاهد  
ويخبأن رمان النثدي النواهد

أهاجك من سعدك مغنى المعاهد  
تعاورها الأرواح ينسفن تربها  
بها كل ذيال وخنساء ترعوي  
عهدت بها سعدى وسعدى غريرة  
لعمرى النعم الحي صبح سر بنا  
يقودهم النعمان منه بمحصف  
وشيمة لا وان ولا واهن القوى  
فآب بأبكار وعون عقائل  
يخططن بالعيدان في كل مقعد

ويضربن بالأيدي وراء براغز  
غرائر لم يلقين بأساء قبلها  
أصاب بني غيظ فأصبحوا عباده  
فلابد من عوجاء تهوى براكب  
تخب إلى النعمان حتى تتاله  
فسكنت نفسي بعدما طار روحها  
وكنت امرأ لا أمدح الدهر سوقة  
سبقت الرجال الباهشين إلى العلا  
علوت معداً نائلاً ونكاية

- 26 - وقال في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان:

أهاجك من أسماء رسم المنازل  
أربت بها الأرواح حتى كأنما  
وكل ملث مكفهر سحابه  
إذا رجفت فيه رحي مرجحة  
عهدت بها حياً كراماً فبدلت  
ترى كل ذيال يعارض ربرباً  
يثرن الحصى حتى يباشرن برده  
وناجية عديت في متن لاحب  
له خلج تهوى فرادى وترعوي  
وإني عداني عن لقائك حادث  
نصحت بني عوف فلم يتقبلوا  
فقلت لهم لا أعرفن عقائلاً  
ضوارب بالأيدي وراء براغز  
خلال المطايا يتصلن وقد أتت

بروضة نعمي فذات الأجاول  
تهادين أعلى تربها بالمناخل  
كميش التوالي مرثعن الأسافل  
تبعق ثجاج غزير الحوافل  
حناطيل آجال النعام الجوافل  
على كل رجاف من الرمل هائل  
إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل  
كسحل اليماني قاصد للمناهل  
إلى كل ذي نيرين بادي الشواكل  
وهم أتى من دون همك شاغلي  
وصاتي ولم تتجح لديهم وسائلي  
رعابيب من جنبي أريك وعائل  
حسان كآرام الصريم الخواذل  
قنان أبير دونها والكوائل

فراق الخليط ذي الأداة المزابل  
أجادل يوماً في شوي وجامل  
بمستكره يذرينه بالأنامل  
على وعل في ذي المطارة عاقل  
يقدن إلينا بين حاف وناعل  
تتلع في أعناقها بالجحافل  
سماحيق صفراً في تليل وفائل  
تشحط في أسلائها كالوصائل  
بشبع من السخل العتاق الأكاثل  
فهن لطاف كالصعاد الذوابل  
عليها الحبور محقبات المراجل  
ونسج سليم كل قضاء ذائل  
فهن وضاء صافيات العلائل  
طلوب الأعادي واضح غير خامل  
تسحان سحا من عطاء ونائل  
كئيبية وجه غبها غير طائل  
إذا هبط الصحراء حرة راجل

بمرفض الحي إلى وعال  
دوارس بعد أحياء حلال  
بمرفوم عليه العهد خال  
وما تدرى الرياح من الرمال  
به عوذ المطافل والمتالي  
بغاب ردينة السحم الطوال

وخلوا له بين الجناب وعالج  
ولا أعرفني بعد ما قد نهيتكم  
وبيض غريرات تفيض دموعها  
وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي  
مخافة عمرو أن تكون جياده  
إذا استعجلوها عن سجية مشيها  
شواذب كالأجلام قد آل رمها  
ويقدفن بالأولاد في كل منزل  
ترى عافيات الطير قد وثقت لها  
برى وقع الصوان حد نسورها  
مقرنة بالعيس والأدم كالفنا  
وكل صموت نثلة تبعية  
علين بكديون وأبطن كرة  
عتاد امرئ لا ينقض البعد همه  
تحين بكفيه المنايا وتارة  
إذا حل بالأرض البرية أصبحت  
يؤم بربعي كأن زهاءه

- 27 - وقال يمدح النعمان بن المنذر:

أمن ظلامة الدمن البوالي  
فأمواه الدنا فعويرضات  
تأبد لا ترى إلا صواراً  
تعاورها السواري والغوادي  
أنثيت نبتة جعد ثراه  
يكشفن الألاء مزيينات

كأن كشوحن مبطنات  
فلما أن رأيت الدار قفرا  
نهضت إلى عذافة صموت  
فداء لامرئ سارت إليه  
ومن يغرف من النعمان سجلاً  
إلى فوق الكعوب برود خال  
وخالف بال أهل الدار بالي  
مذكرة تجل عن الكلال  
بعذرة ربها عمي وخالي  
فليس كمن يتيه في الضلال

فإن كنت امرأ قد سوت ظناً  
فأرسل إلى بني ذبيان فاسأل  
فلا عمر الذي أثنى عليه  
لما أغفلت شكرك فانتصحتني  
ولو كفي اليمين بغتك خوناً  
ولكن لا تخان الدهر عندي  
له بحر يقمص بالعدولي  
مضر بالقصور تذود عنها  
وهوب للمخيسة النواجي  
بعبدك والخطوب إلى تبال  
ولا تعجل إلي عن السؤال  
وما رفع الحجيج إلى إلال  
وكيف ومن عطائك جل مالي  
لأفردت اليمين من الشمال  
وعند الله تجزية الرجال  
وبالخلج المحملة الثقال  
قراقير النبيط إلى التلال  
عليها القائنات من الرحال

- 28 - وقال أيضاً:

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة  
أجدكم لن تزجروا عن ظلامه  
فلو شهدت سهم وأبناء مالك  
لجاءوا بجمع لم ير الناس مثله  
ليهني لكم أن قد نفيتم بيوتنا  
وإني لألقى من ذوي الضعن منهم  
كما لقيت ذات الصفا من حليفها  
فقالته له أدعوك للعقل وأفيا  
فقد أصبحت عن منهج الحق جائره  
سفيهاً ولن ترعوا لذي الود آصره  
فتعذرني من مرة المتناصره  
تضاعل منه بالعشي قصائره  
مندى عبيدان المحلى باقره  
وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره  
وما انفكت الأمثال في الناس سائره  
ولا تغشيني منك بالظلم بادره

فكانت تديه المال غبا وظاهره  
وجارت به نفس عن الحق جائره  
فيصبح ذا مال ويقتل واتره  
وأثل موجوداً وسد مفاقره  
مذكرة من المعاول باثره  
ليقتلها أو تخطئ الكف بادره  
وللبر عين لا تغمض ناظره  
على مالنا أو تتجزى لي آخره  
رأيتك مسحوراً يمينك فاجره  
وضربة فأس فوق رأسي فاقره

فوثقتها بالله حين تراضيا  
فلما توفي العقل إلا أقله  
تذكر أني يجعل الله جنة  
فلما رأى أن ثمر الله ماله  
أكب على فأس يحد غرابها  
فقام لها من فوق حجر مشيد  
فلما وقاها الله ضربة فأسه  
فقال تعالى نجعل الله بيننا  
فقال يمين الله أفعل أنني  
أبي لي قبر لا يزال مقابلي

- 29 - وقال أيضاً:

وما وداعك من قفت به العير  
يوم النمارة والمأمور مأمور  
أمسوا ودونهم ثهلان فالنير  
أجد القفار وإدلاج وتهجير  
يسفى على رحلها بالحيرة المور  
من الفصافص بالنمي سفسير  
نشوان في جوة الباغوث مخمور  
بيضاً وبين يديها التين منشور  
لقال راكبها في عصابة سيروا  
قهد الإهاب تربته الزنانير  
صماخها بدخيس الروق مستور  
كأن أحناكها السفلى مآشير  
هذا لکن ولحم الشاة محجور

ودع أمامة والتوديع تعذير  
وما رأيتك إلا نظرة عرضت  
إن إلى الفول حي وإن بعدوا  
هل تبلغينهم حرف مصرمة  
قد عريت نصف حول أشهر جددا  
وفارقت وهي لم تجرب وباع لها  
ليست ترى حولها إلفاً وراكبها  
تلقي الإوزين في أكناف دارتها  
لولا الهمام الذي ترجى نوافله  
كأنها خاضب أظلافه لهق  
أصاخ من نبأة أصغى لها أذنأ  
من حس أطلس تسعى تحته شرع  
يقول راكبها الجني مرتفقاً

تمت القصائد المختارة من شعر النابغة.

## زهير بن أبي سلمى

### ترجمة الشاعر

1 - هو زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى، من قبيلة مزينة من مضر. كان يقيم هو وقومه في بلاد غطفان وأسرته أسرة شاعرة فكان أبوه شاعراً وحال أبيه - واسمه بشامة بن الغدير - شاعراً؛ جمع إلى الشعر الحكمة وجودة الرأي، وكانت غطفان إذا أرادوا الغزو أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه، فإذا رجعوا من الحرب قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم، وقد لازمه زهير وأخذ عنه الشعر وجودة الرأي. وكان زوج أمه أوس بن حجر - شاعراً. وكان أبو شاعراً وأخته سلمى شاعرة، وابناه - كعب ويحير - شاعرين، وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير كان كذلك شاعراً. وكانت بلاد غطفان ساحة للعداء الشديد والحرب المستعرة بين قبيلتين من قبائلهما وهما عبس وذبيان، وكانت هذه الحروب وهذا العداء سبباً في ثروة أدبية كبيرة من شعر ملئ بالفخر والهجاء والتحريض على القتال والأخذ بالثأر، ومن قصص تدور وقائعها على ما كان بين الفريقين. فكثير من شعر عنترة العبسي مثلاً يصف الأطوار الأخيرة لحرب داحس والغبراء الطاحنة، وكان كثير من شعر زهير يدور حول السلم بين القبيلتين والدعوة إليه وإظهار نتائجه، والإعجاب برجلين من رؤساء ذبيان، وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف، سعياً في الصلح بين عبس وذبيان واحتملاً ديات القتلى ونشراً للسلام في غطفان، فكان هذا داعياً لزهير ليصور حبه للسلام واستفظاعه للحرب وأهوالها، وليمدح هذين العظيمين على ما قاما به من جهود لتوطيد دعائم السلم في هذه الجزيرة العربية المتنافرة المتخاصمة. وقد مدح هرم بن سنان بمدائح كثيرة، وأجزل هرم له العطاء وله نحو العشرين قصيدة، يمدحه هو والحارث بن عوف بما؛ لسعيه في الصلح بين عبس وذبيان. ومات قبل البعثة بقليل. وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وماتت أمه وهي حامل به. وقالت: إذا أنا مت فشقوا بطني. فإن سيد غطفان فيه، فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا. وفي بني سنان يقول زهير:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم	طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قدم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا أنس إذا أمنوا	مرزؤون بهاليل إذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم	لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان:

وأبيض فياض يده غمامة  
على معتقيه ما تغب فواصله  
تراه إذا ما جئته متهللاً  
كأنك تعطيه الذي أنت سائله  
أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله  
ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال زهير أيضاً في هرم بن سنان وأهل بيته:

من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم  
بينهم لهم في جنان الخلد مرتفق  
المطعمين إذا ما أزمة أزمتم  
والطيبين ثياباً كلما عرقوا  
كأن آخرهم في الجود أولهم  
إن قامروا قمرُوا أو فاخروا فخروا  
إن قامروا قمرُوا أو فاخروا فخروا  
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا  
كما تنافس عند الباعة الورق

قال الميداني في مجمع أمثاله عند قولهم أجود من هرم: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري وقد سار  
بذكر جوده المثل، وقال زهير بن أبي سلمى فيه:

إن البخيل ملوم حيث كان  
ولكن الجواد على علاته هرم  
هو الجواد الذي يعطيك نائله  
عفواً ويظلم أحياناً فيظلم

ووفدت ابنة هرم على عمر، فقال لها: ما كان الذي أعطى أبوك زهيراً حتى قابله من المديح بما قد سار  
فيه، فقالت: أعطاه خيلاً تنضى، وإبلاً تتوى وثياباً تبلى ومالاً يفنى. فقال عمر: لكن ما أعطاكم زهير لا  
يبليه الدهر، ولا يفنيه العصر.. ويروى أنها قالت: ما أعطى هرم زهيراً قد نسي. قال: لكن ما أعطاكم  
زهير لا ينسى.

2 - وزهير من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، وفضله كثير ممن لهم معرفة بنقد الشعر على  
امرئ القيس والنابغة وأضرابهما، وقال أناس: هو أشعر العرب وعده عمر أشعر الشعراء لأنه لا يعاقل بين  
الكلام ولا يتتبع حواشيه ولا يمدح أحد بغير ما فيه. وذكره الأصمعي قال: كفاك من الشعراء أربعة:  
"زهير إذا طرب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا غضب وعنتر إذا كلب".  
وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث كقوله:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر  
ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

وكان عمر بن الخطاب يعجب بقوله:

يمين أو نفار أو جلاء

فإن الحق مقطعه ثلاث

يعني يمينا أو مناقرة إلى الحاكم أو برهان. ومما جرى من شعره مجرى المثل قوله:

وتغرس إلا في منابتها النخل

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه

### أسباب شاعرية زهير

كان زهير شاعراً مجيداً معدوداً من فحول الشعراء في الجاهلية، وكان النقاد يضعونه مع امرئ القيس والنابعة والأعشى في طبقة واحدة، هي الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية. وكان الذي بلغ به إلى هذه المرتلة الكبيرة في الشعر، ووثق أسباب شاعريته عدة أسباب كثيرة منها: أولاً - هذه البيئة العربية البدوية الشاعرة.

ثانياً - تلك النهضة الأدبية في الشعر التي كانت تموج بها نجد والقرى العربية في عصر زهير. ثالثاً - وراثته الشعر عن أسرته. فقد كان خاله بشامة بن الغدير شاعراً وكانت أسرة زهير من ذريته من المجيدين في الشعر قالوا: "لم يتصل الشعر في أهل بيت من العرب كما اتصل في بيت زهير" فأبوه وأبناؤه وأحفاده وأخته الخنساء كلهم من الشعراء المجيدين.

رابعاً - اشترك زهير في الملاحم الحربية في الجزيرة العربية. وفي حرب داحس والغبراء، والحروب تثير الشاعرية، وتهمج الخيال، وتحرك الشعور، وتبعث على الكلام. خامساً - المنافسات الأدبية بين زهير والشعراء المعاصرين له، كانت سبباً أيضاً من أسباب نضوج شعره وشاعريته.

سادساً - قصد زهير بشعره إلى المدح كان يدفعه إلى الإجادة والتهذيب في شعره، مما رفع من مكانته، وقوى أسباب الرغبة في نفسه وشاعريته.

### أثر حياة زهير في شعره

أولاً - نشأته في أسرة شاعرة جعلته يجود من شعره ويهذب من شاعريته. ثانياً - اتصاله بهرم وتوالي أيادي هرم عليه جعله يجود في المدح. ثالثاً - مشاهدته حرب داحس والغبراء الطاحنة، ومآسيها الدامية، دفعه إلى نظم الشعراء في التنفير من الحرب والدعوة إلى السلام.

رابعاً - تجارب زهير وخبرته بالحياة أنضجت شعر الحكمة عنده.

خامساً - التنافس الأدبي بينه وبين الشعراء، وتلمذته على أوس بن حجر، دفعاه إلى تجويد شعره والعناية بتهديه.

- 3 -

### خصائص شعره

أولاً - من حيث الألفاظ: كان زهير يختار ألفاظه اختياراً، ويبالغ في اختيارها بذوقه وفطرته الأدبية، وقد يسرف في الغرابة حيناً، ولكن لا يخلو أغلب شعره من سهولة في اللفظ حيناً، وجزالة وقوة غالبتين عليه أحياناً.

ثانياً - من حيث الأسلوب: وأسلوب زهير من أساليب الشعراء المجددين المصنعين في شعرهم، وأتم تعلمون مذهب زهير في الروية وتهذيب الشعر وتنقيحه للوصول به إلى منزلة الكمال الفني في النظم وإدراكاً للمنزلة السامية بين الشعراء. ومذهب الروية في شعر زهير واضح كل الوضوح في جميع قصائده، ويتجلى في عدة مظاهر في أسلوب زهير، من إمعان في تنقيح الأسلوب ونفي كل ما يعاب به، وإسقاط كل ما يؤخذ عليه، ومن إدخال الرونق والبهاء والجمال على كل بيت من أبيات قصيدته، ومن قصد للسهولة والوضوح والإمتاع واللذة الفنية التي تبعث على الإعجاب والروعة والتأثر.

ويغلب على شعر زهير ألوان كثيرة من الصنعة، يدخلها فيه من استعارة وتشبيه وكناية وطباق، ولكن هذه الألوان الفنية تجيء في شعره عفو القريحة، من غير قصد إليها وتعمل لها وتكلف فيها وغلو في طلبها، وإنما تنبعث من ذوق الشاعر وموهبته وروحه الصانع الموهوب وهذه الخصائص التي امتاز بها أسلوب زهير كانت هي السبب الأهم في تقديم كثير من النقاد له، ويجمع أغلبهم على وصف أسلوبه بالخلو من التعقيد والتكلف، وبالمساوقة للطبع وبالسهولة والوضوح في قوة وجزالة.. وعلى أي حال، فأسلوب زهير ذوب شاعريته وملكاته في الشعور، ومذهبه في الصنعة الذي شهر به، والذي أخذه عنه تلاميذه من أمثال الحطيئة، وكعب ابن شاعرنا زهير.

ثالثاً - من حيث المعاني: ومعاني زهير كما قلت تنبع من نفسه وتصدر عن حسه، وتتصل بمظاهر البيئة في حياته لا يجمع فيها في طلب المحال، ولكنه يعمد إلى الصدق فإذا بالغ في أداء المعنى اختار طريق المبالغة المقبولة فقال مثلاً:

ولكن حمد الناس ليس بمخد

فلو كان حمد يخلد الناس أخلدوا

وإذا أراد أن يجود في المدح اختار ما هو أليق به وأقرب إلى ذوق الناس في عصره من وصف ممدوحه

بالبطولة والشجاعة والعفة والنائل الكثير، والتهلل عند ورود العفاة ولكنه لا يزعم أبداً أن ممدوحه فعل المعجزات وصنع المستحيلات ونالت قدرته السموات، كما يزعم المحدثون من الشعراء. وتشيع في معاني زهير الحكمة الصادقة، والتجربة الصحيحة، والخبرة الواعية بالحياة وأحداثها ومشكلاتها. ومن ثم عد من شعراء الحكمة في الشعر الجاهلي.

رابعاً - من حيث الخيال: ومعاني زهير لا يسوقها سوق الحس والمشاهدة فحسب، ولكنه يتكئ فيها على خياله، ليبرزها في ألوان مجنحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور وهذا الخيال عند زهير من صنعه أن يقرب البعيد، ويسهل الصعب من المعاني ويوضح الغامض، وأجنحة هذا الخيال في مبالغة مقبولة أو استعارة صادقة، أو كناية قريبة، أو تشبيه مستطرف في ثنايا شعره. خامساً - من حيث الأغراض: أجاد زهير إجادة عالية في الحكمة والمدح والغزل، وقارب من الإجادة في الوصف والفخر والعتاب، وكان متوسطاً في الهجاء والرثاء والاعتذار.. وقد مضت نماذج لهذه الفنون من شعره، ولكن الذي نريد أن نتحدث عنه هو أسباب تجويده في المدح.. وهذه الأسباب من أهمها: أولاً: حرص زهير على تسجيل بعض مآثر سادات العرب الذين كان لهم مكان مرموق في الحياة الجاهلية، وأثر واضح في فض مشكلات الحرب بين قبائلها.

ثانياً: الوفاء الذي طبعت عليه نفس زهير وشدة تأثر بأيدي ممدوحيه عليه. ثالثاً: اعتزازه بمفاخر القبيلة، ومجدها ومآثرها، مما كان يدفعه إلى مدح قومه. رابعاً: اتصاله بهرم وتوالي أيادي هرم عليه.. كل هذه الأسباب جعلته جيد المدح. ولذلك قالوا: "كان أشعر الناس امرئ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب". ويقصدون من ذلك أن أجود شعر امرئ القيس كان في وصف الخيل والصيد، وأجود شعر زهير كان في المدح، وأجود شعر النابعة كان في الاعتذار، وأجود شعر الأعشى كان في وصف الخمر.

4 - وكان زهير ينقح شعره مدة طويلة فتسمى كبار قصائده "الحوليات"، وعد من عبيد الشعراء.. ولذلك كان زهير "أبعد الشعراء عن سخف، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من اللفظ، وأكثرهم أمثلاً في شعره".. وكان لا يتتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه. والظاهر أن طول تمذيه لشعره إنما كان في طوال قصائده.. وهي أربع: أحداها مطلعها:

بلى وغيرها الأرواح والديم

قف بالديار التي لم يعفها القدم

والثانية:

وعلق القلب من أسماء ما علقا

إن الخليط أجد البين فانفرقا

والثالثة:

بأن الخليط ولم يأووا لمن تركوا وذودوك اشتياقا أية سلكوا

والرابعة:

لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلا له حقب قديم

تظهر هذه الروية في شعره كل الظهور، فهو هادئ رزين في تفكيره، يتخير المعاني التي تناسب موضوعه، ويتخير لهذه المعاني خير الألفاظ، يرفق مواضع الرفق، ويشدد في مواضع الشدة. كذلك عرف بالميل إلى الحكمة، جرب الدهر وحلب أشطره وخبر الناس وعرف نفوسهم فعمد إلى صياغة ذلك كله في شعره - وكان ملهما - فأتى بما لم يسبق إليه وقد أعجب المسلمون في الصدر الأول بحكمه، وفضله بعضهم من أجلها على سائر الشعراء، لما فيها من صدق القول، وحسن النظر، ولما فيها من نظرات تتفق ومبادئ الإسلام كقوله:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكرم الله يعلم

يؤخر فوضع في كتاب فيدحر ليوم حساب أو يعجل فينقم

وخير شعره هو في مدح هرم بن سنان، كقوله:

قد جعل المبتعون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

من يلق يوماً على علاقة هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

ليث بعثر يصطاد الليوث إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتقا

لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

وقوله:

دع ذا وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضر

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

ولأنت أوصل من سمعت به لشوابك الأرحام والصهر

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر

وأراك تفري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفري

أثنى عليك بما علمت وما  
والستر دون الفاحشات ولا  
سلفت في النجديات من ذكر  
يلقاك دون الخير من ستر  
ولما مات هرم رثاه زهير بقصيدته:

إن الرزية لا رزية مثلها  
إن الركاب لتبتغي ذا مرة  
ما تبتغي غطفان يوم أضلت  
بجنوب نخل إذا الشهور أطلت  
ينعين خير الناس عند شديدة  
ولنعم حشو الدرع كان إذا سطا  
عظمت مصيبته هناك وجلت  
نهلت من العلق الرماح وعلت  
وأولى قصائده معلقته التي مطلعها:

أمن أم أو في دمنة لم تكلم  
بحومانة الدراج فالمتنلم  
وهي في تسعة وخمسين بيتاً وموضوعها إطرء الصلح بين عيس وذبيان ومدح هرم والحارث بن عوف  
لقيامهما بهذا العمل الجليل.

5 - وقد ظهر منذ حين شرح لديوان زهير بن أبي سلمى، ويهو يقع في نحو 460 صفحة من القطع  
الكبير، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية - وللديوان قصة فإنه منذ سنوات أتيح للمستشرق المعروف  
الأستاذ أوجست فيشر الاطلاع على مخطوط قديم بمكتبة الجمعية الألمانية الشرقية بمدينة هله، شرح فيه  
مصنفة ديوان الشاعر الجاهلي الكبير زهير بن أبي سلمى المزني وديوان ولده كعب. ويمتاز هذا المخطوط  
بأنه نسخة ديوان زهير فيه أقدم نسخه المعروفة جميعاً، إذ يرجع تاريخها إلى سنة 533 هجرية، كما أن  
ديوان كعب فريد لا يعرف له نسخة ثانية. ويقول الأستاذ فيشر في وصفه إنه مخطوط بقلم لغوي يدير،  
يندر أن تفوته غلطة، كتبه بخط واضح كامل الشكل، ومما يذكر أن هذا المخطوط كان قد عثر عليه  
الأستاذ ألبرت سوتسن في زيارة له لدمشق 1783، وآلت ملكيته إلى الجمعية الألمانية بعد وفاته وليس  
زهير في حاجة إلى تعرف، فهو أحد ثلاثة كانوا أقطاب الشعر في الجاهلية والمقدمين على سائر الشعراء.  
وكان يسمى قصائده المطولة "الحوليات" لكثرة ما يعود إليها بالنظر والتروية والتنقيح، حتى كان  
الأصمعي يقول "زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبید الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهب فيه مذهب  
المطوعين".

ورغم مكانة زهير هذه، فإن ديوانه لم يطبع غير مرة واحدة منذ قرابة نصف قرن، وكانت الحاجة ماسة  
لذلك، إلى إعادة نشره من جديد على طريقة التحقيق العلمي الحديث.. وهذلت ما تكفلت به الطبعة التي  
بين أيدينا.

ورواية زهير وشارحه في هذه الطبعة هو الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بثعلب اللغوي الكوفي الحجة. وقد كان كما يقول عنه القطريلي "من الحفظ والعلم وصدق اللهجة والمعرفة بالغيب ورواية الشعر القديم ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد" ووصفه المبرد بأنه "أعلم الكوفيين" على رغم ما كان بينهما من تنافس ونزاع. وذكر له ابن النديم اثنين وعشرين كتاباً في النحو والأدب واللغة، من أشهرها كتاب الفصيح المعروف باسمه. وله شرح على ديوان الأعشى نشره المستشرق رودلف جيد، وشرح ديوان زهير الذي نحن بصدده، وقد تواتر الإجماع بروايته له في سائر نسخ الديوان المعروفة بغير شك أو خلاف. أما شرح ديوان كعب فالحقق الأوجه لنسبته لثعلب. ويقطع الأستاذ فيشر بأنه للسكري اللغوي البصري "المتوفي سنة 275هـ". ويرجح ذلك عنده ما ورد في نهاية المخطوط حيث ذكر ناسخه بعد الفراغ من شعر كعب: "تم شعر كعب في رواية السكري"، ثم ما ورد في رواية بعض القصائد مما يغلب أن يكون رواية من غير أهل الكوفة.

### المختار من شعر زهير

- 1 - قال زهير بن أبي سلمى:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم	بحومانة الدراج فالمنتلم
ودار لها بالرقمتين كأنها	مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفه	وأطلاؤها ينهضن من كل محتم
وقفت بها من بعد عشرين حجة	فألياً عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفحاً في معرس مرجل	ونؤياً كجذم الحوض لم يتنلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها	ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من طعائن	تحملن بالعلياء من فوق جرثم
علون بأنماط عتاق وكلة	وراد حواشيها مشاكهة الدم
ووركن في السوبان يعلون متنه	عليهن دل الناعم المنتعم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر	أنيق لعين الناظر المتوسم
بكرن بكوراً واستحرن بسحرة	فهن لوادي الرس كاليد للفم

جعلن القنان عن يمين وحزنه  
ظهري من السويان ثم جزعنه  
كأن فتات العهن في كل منزل  
فلما وردن الماء زرقاً جمامه  
سعى ساعياً غيط ابن مرة بعدما  
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله  
يميناً لنعم السيدان وجدتما  
تدار كتماً عبساً وذبيان بعدما  
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً  
فأصبحتما منها على خير موطن  
عظيمين في عليا معد وغيرها  
فأصبح يجري فيهم من تلاككم  
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت  
ينجمها قوم لقوم غرامة  
فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة  
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم  
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر  
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة  
فنحرككم عرك الرحي بثقالها  
فنتج لكم غلمان أشأم كلهم  
فتعلل لكم ما لا تغل لأهلها  
لعمرى لنعم الحي حر عليهم  
وكان طوى كشحاً على مستكة

ومن بالقنان من محل ومحرم  
على كل قيني قشيب مفأم  
نزلن به حب الفنا لم يحطم  
وضعن عصي الحاضر المتخيم  
تبزل ما بين العشييرة بالدم  
رجال بنوه من قریش وجرهم  
على كل حل من سحيل ومرم  
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
بمال ومعروف من الأمر نسلم  
بعيدين فيها من عقوق ومأتم  
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم  
مغانم شتى من إقال المزرم  
ينجمها من ليس فيها بمجرم  
ولم يهريقوا بينهم ملء محجم  
وذبيان هل أقستم كل مقسم  
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم  
ليوم الحساب أو يعجل فينقم  
وما هو عنها بالحديث المرجم  
وتضر إذا أضربتموها فتضرم  
وتلقح كشافاً ثم تحمل فتنتم  
كأحمر عاد ثم ترضع فتقطم  
قرى بالعراق من قفير ودرهم  
بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم  
فلا هو أبداها ولم يتجمجم

عدوي بألف من ورائي ملجم  
لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم  
له ليد أظفاره لم تقلم  
سريعاً، وإلا يبذ الظلم بظلم  
غماراً تسيل بالرماح وبالدم  
إلى كلاً مستوبل متوخم  
دم ابن نهيك أو قنيل المثلّم  
ولا وهب منهم ولا ابن المحزم  
علالة ألف بعد ألف مصتم  
صحيحات مال طالعات بمخرم  
إذا طلعت إحدى الليالي بمعظم  
لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم  
ثمانين حولاً لا أبالك يسأم  
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم  
ولكنني عن علم ما في غد عم  
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم  
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم  
على قومه يستغن عنه ويذمم  
يهدم ومن لا يظلم اليأس يظلم  
ولو رام أسباب السماء بسلم  
يطيع العوالي ركبت كل لهدم  
إلى مطمئن البر لا يتجمجم  
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
ولو خالها تخفى على الناس تعلم

وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي  
فشد ولم تفرع بيوت كثيرة  
لدى أسد شاكي السلاح مقذف  
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه  
رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا  
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا  
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم  
ولا شاركوا في القوم في دم نوفل  
فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونهم  
تساق إلى قوم لقوم غرامة  
لحي حلال يعصم الناس أمرهم  
كرام فلاذوا لو تر يدرك وتره  
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش  
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب  
وأعلم علم اليوم والأمس قبله  
ومن لا يصانع في أمور كثيرة  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله  
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه  
ومن هاب أسباب المنية يلقيها  
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه  
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه  
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه  
ومهما تكن عند امرئ من خليقة

ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم

ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه

### تحليل لمعلقة زهير

هذه المعلقة هي أثر آخر من آثار البلاغة العربية القديمة، يقع في تسعة وخمسين بيتاً، وصاحبها هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني. نشأ في أقرابه بني غطفان وتخرج في الشعر على خال أبيه بشامة بن الغدير، وكان يروي لأوس بن حجر أيضاً وكان أوس زوج أمه، فكان شاعراً فحلاً، كما كان صائب الرأي عاقلاً حازماً حكيماً وكان يتأله ويتعفف في شعره.. ويدل شعره على إيمان بالبعث:

ليوم حساب أو يعجل فينقم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر

وفضله عمر بن الخطاب على الشعراء، لأنه كان لا يعاظم بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه.

وكان زهير أحكمهم شعراً، وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح.

كانت حرب داحس والغبراء بين عبس وبيان تؤرق زهيراً وتضنيه، وتثير شاعريته. ولما سعى هرم بن سنان والحارث بن عوف المريان في الصلح وحقن الدماء وتحملا ديات القتلى أنطلقت تلك المأثرة زهيراً، فنظم معلقته هذه يمدح هذين السيدين، وينوه بعملهما الجليل ويدعو إلى السلم وينفر من الحرب ويصف مآسيها وآلامها، وهي قصيدة رائعة، تمتاز بحكمها الكثيرة، وكان زهير ذا حكمة في شعره.. وقد بدأ زهير معلقته بذكر الديار وزيارته لها ووقوفه فيها عشرين عاماً طوالاً يتذكر ذكريات حبه ووفائه، قال:

بحوماته الدراج فالمنتلم

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم

فلأياً عرفت الدار بعد توهم

وقفت بها من بعد عشرين حجة

ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها

ثم أخذ يصف النساء اللاتي ارتحلن عنها، فيتبعن ببصره كثيراً حزناً، ويصف الطريق التي سلكنها، والهوارج التي كن فيها، والمياه التي نزلنها، في عذوبة وسهولة وجمال، إلى أن يقول:

وضعن عصي الحاضر المتخيم

فلما وردن الماء زرقا جمامه

عليه خيالات الأحبة يحلم

تذكرني الأحلام ليلي ومن تطف

ثم ينتقل إلى مدح هرم الحارث والإشادة بمنقبتهما الكريمة في إنقاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس وذيبيان وتحملهما ديات القتلى من ما لهما، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير. قال:

سعى ساعياً "غيظ بن مرة" بعدما  
تبزل ما بين العشيرة بالدم  
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله  
رجال بنوه من قريش وجرهم  
يميناً لنعم السيدان وجدتما  
على كل حال من سحيل ومبرم  
تداركتما عبساً وذيبيان بعدما  
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً  
بمال ومعروف من الأمر نسلم  
فأصبحتما منها على خير موطن  
بعيدتين فيها من عقوق ومآثم

ثم ندد بالحرب ووصف فظائعها؛ ودعا إلى السلم وأكدّه وأوجهه على المتحاربين، قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم  
وما هو عنها بالحديث المرجم  
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة  
وتضر إذا ضربتموها فتضرم

ثم ينصح قومه بأن يبقوا على السلم، ويندد بالحصين بن ضمضم وبآثار عمله في تهيج الشر وإعادة نار الحرب، وكان الحصين حين اجتمع القوم للصالح قد حمل على رجل له عنده ثأر في الحرب فقتله، ويعيد التنويه بالرجلين اللذين احتملا ديات القتلى واحداً واحداً على غير جريرة كانت منهما. ثم ينتقل من هذا المجال الرهيب مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام، إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المحرب للحياة الذي ذاقها وخبرها، وعاش في خضمها، ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها.. قال:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله  
على قومه يستغن عند ويذمهم

إلى أن قال:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش  
ثمانين حولاً لا أبالك يسأم  
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله  
ولكنني عن علم ما في غد عم  
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب  
تمته ومن تخطئ يعمر فيهم

ويختمها بتأكيد معروف السيدين الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم  
ومن يكثر التسأل يوماً سيحرم

- 2 - وقال أيضاً بمدح سنان بن أبي حارثة المري:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وقد كنت من سلمى سبين ثمانيا

على صبر أمر ما يمر وما يحلو

وكنت إذا ما جئت يوماً لحاجة

مضت وأجمت، حاجة الغد ما تخلو

وكل محب أحدث النأي عنده

سلو فؤاد غير حبك ما يسلو

تأوبني ذكر الأحبة بعده ما

هجعت ودوني قلة الحزن فالرمل

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى

وما سحقت فيها المقادم والقمل

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن

إلى الليل إلا أن يعرجني طفل

إلى معشر لم يورث اللؤم جدهم

أصاغرهم وكل فحل له نجل

تربص فإن تقو المروراة منهم

وداراتها لا تقو منهم إذن نخل

فإن تقويا منهم فإن محجراً

وجزع الحسا منهم إذن قلما يخلو

بلاد بها ندمتهم وألفتهم

فإن تقويا منهم فإنهما بسل

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم

طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

بخيل عليها جنة عبقرية

جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وإن يقتلوا فيشتقى بدمائهم

وكانوا قديماً من مناياهم القتل

عليها أسود ضاريات لبوسهم

سوابغ بيض لا تخرقها النبيل

إذا لقت حرب عوان مضرة

ضروس تهر الناس أنيابها عصل

قضاعية أو أختها مضرية

يحرق في حافاتها الخطب الجزل

تجدهم على ما خيلت هم إزاءها

وإن أفسد المال الجماعات والأزل

يحشونها بالمشرفيات والقنا

وفتيان صدق لا ضعاف ولا نكل

تهامون نجديون كيداً ونجعة

لكل أناس من وقائعهم سجل

هم ضربوا عن فرجها بكتيبة

كبيضاء حرس في طوائفها الرجل

متى يشترج قوم تفل سرارتهم

هم بيننا فهم رضا وهم عدل

هم جددوا أحكام كل مضلة

من العقم لا يلقى لأمثالها فصل

مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل  
ولا سفراً إلا له منهم حبل  
مشاربها عذب وأعلامها ثمل  
لهم نائب في قومهم ولهم فضل  
وكانا امرأين كل أرهما يعلو  
فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى  
وذبيان قد زلت بأقدامها النعل  
سبيلكما فيه وإن أحرثوا سهل  
ونال كرام المال في الحجرة الأكل  
قطيناً بها حتى إذا نبت البقل  
وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يغلوا  
وأندية ينتابها القول والفعل  
وعند المقلين السماحة والبذل  
مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل  
رشدت، فلا غرم عليك ولا خذل  
فلم يفعلوا، ولم يليموا، ولم يألوا  
توارثه آباء آبائهم قبل  
وتغرس إلا في مناتها النخل

بعزيمة مأمور مطيع وأمر  
ولست بلاق بالحجاز مجاورا  
بلاد بها عزوا معدا وغيرها  
هم خير حي من معد علمتهم  
فرحت بما خبرت عن سيدكم  
رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم  
تداركتما الأحلاف قد ثل عرشهم  
فأصبحتما منها على خير موطن  
إذا السنة الشهباء بالناس أجمعت  
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم  
هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا  
وفيهم مقامات حسان وجوههم  
على مكتريهم رزق من يعتريهم  
وإن جئتهم ألفت حول بيوتهم  
وإن قام فيهم حامل قال قاعد  
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم  
فما يك من خير أتوه فإنما  
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه

- 3 - وقال يمدح حصن بن حذيفة بن بدر:

وعرى أفراس الصبا ورواحله  
علي سوى قصد السبيل معادله  
وكان الشباب كالخليط زابله  
وإلا سواد الرأس والشيب شامله  
عفا الرس منه فالرسييس فعاقله

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله  
وأقصرت عما تعلمين وسددت  
وقال العذارى إنما أنت عمنا  
فأصبحت ما يعرفن إلا خليفتي  
لمن ظلل كالوحي عاف منازلته

فشرقي سلمى: حوضه فأجاوله  
فوادي القنان: جزعه فأفأكله  
أجابت روابيه النجا وهواطله  
ممر أسيل الخد نهد مرأكله  
فتم وعزته يداه وكاهله  
بمنقبة ولم تقطع أباجله

متى نره فإننا لا نخاتله  
يدب ويخفى شخصه ويضائله  
بمستأسد القريان حو مسائله  
قد اخضر من لس الغمير جحافلته  
فلم تبق إلا نفسه وحلائته  
أنختله عن نفسه أم نساوله  
يزاولنا عن نفسه ونزاوله  
ولم يطمئن قلبه وخصائلته  
ولا قدماه الأرض إلا أنامله  
على ظهر محبوبك ظماء مفاصلته  
وما هو فيه عن وصاتي شاغله  
وإلا تضبعها فإنك قاتله  
كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابله  
على كل حال مرة هو حامله  
سراع توأليه صياب أوائلته  
على رغمه يدمى نساه وفائلته  
مخضبة أرساغه وعواملته

فرقد فصارات فأكناف منعج  
فوادي البدي فالطوي فنادق  
وغيث من الوسمي حو تلاعه  
هبطت بممسود النواشر سابح  
تميم فلوناه فأكمل صنعه  
أمين شظاه لم يخرق صفاقة

إذا ما غدونا نبتغي الصيد مرة  
فبيننا نبغي الصيد جاء غلامنا  
فقال شياه راتعات بقفرة  
ثلاث كأقواس السراء مسحل  
وقد خرم الطراد عنه جحاشه  
فقال: أميري ما ترى رأي ما نرى  
فبتنا عراة عند رأس جوادنا  
ونضربه حتى اطمأن قذاله  
وملجمنا ما إن ينال قذاله  
فلأياً بلأى ما حملنا وليدنا  
فقلت له سدد وأبصر طريقه  
وقلت: تعلم أن للصيد غرة  
فتمتع آثار الشياه وليدنا  
نظرت إليه نظرة فرأيته  
يثرن الحصى في وجهه وهو لاحق  
فرد علينا العير من دن إلفه  
ورحنا به ينضو الجياد عشية

بذى ميعة لا موضع الرمح مسلم  
 وأبيض فياض يداه غمامة  
 بكرت عليه غدوة فرأيته  
 يفدينه طوراً وطوراً يلمنه  
 فأقصرن منه عن كريم مرزاً  
 أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله  
 تراه إذا ما جئته متهللاً  
 وذى نسب ناء بعيد وصلته  
 وذى نعمة تمتتها وشكرتها  
 دفعت بمعروف من القول صائب  
 وذى خطل في القول يحسب أنه  
 عبأت له حلماً وأكرمت غيره  
 حذيفة ينميه وبدر كلاهما  
 ومن مثل حصن في الحروب، ومثله  
 أبي الضيم والنعمان يخرق نابه  
 عزيز إذا حل الخليفان حوله  
 يهد له ما دون رملة عالج  
 وأهل خباء صالح ذات بينهم  
 فأقبلت في الساعين أسأل عنهم  
 - 4 - وقال يمدح هرم بن سنان وأباه وإخوته:

لبطء ولا ما خلف ذلك خاذله  
 على معنفيه ما تغب فواضله  
 قعوداً لديه بالصريم عواذله  
 وأعيما فما يدرين أين مخائله  
 عزم على الأمر الذي هو فاعله  
 ولكنه قد يهلك المال نائله  
 كأنك تعطيه الذي أنت سائله  
 بمال وما يدري بأنك واصله  
 وخصم يكاد يغلب الحق باطله  
 إذا ما أضل الناطقين مفاصله  
 مصيب فما يلتم به فهو قائله  
 وأعرضت عنه وهو باد مقاتله  
 إلى باذخ يعلو على من يطاوله  
 لإنكار ضيم، أو لأمر يحاوله؟  
 عليه فأفضى والسيوف معاقله  
 بذى لجب لجاته وصواهله  
 ومن أهله بالغور زالت زلازله  
 قد احتربوا في عاجل أنا آجله  
 سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

وعلق القلب من أسماء ما علقا  
 يوم الوداع وأمسى الرهن قد غلقا  
 فأصبح الحبل واهناً خلقا  
 ولا محالة أن يشناق من عشقا

إن الخليط أجد البين فانفرقا  
 وفارقتك برهن لا فكاك له  
 وأحلفتك ابنة البكري ما وعدت  
 قامت تراءى بذى ضال لتحزنني

من الطباء تراعى شادناً خرقاً  
من طيب الراح لما يعد أن عتقا  
من ماء لينة لا طرماً ولا زنقا  
أيدي الركاب بهم من راكس فلقا  
يسعى الحداة على آثارهم حزقا  
من النواضح تسقى جنة سحقا  
من المحالة ثقباً رائداً قلقا  
قتب وغرب إذا ما أفرغ انسحقا  
منه اللحاق تمد الصلب والعنقا  
على العراقي يده قائماً دفقا  
حبو الجواري ترى في مائه نطقاً  
على الجذوع يخفن الغم والغرقا

بجيد مغزلة أدماء خازلة  
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبتت  
شج لسقاة على ناجودها شيما  
مازلت أرمقهم حتى إذا هببت  
دانية لشروري أو قفا أدم  
كأن عيني في غربي مقتلة  
تمطو الرشاء فتجري في ثنايتها  
لها متاع وأعوان غدون به  
وخلفها سائق يحذو إذا خشيت  
وقابل يتغنى كلما قدرت  
يحيل في جدول تخبو ضفادعه  
يخرجن من شربات ماؤها طحل

وخيرها نائلاً وخيرها خلقاً  
قد أحكمت حكمت القد والأبقا  
من بعد ما جنبوها بدنأ عققا  
تشكو الدواير والأنساء والصفقا  
نالاً الملوك وبذا هذه السوقا  
على تكاليفه فمئله لحقا  
فمئله ما قدما من صالح سبقا  
أيدي العناة وعن أعناقها الربقا  
أ من الحوادث عادي الناس أو طرقا  
يعطى بذلك ممنوناً لا نرقا  
والسائلون إلى أبوابه طرقا

بل انكرن خير قبس كلها حسياً  
القائد الخيل منكوباً دوايرها  
غزت سماناً فأبت ضمرا خدجا  
حتى يئوب بها عوجاً معطلة  
يطلب شأو امرأين قدما حسنا  
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما  
أو يسبقاه على ما كان من مهل  
أغر أبيض فياض يفكك عن  
وذلك أحزمهم رأياً إذا نب  
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا  
قد جعل المبتغون الخير في هرم

يوماً ولا معدماً من خابط ورقا  
تلق السماحة منه والندی خلقا  
ما كذب الليث عن أقرانه صدقا  
ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا  
وسط الندى إذا ما ناطق نطقا  
أفق السماء لنالت كفه الأفقا

وليس مانع ذي قربي وذی رحم  
إن تلق يوماً على علاته هرماً  
ليث بعثر يصطاد الرجال إذا  
يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا  
هذا وليس كمن يعيا بخطته  
لو نال حي من الدنيا بمنزلة

- 5 - وقال أيضاً:

وزودك اشتياًقاً أية سلکوا  
إلى الظهيرة أمر بينهم لبك  
تخالج الأمر إن الأمر مشترك  
ومنهم بالقسوميات معترك  
ماء بشرقي سلمى قيد أوركك  
يغشى السفائن موج اللجة العرك  
يزحى أوائلها التبغيل والرتك  
إلا القطوع على الأنساع والورك  
على الواجب بيض بينها الشرك  
قمرأ مراتعها القيعان والذبك  
جرداء لا فحج فيها ولا صكك  
حتى إذا ضربت بالسوط تبترك  
ورد وأفرد عنها أختها الشرك  
بالسي ما تنبت القفعاء والحسك  
ريش القوادم لم ينصب له السبك  
نفساً بما سوف ينجيها وتترك  
عند الذنابي، فلا فوت ولا درك

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا  
رد القيان جمال الحي فاحتملوا  
ما إن يكاد يخليهم لوجهتهم  
ضحوا قليلاً قفا كتبان أسنمة  
ثم استمروا وقالوا إن مشربكم  
يغشى الحداة بهم وعت الكتيب كما  
هل تبلغني أذني دراهم ققص  
مقورة تتبارى لا شوار لها  
مثل النعام إذا هيجتها ارتفعت  
وقد أروح أمام الحي مقتنصاً  
وصاحبى وردة نهد مراكلها  
مرا كفاتاً إذا ما الماء أسهلها  
كأنها من قفا الأجباب حلاها  
جونية كحصاة القسم مرتعها  
أهوى لها أسفع الخدين مطرق  
لا شيء أسرع منها وهي طيبة  
دون السماء وفرق الأرض قدرهما

عند الذنابي لها صوت وأزملة  
حتى إذا هوت كف الغلام لها  
ثم استمرت إلى الوادي فألجأها  
حتى استغاثت بماء لا رشاء له  
مكلل بأصول النبت تتسجه  
كما استغاثت بسيء فر غيطة  
فزله عنها وأوفى رأس مرقبة  
هلا سألت بني الصيياء كلهم  
فلن يقولوا بحبل واهن خلق  
يا حار لا أرمين منكم بداهية  
فاردد يساراً لا تعف علي ولا  
ولا تكونن كأقوام علمتهم  
طابت نفوسهم عن حق خصمهم  
تعلمن ها "العمر الله" ذا قسما  
لئن حلت بجو في بني أسد  
ليأتينك مني منطلق قذع  
- 6 - وقال أيضاً:

يكاد يخطفها طوراً وتهتك  
طارت وفي كفه من ريشها بتك  
منه وقد طمع الأظفار والحنك  
من الأباطح في حافاته البرك  
ريح خريق لضاحي مائه حبك  
خاف العيون فلم ينظر به الحشك  
كمنصب العتر دمي رأسه النسك  
بأي حبل جوار كنت أمتسك  
لو كان قومك في أسبابه هلكوا  
لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك  
تمعك بعرضك إن الغادر المعك  
يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا  
مخافة الشر فارتدوا لما تركوا  
فاقدر بذرعك وانظر أين تنسلك  
في دين غمرو وحالت بيننا فذك  
باق كما دنس القبطية الودك

تعلم أن شر الناس حي  
ولو لا عسبه لرددتموه  
إذا جمحت نساؤكم إليه  
يبربر حين يغدو من بعيد  
كطفل ظل يهدج من بعيد  
إذا أبزت به يوماً أهلت  
فأبلغ إن عرضت لهم رسولا

ينادي في شعارهم يسار  
وشر منيحة عسب معار  
أشظ كأنه مسد مغار  
إليها وهو قبقاب قطار  
ضئيل الجسم يعلوه انبهار  
كما تبرزى الصفائد والعشار  
بني الصيياء إن نفع الجوار

فإن الشعر ليس له مرد

إذا ورد المياه به التجار

- 7 - وقال أيضاً:

أبلف بني نوفل عني وقد بلغوا

مني الحفيظة لما جاءني الخبر

القائلين يساراً لا تناظره

غشاً لسيدهم في الأمر إذا أمروا

إن ابن ورقاء لا تخشى غوائله

لكن وقائعه في الحرب تنتظر

لولا ابن ورقاء والمجد التليد له

كانوا قليلاً فما عزوا ولا كثروا

المجد في غيرهم لولا مآثره

وصبره نفسه والحرب تستعر

أولى لهم ثم أولى أن تصيبهم

مني بواقر لا تبقي ولا تذر

وأن يعلل ركبان المطي بهم

بكل قافية شنعاء تشتهر

- 8 - وقال أيضاً يمدح الحارث:

أبلغ لديك بني الصيذاء كلهم

أن يساراً أتانا غير مغلول

ولا مهان ولكن عند ذي كرم

وفي حبال وفي غير مجهول

يعطي الجزيل ويسمو وهو منتد

بالخيل والقوم في الرجاجة الجول

وبالفوارس من ورقاء قد علموا

فرسان صدق على جرد أبابيل

في حومة الموت إذ ثابت حلاتهم

لا مقرفين، ولا عزل، ولا ميل

في ساطع من غيابات ومن رهج

وعثير من دقاق الترب منخول

أصحاب زند وأيام لهم سلفت

من حاروا أعذبوا عنه بتكيل

أو صالحوا فله أمن ومنتفذ

وعقد أهل وفاء غير مخذول

- 9 - وقال يمدح هرم بن سنان المري:

قف بالديار التي لم يعفها القدم

بلى وغيرها الأرواح والديم

لا الدار غيرها بعدي الأنيس ولا

بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم

دار لأسماء بالغمريز مائلة

كالوحي ليس بها من أهلها أرم

وقد أراها حديثاً غير مقوية

السر منها فوادي الجفر فالهدم

فلا لكان إلى وادي الغمار، ولا

شرقي سلمى، ولا قيد، ولا رهم

شطت بهم قرقرى: برك بأيمنهم  
عوم السفين، فلما حال دونهم  
كان عيني وقد سال السليل بهم  
غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق  
عهدي بهم يوم باب القريتين  
فاستبدلت بعدنا داراً يمانية  
إن البخيل ملوم حيث كان ول  
هو الجواد الذي يعطيك نائله  
وإن أتاه خليل يوم مسئلة  
القائد الخيل منكوباً دوابرها  
قد عوليت فهي مرفوع جواشنها  
تنبذ أفلاءها في كل منزلة  
فهي تتلع بالأعناق يتبعها  
تخطو على ربذات غير فائرة  
قد أبدأت قطفاً في المشي منشرة ال  
يهوى بها ماجد سمح خلائقه  
صدت صدوداً عن الأشوال واشترفت  
كانوا فريقيين يصغون الزجاج على  
وآخرين ترى الماذي عدتهم  
هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا  
ينظر فرسانهم أمر الرئيس وقد  
يمرونها ساعة مرياً بأسوقهم  
شدوا جميعاً وكانت كلها نهزاً

والعاليات، وعن أيسارهم خيم  
فند الفريات فالعتكان فالكرم  
وعبرة ما هم لو أنهم أمم!  
في السلك خان به رباته النظم  
زال الهماليج بالفرسان واللجم  
ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم  
كن الجواد على علاته هرم  
عفواً ويظلم أحياناً فيظلم  
يقول لا غائب مالي ولا حرم  
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم  
على قوائم عوج لحمها زيم  
تفتح أعينها العقبان والرخم  
خلج الأجرة في أشداقها ضجم  
تحذى وتعقد في أرساغها الخدم  
أكتاف تنكبها الحزان والأكم  
حتى إذا ما أناخ القوم فاحتزموا  
فبلا تقلقل في أعناقها الجذم  
قعس الكواهل في أكتافها شمم  
من نسج داود أو ما أورثت إرم  
لا ينكصون إذا ما استلحموا وحموا  
شد السروج على أثابجا الحزم  
حتى إذا ما بدا للغارة النعم  
تحشك درتها الأرسان والجذم

بحر يفيض على العاقين إذ عدموا  
ولا شحيح إذا أصحابه غنموا  
معتدل الحكم لا هار ولا هشم  
مالم ينالوا وإن جادوا وإن كرموا  
في مواطن لو كانوا بها سئموا  
مما يبسر أحياناً له الطعم  
من سيئ العثرات الله والرحم  
عن الرياسة لا عجز ولا سأم  
وسط السيوف إذا ما تضرب البهم

أقوين من حجج ومن شهر؟  
بعدي سوافي المور والقطر  
ضفوى أولات الضال والسدر  
حير البداة وسيد الحضر  
ذبيان عام الحبس والأصر  
خب السفير وسابي الخمر  
دعيت نزال ولج في الذعر  
جلى أمين مغيب الصدر  
نابت عليه نواب الدهر  
لأواء غير معن القدر  
حوب تسب به ومن غدر  
صافي الخليقة طيب الخبر  
للنائبات يراح للذكر  
كره الظنون جوامع الأمر

ينزعن إمة أقوام لذي كرم  
حتى تأوى إلى لا فاحش برم  
يقسم ثم يسوي القسم بينهم  
فضله فرق أقوام ومجده  
قود الجياد وإصهار الملوك وصبر  
ينزع إمة أقوام ذوي حسب  
ومن ضربيته التقوى ويعصمه  
مورث المجد لا يغتال همته  
كالهندواني لا يحزنك مشهده  
- 10 - وقال زهير أيضاً يمدح هرما:

لمن الديار بقنة الحجر  
لعب الزمان بها وغيرها  
قفراً بمنذفع النحائت من  
دع ذا وعد القول في هرم  
تالله قد علمت سراة بني  
أن نعم معترك الجياح إذا  
ولنعم حشو الدرع أنت إذا  
حامي الذمار على محافظة ال  
حذب على المولى الضريك إذا  
ومرهق النيران يحمد في ال  
ويقيك ما وفى الأكارم من  
وإذا برزت به برزت إلى  
متصرف للمجد معترف  
جلد يحث على الجميع إذا

فلأنت تفرى ما خلقت وبع  
ولانت أشجع حين تتجه ال  
ورد عراض الساعدين حدي  
يصطاد أهدان الرجال فما  
والستر دون الفاحشات وما  
أنتى عليك بما علمت وما  
لو كنت من شيء سوى بشر  
- 11 - وقال أيضاً:

ض القوم يخلق ثم لا يفرى  
أبطال من ليث أبي أجر  
د الناب بين ضراغم غثر  
تتفك أجرية على نحر  
يلقاك دون الخير من ستر  
سلفت في النجدات والذكر  
كنت المنور ليلة البدر

عفا من آل فاطمة الجواء  
فزو هاش فميث عريينات  
فدروة فالجناب كأن خنس النعاج  
يشمن بروقه ويرش أرى ال  
فلما أن تحمل آل ليلي  
جرت سناً فقلت لها أجزى  
تحمل أهلها منها فبانوا  
كأن أوابد الثيران فيها  
لقد طالبتها ولكل شيء  
تنازعها المها شهباً ودر الن  
فأما ما فويق العقد منها  
وأما المقلتان فمن مهاة  
فصرم حبلها إذ صرمته  
بأرزة الفقارة لم يخنها  
كأن الرحل منها فوق صعل  
أصك مصلم الأذنين أجنى

فيمن فالقوادم الحساء  
عفتها الريح بعدك والسماء  
الطاويات بها الملاء  
جنوب على حواجبها العماء  
جرت بيني وبينهم ظباء  
نوى مشمولة فمتى البقاء؟  
على أثر من ذهب العفاء  
هجائن في مغابنها الطلاء  
وإن طالت لجاجته انتهاء  
حور وشاكهت فيها الظباء  
فمن أدماء مرتعها الخلاء  
وللدر الملاحاة والصفاء  
وعادى أن تلاقيها العداء  
قطاف في الركاب ولا خلاء  
من الظلمان جوؤه هواء  
له بالسي تنوم وآء

عليه من عقيته عفاء  
فنى الدحلان عنه والإضاء  
طباه الرعي منه والخلاء  
فألفاهن ليس بهن ماء  
هوي الدلو أسلمها الرشاء  
ولا كنجائها منه نجاه  
بألواح مفاصلها ظماء  
فليس لوجهه منه غطاء  
صواف لم يكدرها الدلاء

تمام السن منه والذكاء  
على أحساء يمتود دعاء  
على علياء ليس له رداء  
جلا عن متته حرض وماء  
رعيته إذ غفل الرعاء  
نشاوى واجدين لما نشاء  
تعل به جلودهم وماء  
حميا الكأس فيهم والغناء  
نفوسهم ولم تغرق دماء  
أقوم آل حصن أم نساء  
فحق لكل محصنة هداء  
إليكم إننا قوم براء  
بذمتنا فعادتنا الوفاء  
فشر مواطن الحسب الإباء

أذلك أم شتيم الوجه جأب  
تربع صارة حتى إذا ما  
ترفع للقتان وكل فج  
فأوردها حياض صنييعات  
فشج بها الأماعر فهي تهوى  
فليس لحاقه كلحاق إلف  
وإن مالا لوعث خازمته  
يخر نبيذها عن حاجبيه  
يغرد بين خرم مفضيات

يفضله إذا اجتهدا عليه  
كأن سحيله في كل فجر  
فأض كأنه رجل سليب  
كأن بريقه برقان سحل  
فليس بغافل عنها مضيع  
وقد أغدو على ثبة كرام  
لهم راح وراووق ومسك  
يجرون البرود قد تمشت  
تمشى بين قتلى قد أصيبت  
وما أدرى وسوف إخال أدرى  
فإن قالوا: النساء مخبئات  
وإما أن يقول بنو مصاد  
وإما أن يقولوا قد وفينا  
وإما أن يقولوا قد أبينا

يمين أو نفار أو حلاء  
ثلاث كلهن شفاء  
ولا تعطون إلا أن نشاءوا  
وسيان الكفالة والتلاء  
فلم يصلح لكم إلا الأداء  
أجاءته المخافة والرجاء  
دعاه الصف وانقطع الشتاء  
عليكم نقصه وله النماء  
إسار من مليك أو لحاء  
من الكلمات آنية ملاء  
بقسمة تمور بها الدماء  
من المثلات باقية ثناء  
ولم أر جاء بيت يستبأ  
أمام الحي عقدهما سواء  
فليس لما تدب له خفاء  
أصلت فهي تحت الكشح داء  
وعندك لو أردت لها دواء  
لكان لكل مندية لقاء  
وقد يشفى من الجرب الهناء  
مخازي لا يدب لها الضراء  
يسوى بيننا فيها السواء  
وبينكم بني حصن بقاء  
إذن قوماً بأنفسهم أساءوا  
لكم في كل مجمعة لواء

وإن الحق مقطعه ثلاث  
فذلكم مقاطع كل حق  
فلا مستكروهون لما منعتم  
جوار شاهد عدل عليكم  
بأي الحيرتين أجرتموه  
وجار شار معتمداً إليكم  
فجاور مكرماً حتى إذا ما  
ضمنتم ماله وغدا جميعاً  
ولولا أن ينال أبا طريف  
لقد زارت بيوت عليم  
فتجمع أيمن منا ومنكم  
سيأتي آل حصن حيث كانوا  
فلم أر معشراً أسروا هدياً  
وجار البيت والرجل المنادي  
أبي الشهداء عندك من معد  
تلجلج مضغة فيها أنيض  
غصت بنيئها فبشمت منها  
وإني لو لقبتيك فاجتمعنا  
فأبرئ موضحات الرأس منه  
فمهلاً آل عبد الله عدوا  
أرونا سنة لا عيب فيها  
فإن تدعوا السواء فليس بيني  
ويبقى بيننا قدع وتلفوا  
وتوقد ناركم شرراً ويرفع

- 12 - وقال زهير أيضاً يمدح هرما:

عفا وخلا له حقب قديم  
وفي عرصاته منهم رسوم  
ترجع في معاصمها الوشوم  
فأكتبة العجالز فالتصميم  
كما يتطلع الدين الغريم  
بملحي إذا اللؤماء ليموا  
لمسان إذا تشاجرت الخصوم  
يلوذ به المخول والعميم  
ومن عاداته الخلق الكريم  
إذا أزمته يوماً أروم  
تهم الناس أو أمر عظيم  
إذا شهدوا العظائم لم يليموا  
إذا مستهم الضراء خيم  
يشار إليه جانبه سقيم  
عتيق لا ألف ولا سئوم  
وكان لكل ذي حسب أروم

لمن طلل برامة لا يريم  
تحمل أهله منه فبانوا  
يلحن كأنه يدا فتاة  
عفا عن آل ليلي بطن ساق  
تطالعنا خيالات لسلمى  
لعمر أبيك ما هرم بن سلمى  
ولا ساهى الفؤاد ولا عبي ال  
وهو غبث لنا في كل عام  
وعود قومه هرم عليه  
كما قد كان عودهم أبوه  
كبيرة مغرم أن يحملوها  
لينجو من سلامتها وكانوا  
كذلك خيمهم ولكل قوم  
وإن سدت به لهوات ثغر  
مخوف بأسه يكلاك منه  
له في الذاهبين أروم صدق

- 13 - وقال أيضاً:

وقد تأتيتك بالخبر الظنون  
بكل قرارة منها نكون  
إلى أكتاف دومة فالجحون  
وأعلاها إذا خفنا حصون  
جرى منهن بالأصلاء عون

ألا أبلغ لديك بني تميم  
بأن بيوتنا بمحل حجر  
إلى قلهى تكون الدار منا  
بأودية أسافلهن روض  
نحل بسهلها فإذا فزعنا

وكل طوالة وأقب نهد  
تصمر بالأصائل كل يوم  
وكانت تشتكي الأضغان منها ال  
وخرجها صوارخ كل يوم  
وعزتها كواهلها وكلت  
إذا رفع السياط لها تمطت  
ومرجعها إذا نحن انقلبنا  
فقري في بلادك إن قوماً  
أو انتجعي سناناً حيث أمسى  
متى تأتبه تأتي لج بحر  
له لقب لباغي الخير سهل

- 14 - وقال أيضاً:

رأيت بني آل امرئ القيس أصفقوا  
سليم بن منصور وأفناه عامر  
خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا  
خذوا حظكم من ودنا إن قربنا  
وإنا وإياكم إلى ما تسومكم  
إذا ما سمعنا صارخاً معجت بنا  
وإن شل ريعان الجميع مخافة  
على رسلكم إنا سنعدي وراكم  
وإلا فإننا بالشر به فاللوى

- 15 - وقال أيضاً:

لعمرك والخطوب مغيرات  
لقد بالبيت مظعن أم أوفى  
وفي طول المعاشرة التقالي  
ولكن أم أوفى لا تبالي

- 16 - وقال أيضاً:

إن الرزية لا رزية مثلها  
ما تبتغي غطفان يوم أضلت  
إن الركاب لتبتغي ذا مرة  
بجنوب نخل إذا الشهور أطلت  
ينعون خير الناس عند كريهة  
عظمت رزيتهم هناك وجلت  
ولنعم حشو الدرع كان إذا سطا  
نهلت من العلق الرماح وعلت

- 17 - وقال زهير أيضاً:

ألا ليت شعري هل ترى الناس ما أرى  
من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا  
بدا لي أن الله حق فزادني  
إلى الحق تقوى الله ما كان باديا  
بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم  
وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا  
وإني متى أهبط من الأرض تلعة  
أجد أثراً قبلي جديداً وعافيا  
أراني إذا ما بت بت على هوى  
وأني إذا أصبحت أصبحت غاديا  
إلى حفرة أهدى إليها مقيمة  
يحث إليها سائق من ورائيا  
كأنني وقد خلفت تسعين حجة  
خلعت بها عن منكبي ردائيا  
بدا لي أنني لست مدرك ما مضى  
ولا سابقي شيء إذا كان جائيا  
أراني إذا ما شئت لاقيت آية  
تذكرني بعض الذي كنت ناسيا  
وما إن أرى نفسي تقيها كريهتي  
وما إن أرى نفسي كرائم ماليا  
ألا لا أرى على الحوادث باقيا  
ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا  
وإلا السماء والبلاد وربنا  
وأيامنا معدودة واللياليا  
ألم تر أن الله أهلك تبعاً  
وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى  
ألا لا أرى ذا أمة أصبحت به  
وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى  
ألم تر للعمان كان بنجوة  
فغير منه ملك عشرين حجة  
لم أر مسلوباً له مثل ملكه  
من الشر لو أن امرأ كان ناجيا  
من الدهر يوم واحد كان غاويا  
أقل صديقاً باذلاً أو مؤاسيا

فأين الذين كان يغطي جياده  
وأين الذين كان يعطيهم القرى  
وأين الذين يحضرون جفانه  
رأيتهم لم يشركوا بنفوسهم  
خلا أن حياً من راحة حافظوا  
فساروا له حتى أناخوا ببابه  
فقال لهم خيراً وأتتى عليهم  
بأرسائهن والحسان الغواليا  
بغلاتهن والمئين الغوادي  
إذا قدمت ألقوا عليها المراسيا  
منيته لما رأوا أنها هيا  
وكانوا أناساً يتقون المخازيا  
كرام المطايا والهجان المتاليا  
وودعهم وداع أن لا تلاقيا

وَأَجْمَعُ أَمْرًا كَانَ مَا بَعْدَهُ لَهُ  
- 18 - وقال زهير أيضاً لأم ولده كعب:

قالت أم كعب لا تزرني  
رأيتك عبتني وصددت عني  
فلم أفسد بنبك ولم أقرب  
أقيمي أم كعب واطمئني  
فلا والله مالك من مزار  
فكيف عليك صبري واصطباري  
إليك من الملمات الكبار  
فإنك ما أقيمت بخير دار

- 19 - وقال زهير يمدح هرم بن سنان أيضاً عن أبي عمرو المفضل:

خشيت دياراً بالبيع فثهد  
أربت بها الأرواح كل عشية  
وغير ثلاث كالحمام خوالد  
فلما رأيت أنها لا تجيبني  
جمالية لم يبق سيرتي ورحلتي  
متى ما تكلفها مآبة منهل  
برده ولما يخرج السوط شأوها  
كهمك إن تجهد تجدها نجيحة  
وتنضح ذفراها بجون كأنه  
دوارس قد أفوين من أم معبد  
فلم يبق إلا آل خيم منضد  
وهاب محيل هامد متلبد  
نهضت إلى وجناء كالفحل جلعد  
على ظهرها من نيتها غير محفد  
فتستعف أو تنهك إليه فتجهد  
مروحاً جنوح الليل ناجية الغد  
صبوراً وإن تسترخ عنها تزيد  
عصيم كحيل في المراحل معقد

على فرج محروم الشراب مجدد  
علالة ملوي من القد مخصد  
مسافرة مزوودة أم فرقد  
ويؤمن جأش الخائف المتوحد  
إلى جذر مدلوك الكعوب محدد  
كأنهما مكحولتان بإئمد  
إلي السباع في كناس ومرقد  
فلاقت بياناً عند آخر معهد  
وبضع لحام في إهاب مقدد  
ونخشى رماة الغوث من كل مرصد  
مسربلة في رزاقى معضد  
وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد  
وحالت وإن تجشمنها الشد تجهد  
وإن تتقدمها السوابق تصطد  
رأت أنها إن تنتظر النبل تقصد  
وتذيبها عنها بأسحم مذود  
غباراً كما فارت دواخن غرقد  
إلى جوشن خاطى الطريقة مسند  
تروح من الليل التمام وتغندي  
فنعم مسير الوائق المتعمد  
أساعة نحس يتقى أم بأسعد  
وفكاك أغلال الأسير المقيد  
إذا هو لاقى نجدة لم يعرد  
شديد الرجام باللسان وباليد

وتلوى بربان العسيب تمره  
تبادر أغوال العشي وتاتقى  
كخنساء سفعاء الملاطم حرة  
غدت بسلاح مثله يتقى به  
وسامعتين تعرف العنق فيهما  
وناظرتين تطرحان قذاهما  
طباها ضحاء أو خلاء فحالفت  
أضاعت فلم تغفر لها خلونها  
دماً عند شلو تخجل الطير حوله  
وتنفض عنها غيب كل خميلة  
فجالت على وحشيتها وكأنها  
ولم تدر وشك البين حتى رأتهم  
وثاروا بها من جانبها كليهما  
تبذ الألى يأتينها من ورائها  
فأنقذها من غمرة الموت أنها  
نجاه مجد ليس فيه وتيرة  
وجدت فألقت بينهن وبينها  
بملتئمات كالخذاريف قوبلت  
إلى هرم تهجيرها ووسيجها  
إلى هرم سارت ثلاثاً من اللوى  
سواء عليه أي حين أتيته  
أليس بضراب الكماة بسيفه  
كليث أبي شبليين يحمي عربنه  
ومدره حرب حميها يتقى به

وثقل على الأعداء لا يضونه  
أليس بفياض يدها عمامة  
إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية  
سبقته إليها كل طلق مبرز  
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه ال  
تقي نقي لم يكثر غنيمة  
سوى ربع لم يأت فيه مخونة  
يطيب له أو افتراض بسيفه  
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت  
ولكن منه باقيات وراثته  
تزود إلى يوم الممات فإنه  
- 20 - وقال بمدح سنان بن أبي حارثة:

وحمال أثقال ومأوى المطرد  
ثمال اليتامى في السنين محمد  
من المجد من يسبق إليها يسود  
سبوق إلى الغايات غير مجلد  
راع وإن يجهدن يجهد ويبعد  
بنهكة ذي القربى ولا بحقلد  
ولا رهقاً من عائد متهود  
على دهش في عارض متوقد  
ولكن حمد الناس ليس بمخلد  
فأورث بنيك بعضها وتزود  
ولو كرهته النفس آخر موعد

أمن آل ليلي عرفت الطلولا  
بلين وتحسب آياته  
إليك سنان الغداة الرحي

بذي حرض مائلات مثولا  
ن عن فرط حولين رقاً محيلا  
ل أعصى النهاية وأمضى الفتولا

فلا تأمني غزو أفراسه  
وكيف اتقاء امرئ لا ينو  
بشعث معطلة كالقسي  
نواشز أطباق أعناقها  
وإذا أدلجوا لحوال الغوا  
ولكن جلدأ جميع السلا  
فلما تبلج ما فوقه  
وضاعف من فوقها نثرة

بني وائل وازهبيه جديلا  
ب بالقوم في الغزو حتى يطبلا  
غزون مخاضاً وأدين حولا  
وضمرها قافلات قفولا  
ر لم تلف في القوم نكساً ضئيلا  
ح ليلة ذلك عضاً بسيلا  
أناخ فشن عليه الشليلا  
يرد القواضب عنها فلولا

ل تغشى على قدميه فضولا  
ل للوازعين خلوا السبيلا  
جأواء تتبع شخباً ثعولا  
رعلاً سراعاً تبارى رعيلاً  
ء يركضن ميلاً وينزعن ميلاً  
وظل على القوم يوماً طويلاً

مضاعفة كأضاة المسي  
فنهنها ساعة ثم قا  
فأتبعهم فيلقاً كالسراب  
عناجيج في كل رهو ترى  
جوانح يخلجن الظبا  
فضل قصيراً على صحبه

## طرفة بن العبد الشاعر الشاب 540 - 565 م

### ترجمته والمختار من شعره

#### ترجمة الشاعر

#### تمهيد

طرفة شاعر صاحب شخصية واضحة في شعره، وصاحب مذهب واضح في حياته، وداعية من دعاة اللهو واللذة والعبث، وشاب جمع إلى فتوة الشاب وطيشه حكمة الشيوخ وتفكيرهم، ويعجب النقاد والمستشرقون به وبشخصيته وشعره إعجاباً شديداً؛ وشعره صورة واضحة لحياته كل الوضوح، بما كان فيها من مطامح وآمال وآلام وأحداث.

#### أسرة الشاعر وبيئته

1 - و طرفة شاعر فحل من أعلام الشعر الجاهلي، وهو من ربيعة من بكر بن وائل إحدى قبيلتيها العظيمتين المشهورتين - وهما بكر وتغلب - فهو بكري ربيعي. وربيعة أخت مضر في الشرف والسيادة وضخامة الحسب والقوة والعدد. وبكر أخت تغلب في المجد والجاه والعزة والأنفة، وهما جميعاً من ربيعة. ومن شعراء بكر: الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المشهور والمعدود من أصحاب المعلقات، وتوفي أواخر القرن السادس الميلادي، ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر.

ذلك هو نسب الشاعر بين العرب وحسبه، أما أسرته القريبة فهي سعد بن مالك من بني قيس. إذ هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار من عدنان الجد الأعلى للعرب الحجازيين العدنانيين كما علمت.. واسم طرفة عمرو، وكنيته أبو عمرو.

2 - كان قومه في عزة ومنعة بعددهم وحسبهم وشرفهم ومكانتهم بين العرب وكان جده سفيان موصوفاً بالشرف والرئاسة، وكان أبو شاباً قوياً ظاهر الفتوة والجرأة والإقدام، مات وطرفة طفل صغير. وترك غير طرفة ابناً آخر اسمه معبد ورد ذكره في معلقة طرفة:

وشقي على الجيب يا ابنة معبد

إذا مت فانعيني بما أنا أهله

وأم طرفة اسمها وردة، وورد ذكرها في شعره، قال:

## ما تنتظرون بحق وردة فيكمو

## صغر البنون ورهط وردة غيب

ولا نعلم من أمر وردة هذه شيئاً آخر غير هذا البيت، ولكننا نعرف أن المتلمس الشاعر خال طرفة، فهو غالباً أخو وردة لأمه وأبيه، وتكون هي بنت عبد المسيح من بني ضبيعة من بكر من ربيعة من عدنان، فصلة القرابة واضحة بين أسرتي والدته وأبيه.

3 - كان طرفة وقومه يعيشون في البحرين، وهي واقعة في شرق الجزيرة العربية وتمتد من عمان إلى حدود العراق، ومن أشهر مدنها هجر التي ضرب المثل بكثرة ثمرها، فقالوا: "كناقل التمر إلى هجر"، ومن مدنها كذلك "قطر" كان يسكن البحرين قبائل كثيرة من العرب، وجوها جميل معتدل نوعاً لقرها من البحر، وهي قريبة من الحيرة وكانت تخضع لنفوذها.. والقبائل التي تعيش فيها والشعراء الذين نشأوا في أرضها لهم صلات واضحة بملوك الحيرة الذين يخضعون لنفوذ أكاسرة الفرس وسلطانهم. وهذه البقعة من أرض الجزيرة العربية قريبة من العراق وإيران، يمر بها الكثير من المسافرين بين هذه البلاد، وهي خاضعة للحيرة، والحيرة ملتقى الأفكار والديانات والمذاهب المختلفة، وتعيش في ظلال قسط من الحضارة، والنصرانية منتشرة فيها، فلا بد أن يكون لكل هذه العوامل الظاهرة أثرها في عقلية أبنائها وتفكيرهم في الحياة، وفي عقلية وتفكير شاعرنا طرفة بوجه خاص.

4 - ولا يفوتنا أن نذكر أن المرقش الأصغر والمرقش الأكبر من أسرة طرفة الشاعر. فالمرقش الأصغر 560 م عم طرفة. والمرقش الأكبر 552 م عم المرقش الأصغر. ومن أقارب طرفة خاله المتلمس 580 م. ويعد من الطبقة الثانية عند بعض النقاد، وله قصيدة سينية في الجمهرة وقد نظمها بعد قتل ابن أخته طرفة يوقظ فيها بكراً ويدعوها إلى الانتقام من عمرو بن هند ملك الحيرة، ويقول فيها:

## يا آل بكر ألا لله أمكمو

## طال الثواء وثوب العجز ملبوس

## أغنيت شاتي فأغنوا اليوم تيسكمو واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

وتتصل حياة المتلمس بحياة طرفة اتصالاً وثيقاً، كما سترى فيما نقصه عليك في القريب. وترجم له ابن قتيبة.

ويقول صاحب الأغاني عنه: "وهو من شعراء الجاهلية المغلين المفلسين ويرى صاحب "الأدب الجاهلي" على مذهبه من إنكار الشعر الجاهلي أن شعر المتلمس "مخترع منحول"، وأنه قد يكون المتلمس نفسه أيضاً شخصاً روائياً مخترعاً وهو رأي غريب.

## نشأة الشاعر وحياته

1 - لا ندري متى ولد طرفة على وجه التحديد. وإن كان قد أدرك عهد عمرو بن هند ملك الحيرة، وأمر عمرو بقتله في أوائل حكمه، وقد حقق بعض المؤرخين والمستشرقين أن عمرو بن المنذر الثالث المشهور بابن هند تولى ملك الحيرة عام 562 م، فإذا كان طرفة قد قتل في مطلع حكمه، فيكون تاريخ موته نحو عام 565 م، وإن كان جورجي زيدان يذكر أن وفاته سنة 550 م. وقد قتل طرفة وهو شاب صغير في العشرين أو الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين من عمره على اختلاف الروايات، إذ تقول أخته الخرنق تبيكه:

فلما وتوفاها استوى سيدا ضخما

عددنا له ستاً وعشرين حجة

على خير حال، لا وليدا ولا قحما

فجعنا به لما رجونا إيا به

فيكون ميلاد طرفة نحو عام 540 ميلادية وتكون حياته على الراجح من سنة 540 إلى 565 م. ويجعل باحث آخر ميلاده عام 538 م، والرأيان متقاربان.

2 - نشأ طرفة في هذه البيئة العامة من بلاده، وتلك البيئة الخاصة من أسرته وحسنها، يجول ببصره في هذه الفيافي المترامية القبح ومشاهدها، ويصعد بفكره في هذه الحياة البدوية، وما خالطها من أفكار وأديان ومبادئ ليفهمها ويمثلها، وأخذ يعيش بين حسب كريم وعدد كثير وحمية ظاهرة. ولكنه فوجئ وهو طفل صغير بوفاة والده، فكان لذلك أثره البالغ في نفسه وحياته، فكفله أعمامه وقاموا بواجب تربيته. وبعثت بيئته وحياته ووراثته مواهب الشاعرية في نفسه، فنظم الشعر وهو صغير، يصف فيه مناظر الصحراء وألوان حياته فيها، ولذاته منها، وما يجده من قومه من تقصير في حق رعايته، ويشيد فيه بمجد قومه وأحسابهم، ويذود عن شرفهم وحياضهم ويهجو خصومه وخصومهم. وكان ليتمه أثره الواضح فيه منذ حدائته فشب متوقد الذهن، مضطرم الشعور، حاد العاطفة سريع التأثر والغضب قوي الفطرة، صادق النظر يفرع إلى هجاء من يشعر منه بتقصير نحوه كما كان لحسبه ومجد قومه أثره في اعتزازه بنفسه، وتمجيده لشخصيته، وحب الظهور. بمظهر البطل الشجاع والشاب المقدم. وأول شعر قاله هو هذه الأبيات التي أنشدها حين وجد أعمامه يظلمونه ويغتصبون حقاً لوردة أمه إذ أبوا أن يقسموا مال أبيه، ومنعوا حق أمه منه فثارت نفسه واشتعلت شاعريته، وقال:

صغر البنون ورهط وردة غيب

ما تنتظرون بحق وردة فيكم

حتى تظل له الدماء تصيب

قد يبعث الأمر العظيم صغيره

بكر تساقبها المنايا تغلب

والظلم فرق بين حي وائل

إلى أن قال:

## أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم

## إن الكريم إذا يحرب يغضب

4 - وأخذ الشعر يميل إلى اللهو ويسرف فيه ويعتق البطالة والدعة والعبث ويهجو قومه وسواهم، ويسير وفق رغبات نفسه ونوازعها. ويذهب إلى حوانيت الخمر ويشربها مع نداماه وأصدقاء لهوه. فأخذ أهله يلومونه وينصحونه ويعاتبونه، حتى ضاق بعناهم، فاقتاد راحلته يسير متنقلاً بين القبائل والأحياء. سار إلى اليمامة وأناخ راحلته بفناء قتادة بن سلمة الحنفي فمدحه بقصيدة، ذكر فيها طرفة إسراف ابن عمه عبد عمرو في تنقصه وشتمه، ثم افتخر بنفسه، وخلص إلى مدح قتادة، وذكر ما كان من صنيعه مع قومه حين أتوه في قحط أصابهم فأكرم وفادتهم وبذل لهم من ماله وأكرم مثوهم ورفدهم، قال:

عسلاً بماء سحابة شتمي

إن امرأ سرف الفؤاد يرى

ر البادي وأغشى الدهم بالدهم

وأنا امرؤ ألوي من القص

صدت بصفحتها عن السهم

وأصيب شاكله الرمية إن

إلى أن قال:

من الثواب وعاجل الشكم

أبلغ قتادة غير سائله

جاءت إليك مرقتة العظم

إني حمدتك للعشيرة إذ

تواصت الأبواب بالأزم

ففتحت بابك للمكارم حين

صوب الربيع وديمه تهمي

فسقى بلادك غير مفسدها

وتعيره حبيبته لسيره في البلاد وتنقله فيها بعيداً عن أهله وبلاده فيقول:

ألا رب دار لي سوى حر دارك

تعير سيرتي في البلاد ورحلتي

سوى حبه إلا كآخر هالك

وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورا

نساء كرام من حي ومالك

ألا رب يوم لو سقمت لعادني

وطال تنقله في البلاد فذهب إلى اليمن، ثم رحل منها إلى النجاشي في الحبشة، وقال في اطراده إلى النجاشي قصيدته: لخولة بالأجزاء من إضم طلل.

ولم فرغته الغربية وحرقت قلبه الحنين إلى أهله وبلده، عاد إلى الموطن الذي هجره، فأمدّه أخوه "معبد" بمال من ماله، ولكنه أتلفه في لذاته ولهوه وعبثه.

4 - ثم قصد أملاً في إصلاح حاله ملك الحيرة عمرو بن المنذر الثالث الذي يلقب باسم أمه حتى اشتهر بعمرو بن هند، وتولى ملك الحيرة عام 554 م كما يقول البعض، أو عام 562، أو 563 كما يرجح

آخرون. وكان الشعراء يرحلون إليه وينشدونه قصائدهم في مدحه فيجزل لهم العطاء. فوفد عليه طرفة مع خاله المتلمس فأحسن وفادتهما وجعلهما في حاشية أخيه قابوس بن المنذر وكان مرشحاً للملك بعده، وكان شاباً يميل إلى اللهو والترف، ويخرج إلى الصيد، فكان يخرج معه طرفة إذا خرج ويناديه على الشراب، وهكذا اطمأن به الحال، واستقرت حياته بعض الاستقرار. ولكن طرفة الشاعر لم يرضه أن يكون تابعاً لأحد، أو أن يشعر بأنه أقل شرفاً ومجداً من إنسان.

5 - طرفة وابن عمه عبد عمرو: كان عبد عمرو بن بشر بن مرثد بن سعد بن مالك زوجاً للخرنق أخت طرفة، وكان عبد عمرو سيداً كريماً شجاعاً مطاعاً في قومه، ظاهر الثراء والقوة والفتوة، وكان من أجمل العرب، كما كان أثيراً رفيع المتزلة عند عمرو بن هند يداعيه ويناديه، وسيد أهل زمانه كما يقولون.

فجاءت أخت طرفة تشكو إليه شيئاً من أمر زوجها، فغضب الشاعر وهجاه بعد ذلك بقصيدته:

أيا عجباً من عبد عمرو وبغيه	لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما
ولا خير فيه غير أن له عني	وأن له كشحا إذا قام أهضما
يظل نساء الحي يعكفن حوله	يقلن :عسيب من سرارة ملهما

وبدأت الخصمة والشحناء بين الشاعر وابن عمه، وفيه أيضاً يقول من قصيدة له:

ألا أبلغ عبد الضلال رسالة	وقد يبلغ الأتباء عنك رسول
دببت بسري بعد ما قد علمته	وأنت بأسرار الكرام نسول
وكيف تضل القصد والحق واضح	وللحق بين الصالحين سبيل

ومنها:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه	إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء ما لم تكن له	حصاة على عوارته لدليل

قتل طرفة: 1 - كان ملك الحيرة عمرو بن هند جباراً عنيداً متكبراً، لا يرى في الناس من يدانيه شرفاً ومجداً، وكان له يوم بؤس ويوم نعيم كل سنة، يركب يوم بؤسه فيقتل أول من يلقاه، وفي يوم نعيمه يقف الناس ببابه فإن انتهى حديث رجل أذن له فأصاب مجداً ومالاً وملك ثلاثاً وخمسين سنة، وكان العرب تمابه هيبه شديدة، وكان أخوه قابوس ولي عهده جباراً متكبراً مستبداً كذلك. ولم يرض طرفة الشاعر عن طغيانهما واستبدادهما وكبريائهما، فنظم قصيدة يهجوها بها، وهي طويلة.. ومنها:

فليت لنا مكان الملك عمرو	رغوثة حول قبتنا تخور
--------------------------	----------------------

لعمر ك إن قابوس بن هند

ليخلط ملكه نوك كثير

ومنها:

ولما أن أنخت إلى مليك

مساكنه الخورنق والسدير

لينجزني مواعد كاذبات

بطي صحيفة فيها غرور

فأوعدني فأخلف ثم ظني

وبئس خليقة الملك الفجور

وتمادى طرفه في هجاء عمرو بن هند وأسرتة. ومما هجاه به قوله:

ولا خير فيه غير أن له غنى

وأن له كشحا إذا قام أهضمها

تظل نساء الحي يعكفن حوله

يقلن عسيب من سرارة ملهما

2 - وبلغ ذلك عمرو بن هند فامتلاً حقداً وغضباً على طرفه وأضمر له الشر.

قالوا: إن الذي نقل إليه أهاجي طرفه فيه هو عبد عمرو ابن عمر الشاعر، فثارت حفيظة الملك عليه، ولكنه كره العجلة عليه لمكان قومه فتظاهر بالرضا عن طرفه والتنويه به وبشعره، حتى أمن الشاعر ولم يخفه على نفسه وظن أنه قد رضي، فقدم طرفه والمتلمس على عمرو بن هند يتعرضان لفضله ومعروفه وكان المتلمس أيضاً قد هجا عمرو بن هند الملك في قصيدة من شعره، وكان في نفس الملك موجدة عليه يكتمها عنه كذلك.

أظهر عمرو بن هند الاحتفاء بالشاعرين، وتلطف معهما تلطفاً جميلاً وكتب لكل منهما كتاباً إلى عامله بالبحرين وأوهمهما أنه أمر لهما بعطاء كثير سيدفعه إليهما هذا العامل عندما يتوجهان إليه بهجر، وقال لهما: انطلقا إليه فخذوا جوائز كما منه، وكان قد أعطاهما هدية من عنده وحملهما.

ولعل إثارة لهذا الأسلوب في الانتقام من الشعارين لخوفه من قبيلتهما - بكر - حتى لا يرمى الملك بقتلها، أو بمثابة الرد على قول طرفه في هجائه:

لينجزني مواعد كاذبات

بطي صحيفة فيها غرور

كان مكتوباً في صحيفة المتلمس: "باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى المكعبير: إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً"، وكذلك كانت صحيفة طرفه.

وخرج الشاعران من بلاط الملك، فلما وصلا النجف قال المتلمس: يا طرفه إنك غلام حديث السن، والملك من عرفت حقه وغدرة، وكلانا قد هجاه فلست آمنا أن يكون قد أمر بشر، فهلم فلننظر في كتبنا هذه، فإن يكن قد أمر لنا بخير مضمينا فيه، وإن تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا، فأبى طرفه أن يفك

خاتم الملك، وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادي، فأعطاه الصحيفة ليقرأها، والغلام لا يعرف المتلمس ولا من كتب الصحيفة، فقرأها فقال: ثكلت المتلمس أمه، فانتزع المتلمس الصحيفة من يده، واتبع طرفه فلم يلحقه.

3 - ألقى المتلمس الصحيفة في نهر الحيرة، وسار هارباً إلى الشام وهو يقول:

وألقيتها بالشنى من جنب كافر      كذلك أفتو كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها      يجول بها التيار في كل جدول

وأخيراً استقر به المقام عند بني غسان فأكرموا وفادته، وأخذ الشاعر يهجو ملوك الحيرة وبني المنذر، فشق ذلك على عمرو بن هند، وكان بنو غسان قد قتلوا أباه يوم "أباغ" فحلف ألا يدخل المتلمس العراق ولا يطعم بها حتى يموت، وكتب إلى عماله بنواحي الريف يأمرهم أن يأخذوا المتلمس إن قدروا عليه وهو يمتار طعاماً أو يدخل الريف، وفي ذلك يقول المتلمس يجرى قومه بعد قتل طرفه:

يا آل بكر ألا لله دركمو      طال الثواء وثوب العجز ملبوس

ومنها:

آيت حب العراق الدهر أطعمه      والحب يأكله في القرية السوس

وقال:

أيها السائلي فإني غريب      نازح عن محلتي وصميمي

وقال:

إن العراق وأهله كانوا الهوى      فإذا نأنا ودهم فليبعدوا

ومات ببصرى بأرض الشام نحو عام 580 م.

4 - وأما طرفه فقد سار حتى قدم على عامل البحرين ربيعة بن الحرث العبدي على الأرجح بهجر، فدفع إليه كتاب عمرو بن هند فقرأه فقال: هل تعلم يا طرفه ما أمرت به؟ قال: نعم، أمرت أن تجيرني وتحسن إلي. فقال: يا طرفه بيني وبينك حؤولة أنا لها راع حافظ فاهرب في ليلتك هذه فإني قد أمرت بقتلك، فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس. فقال طرفه: اشتدت عليك جائزتي فأردت أن أهرب؟ فسكت ربيعة، وأصبح الصباح فأمر بحبسه ولم يقتله، وكتب إلى عمرو بن هند ابعث إلى عمالك من تريد فإني غير قاتله، فبعث عمرو بن هند رجلاً من تغلب فاستعمله على البحرين وأمره بقتل طرفه وربيعة بن الحرث العبدي، فاجتمعت بكر تريد الفتك بالعامل الجديد، ولكنها لم تستطع، وحيء بطرفة إليه فقال له: إني قاتلك لا محالة فاختر لنفسك ميتة تهواها. فقال: إن كان ولا بد فاسقني الخمر وافصديني. ففعل به ذلك،

فما زال يتزف دمه حتى مات .

قال صاحب الجمهرة 215 هـ وقبر طرفة اليوم معروف بهجر بأرض لبني قيس بن ثعلبة، ويروى أنه قال قبل صلبه:

فمن مبلغ أحياء بكر بن وائل      بأن ابن عبد ركب غير راجل

على ناقة لم يركب الفحل ظهرها      مدبية أطرافها بالمنجل  
وقال أيضاً:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحا      ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر الشاب طرفة، وودع الدنيا وداع الناقم عليها، الساخط من ظلمها وآلامها، وكان قتله نحو عام 565 م.  
6 - ورثت الخرنق أحاها طرفة وبكته بكاء شديداً، وهجت عبد عمرو الذي وشى به إلى الملك عمرو بن هند فقالت:

ألا تكلتك أمك عبد عمرو      أبا الخزيات وأخيت الملوكا  
فيومك عند زانية هلوك      تظل لرجع مزهرها ضحوكا  
وقال المتلمس يحرض قوم طرفة:

أبني "قلاية" لم تكن عاداتكم      خذ لدنية قبل خطة معضد  
وقال:

من مبلغ الشعراء عن أخويهم      خبرا فتصدقهم بذاك الأنفس  
أودى الذي علق الصحيفة منهم      ونجا حذار حباؤه المتلمس  
لق الصحيفة لا أبا لك إنه      يخشى عليك من الحباء النقرس

### شعر طرفة

#### أهم الدراسات عن طرفة وشعره

والدراسات عن طرفة كثيرة، ولكنها لا تزال غامضة.  
1 - ذكره ابن سلام 231هـ في كتابه "طبقات الشعراء".

- 2 - وترجم له ابن قتيبة 276 هـ في الشعر والشعراء ترجمة صغيرة جداً.
- 3 - وذكر بعض أخباره أبو زيد الأنصاري 215 هـ في كتابه جمهرة أشعار العرب.
- 4 - وذكر أبو الفرج بعض أخباره في الأغاني في ترجمته للمتلمس وفي مواضع أخرى.
- 5 - وشرح الزوزني معلقته في كتابه "شرح المعلقات السبع" كما شرحها النعساني في كتابه "نهاية الأرب في شرح معلقات العرب" وقد ذكر كل منهما تصديراً للمعلقة ضمنه بعض أخباره، ورواها صاحب الجمهرة. وقد طبعها العلامة "وليرس" في مدينة بونا 1829 م.
- 6 - وطبع شعره مع شعر خمسة من شعراء الجاهلية هم امرؤ القيس والنابغة وزهير وعلقمة وعنترة في مجموعة تسمى "العقد الثمين" والذي جمعها هو والمستشرق الألماني وليم بن الورد البروسي، وطبع شعره أيضاً مع شعر امرؤ القيس وزهير في مجموعة أخرى مختصرة من الأولى سميت: العقد الثمين أيضاً، وهي منقولة عن النسخة المطبوعة في لندرة عام 1870، وطبعت هذه المجموعة في المطبعة اللبنانية ببيروت سنة 1886.
- وشرح ديوان يعقوب بن السكيت 244 هـ، وشرحه أيضاً الأعلام الشتتمري، وقد نشر شرحه مع ترجمة فرنسية للمستشرق "مكس سلغسون" الذي كتب رسالة عن حياة طرفة ونال بها درجة علمية في التاريخ واللغات من جامعة باريس عام 1892 م، وطبع هذا المستشرق أشعار طرفة بشالون بفرنسا سنة 1900.
- 7 - وعده صاحب كتاب "شعراء النصرانية" من شعراء النصراني وأرخ له "298 - 320 ج 1".
- 8 - وترجم له البغدادي في خزانة الأدب ترجمة موجزة "1 - 414" وكذلك ترجم جورجى زيدان "1-116".
- 9 - كما ترجم له الزيات وأصحابه الوسيط والمفصل والأستاذ هاشم في كتاب "الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي" والدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي وسواهم من الباحثين والمؤلفين.
- وذكره اسكندر ابكارىوس السوري في كتابه "روضة الأدب في طبقات شعراء العرب" وله ترجمة في حياة الحيوان للدميري وفي المجلة الآسيوية الفرنسية عام 1841 مقال عنه وعن المتلمس.

### طبقتة وآراء النقاد فيه

- 1 - جعله ابن سلام الجمحي 231 هـ في الطبقة الرابعة من طبقات شعراء الجاهلية، وعد معه: عبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زبده. وقال عنه: وهو أشعر الناس واحداً.
- وجعله أبو عبيدة 209 هـ في الطبقة الثانية مع الأغشى ولبيد، أما الطبقة الأولى عنده فهي: امرؤ القيس

والنابعة وزهير. ووافقه على ذلك أبو زيد 215 في الجمهرة.

2 - ويقول ابن مقبل في طرفة: هو أشعر الناس وكذلك يروى عن النضر بن شميل أما أبو عمرو بن العلاء 154هـ فكان يقول: أشعر الناس أربعة: امرؤ القيس والنابعة وطرفة ومهلhel. ويقول قتيبة بن مسلم: أشعر الجاهلية امرؤ القيس وأضرهم مثلاً طرفة. ويقول لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المشهور: أشعر الناس الملك الضليل ثم الشاب القليل ثم الشيخ أبو عقيل. وأشاد به وبشاعريته جرير والأخطل. كما ذكره المرزباني في كتابه الموشح والثعالبي في كتابه خاص الخاص.

3 - ويقول ابن قتيبة فيه ما قاله ابن سلام: فهو أجودهم طويلة وهو صاحب المعلقة "لخولة أطلال" وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد بن الأبرص القليل.

ويقول فيه صاحب الجمهرة: هو أشعرهم إذ بلغ بحدائنه سنه ما بلغ القوم في طوال أعمارهم فجب ورخص معهم.

وسئل حسان من أشعر الناس فقال قبيلة أم قصيدة. قيل كلاهما قال أما أشعرهم قبيلة فهذيل، وأما أشعرهم قصيدة فطرفة.

وسئل جرير من أشعر الناس؟ قال الذي يقول: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً - البيت.

وقال القاضي في أماليه حدثنا أبو بكر بن الأنباري، نبأنا أبو حاتم، نبأنا عمارة بن عقيل، نبأنا أبي: يعني عقيل بن بلال، سمعت أبي يعني بلال بن جرير يقول عن أبيه جرير دخلت على بعض خلفاء بني أمية، فقال ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت بلى قال: فمن أشعر الناس؟ قلت ابن العشرين، يعني طرفة. قال فما تقول في ابن أبي سلمى والنابعة؟ قلت كانا ينيران الشعر ويسديانه. قال فما تقول في امرئ القيس بن حجر؟ قلت: اتخذ الخبيث الشعر نعلين يطوهما كيف يشاء. قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قلت: قدر من الشعر على ما لم يقدر عليه أحد. قال فما تقول في الأخطل؟ قلت: ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نبعة الشعر قابضاً عليها. قال: فما أبقيت لنفسك شيئاً. قلت: بلى، والله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر، التي يخرج منها ويعود إليها.

ويقول السيوطي 911 في المزهرة: طرفة من المقلين وفضل الناس بوحدة وهي معلقته "لخولة أطلال"، وله سواها يسير لأنه قتل صغيراً حول العشرين فيما روي.

ويقول فيه صاحب الأدب الجاهلي على مذهبه في إنكار الشعر الجاهلي وانتحاله: "معلقة طرفة تبدو فيها شخصية قوية ومذهب في الحياة واضح هو مذهب اللهو واللذة، وهذه الشخصية ظاهرة البداوة والإلحاد، وهذا الشعر واضح لا تكلف فيه ولا انتحال، وفي المعلقة شعر وصفي صنعه علماء اللغة وشعر صدر عن الشاعر حقاً وهو الذي سجل عواطف الشاعر وآراءه في الحياة.

## طرفة والشعراء الجاهليون

- والشعراء الجاهليون باعتبار أزمنتهم ثلاث طبقات: 1 - الطبقة الأولى، ومن شعرائها المهلهل 530 م والشنفري 510، وتأبط شراً 530م، وسواهم من الشعراء.
- 2 - الثانية، ومن شعرائها: امرؤ القيس 560 م، والسموأل 560 م، وعلقمة الفحل 561 م والمرقش الأصغر نحو عام 560 م، والمرقش الأكبر 552 م، وعبيد 555 م، والمتلمس 580 م والحارث ابن حلزة 580 م، والمنقب العبدي 587 م، والأفوه الأودي 570 م ومنها طرفة 565 م، ولقد عاش طرفة إبان هذه النهضة الشعرية التي حمل لواءها امرؤ القيس ومن عاصره أو جاء بعده من الشعراء.
- 3 - الطبقة الثالثة، ومن شعرائها: النابغة 604 م، وعمرو بن كلثوم 600 م، وحاتم 605 م، وعروة بن الورد 596 م، وعنترة 651 م، والأعشى 629 م، وزهير 630 م، ولييد 662 م، وسواهم.

## أسباب شاعريته

- كانت كل الظروف تعمل عملها في خلق شاعرية طرفة وتكوينها: 1 - فالصحراء تغذي الخيال وتثير العاطفة والشعور وتلهم الناس بآيات الشاعرية وموهبتها. فضلاً عن مشاهدتها المنوعة التي تستثير المشاعر والملكات.
- 2 - وأسرة الشاعر بما كان فيها من أعلام في الشعر جعلته يرث هذه المواهب ومن أسرته المرقش الأكبر، وخاله هو المتلمس، وكانت أخته الخرنق شاعرة، كما كان من شعراء بكر قومه: الحارث بن حلزة، وسواه.
- 3 - ومجد طرفة وحسبه أنطقاه وأهماه القول والبيان، وكما يقول الشاعر:

**فلو أن قومي أنطقنتي رماحهم نطقنت ولكن الرماح أجرت**

- 4 - ويتمه أليس هو الذي أثار فيه بواعث الشعر وأسبابه الأولى وأمدته بهذه العاطفة المتأججة المشتعلة، وتلك الملكة القوية الحادة؟.
- 5 - ورحلة الشاعر في البلاد ما بين اليمامة واليمن والحبشة إلى الحيرة وبعض أرجاء البلاد العربية أمدته بمدد لا ينفذ وبشروة فنية وفكرية واسعة مما ظهر في شعر الشاعر وأفكاره وآرائه وحكمته.
- 6 - والخصومات العنيفة بين قومه وخصومهم من تغلب وسواها، وبين الشاعر والعاصرية، كابن عمه عبد عمرو، وكعمرو بن هند ملك الحيرة وسواهما هذه الخصومات هي التي أجمت شاعريته وأحكمت فنه.

7 - يضاف إلى ذلك فطرة الشاعر وخلقه وصفاته من حدة الذهن واضطراب الشعور وثوران العواطف والتهاب المشاعر، إلى ما سوى ذلك من أسباب الشعر وبواعثه في نفس الشاعر. ولا عجب ذلك، فقد كانت ملكات البلاغة والشعر قوية في نفس طرفة حتى في طفولته، ولقد روي أن المتلمس شاعر ربيعة في زمانه وخال طرفة وقف على مجلس لقومه من بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه، فأنشدتهم شعراً، جاء فيه:

### وقد أتتأسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكرم

والصيعرية: سمة تكون للإناث خاصة فقال له طرفة وهو غلام - وطرفة لا يعرفه - : استنوق الجمل، أي وصفت الجمل بوصف الناقة وخلطت، فذهبت كلمته مثلاً، وضحك القوم وغضب المتلمس، ونظر إلى لسان طرفة وقال: ويل لهذا مني. يعني رأسه من لسانه. ويروى أن تلك القصة كانت مع عمرو بن كلثوم لا مع المتلمس "40 و 41 جمهرة أشعار العرب".

### خصائص شاعريته

أولاً، من حيث الألفاظ: يجمع طرفة بين العذوبة الجميلة السلسة والوحشية الغريبة المعقدة في ألفاظه. فإذا وصف رأيت ألفاظاً بعيدة غريبة قوية ضخمة مسرفة في حوشيتها وغرابتها، وإذا فخر أو هجا رأيت يقرب من السهولة والوضوح في لفظه، وإذا أرسل الحكمة رأيت جمالاً وسلاسة وسهولة. والظاهر أن مرجع ذلك هو حياة الشاعر الشعرية، فقد بدأ في صغره ينظم الشعر، يصف به مشاهد الطبيعة وروائعها الماثلة أمام بصره، وكانت شاعريته في بدء أمرها قوية خشنة قوة البداوة وخشونة الصحراء، فقوي في ألفاظه وأغرب، ثم أخذت شاعريته تنضج وبدأ يكثُر من قصائده في الفخر بأحسابه وهجاء خصومه فأخذت ألفاظه تلين وتسهل، ثم خبر الحياة وطاف في الأرجاء وشاهد ألواناً من التفكير والمذاهب والآراء، فكانت شاعريته قد كمل نضجها. فبدأت ألفاظه تسلس وتسهل وتقرب من ذوق البدوي المتحضر الذي يبعد عن حياة الخشونة ومظاهر الإغراب في البداوة. ثانياً، من حيث الأسلوب: وأسلوب طرفة قوي جزل رصين، يمتاز بالمتانة، وأسر اللفظ وفخامة الأسلوب وقوة القافية مع سهولتها. تجد فيه جزالة وقوة في كثير من شعره، ورقة وسهولة في بعض غزله وفي حكمته وفي عتابه وفي وصف مطامحه وآماله وآلامه.

والجزالة والرقّة تختلف موضعها باختلاف المقام ومواطن الكلام وفنونه والمناسبات التي تسنح للشاعر فتجعل نفسه مرحة فرحة أو تجعلها مكتئبة كزرة نافرة.

وفي أسلوبه معاطلة في التركيب وتعقيد في الكلام حيناً، وفي غالب الأحيان نجد وضوحاً ودقة تصوير وجمال تعبير وقرب مأخذ وسهولة عرض ورشاقة بيان.

ثالثاً، من حيث المعاني والأخيلة: معاني طرفة تتصل بنفسه وحياته وقبيلته وبالصحراء والبادية التي عاش فيها وبتاريخ قومه وأحسابهم وبالحياء العربية عامة اتصالاً وثيقاً.

وطرفة في معانيه قريب، واضح أحياناً، وخفي معقد حيناً، يقتصر على بيان الحقيقة، قليلة الغلو والمبالغة، يصور الحقائق والواقع تصويراً قوياً.

وخياله خيال يقظ مشوب حاد. يخلق قريباً من الحياة والواقع، يظهر في أسلوب الاستعارة والتشبيه أحياناً، وينجح إلى القصد والاعتدال والصدق. وفي معانيه معان مكرورة، متقاربة الخيال. وطرفة على أي حال من المقلين في الشعر، ومعلقته سبب شهرته وتمتاز بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وقوة قافيتها وصدق تصويرها.

رابعاً، من حيث أغراض الشعر وفنونه: ولقد نظم طرفة الشعر في أغراض كثيرة وأجاد فيها إجادة بليغة. ومن أهم هذه الأغراض: 1 - الهجاء: فقد كان طرفة هجاء. هجا عمرو بن هند الملك، كما هجا ابن عمه عبد عمرو. وهجا قومه كما هجا أعداءهم، وتنبأ له المتلمس منذ طفولته بالقتل بسبب نشأته وفطرته على الهجاء.

ترجع أسباب ميله إلى الهجاء إلى توقد عاطفته وحدة شعوره واضطراب حسه وإلى قوة اعتزازه بنفسه وشدّة تأثره مما يشعر به من تقصير في حقه من قومه وسواهم وإلى يتمه الذي جعله يتوهم العداوة من الصديق والضر حتى من القريب.

يقول في قومه:

إن الكريم إذا يحرب يغضب

أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم

ويقول في ابن عمه:

وأن له كشحا إذا قام أهضما

ولا خير فيه غير أن له غنى

ويقول في عمرو بن هند:

رغوثة حول قبتنا تخور

فليت لنا مكان الملك عمرو

2 - الفخر: ولقد كان طرفة يشعر بحسب قومه ومجدهم بين العرب وكثرة عددهم وقوتهم وشوكتهم، ويعتز بذلك اعتزازاً كبيراً، وينظم شرف قومه في قصائده، فيمدحهم بحماية الجار، وقرى الضيف والغناء

في الحرب وجلال المجلس ووقاره، ويسوي ذلك من مظاهر الفخر وألوانه.

"أ" قال في قومه من قصيدة في الفخر:

يزعون الجهل من مجلسهم  
وهم أنطاري ذي اللحم الصمد  
سما الفخر أجواد الغنى  
سادة الشيب، مخاريق المرد

"ب" وقصيدته:

أصحوت اليوم أم شاقنك هر  
ومن الحب جنون مستعمر

وقف على الفخر بقومه وأحسابهم ومجدهم.. وهي إحدى قصائده الجياد وأشاد بها ابن سلام وسواه من النقاد، بدأها بالنسيب والتغزل في محبوبته "هر" في أبيات طويلة، ثم ذكر الناقة في بيتين، ثم التفت إلى نفسه وقومه فافتخر ببأسهم وكرمهم وبطولتهم ومكانتهم بين العرب واعتزازهم بالخيال للحرب والنضال، فخرراً قوياً كثيراً، جاء فيه قوله:

وهم ما هم إذا ما لبسوا  
نسج داود لبأس محتضر  
ولقد تعلم بكر أننا  
آفة الجزر مساميح يسر  
ولقد تعلم بكر أننا  
فاضلو الرأي وفي الروغ وقر

ثم ختمها بالرضاء على قومه وذكر ما آل إليه من رشد:

ولقد كنت عليكم عاتبا  
فانجلي اليوم قناعي وخمر  
كنت فيكم كالمغطى رأسه  
فتناهيته وقد صابت بقر  
سادراً أحسب غي رشداً

ويبدو من هذه الأبيات أنه نظمها بعد عودته إثر تنقله بين الأحياء والبلاد، وأن قومه أعانوه بمالهم وعطفهم، وأنه رضي بعد سخط، واطمأن فيهم بعد قلق، ورشد بعد غي.

"ج" ويقول طرفة من قصيدة في الفخر؛ ختمها بحكمته:

إننا لنكسوهم وإن كرهوا  
ضربا يطير خلاله شرره  
والمجد ننميه ونتلده  
والحمد في الاكفاح ندخره

"د" ويقول يفتخر بقومه وأبيه من قصيدة طويلة بدأها بالحديث عن نفسه وغرته وتنقله بين القبائل:

وأنمي إلى مجد تليد وسورة  
تكون تراثاً عند حي لهالك  
أبي أنزل الجبار عامل رمحه  
عن السرج حتى خر بين السنايك

هـ" ويفتخر بقومه وبطولتهم وما سجلوه في أمسهم البعيد من مجد تليد وبطولة نادرة في حروهم يوم التحاليق، وهو يوم من أيام حرب البسوس وكان لبكر على تغلب، وذلك في قصيدة مطلعها:

بقوانا يوم تحلاق للمم

سائلوا عنا الذي يعرفنا

وهي وقف على الفخر ويقول فيها:

فترى المجلس فينا كالحرم

نزع الجاهل في مجلسنا

هامة المجد وخرطوم الكرم

وتفرعنا من ابني وائل

حين لا يمسك إلا ذو كرم

نمسك الخيل على مكروهها

"و" ويفتخر بنفسه في قصيدته في مدح قتادة الحنفي وقد مضت الإشارة إليها، وكذلك قصيدته:

أم رماد دارس حممه

أشجاك الربع أم قدمه

قد ذكر فيها شيئاً من تاريخ قومه إبان حرب البسوس، وسعى الغلاق "أحد قواد ملك الحيرة بين تغلب وقومه بكر من أجل الصلح، وكان الغلاق يميل إلى تغلب، وهدد طرفه فيها تغلباً بالعودة إلى الحرب باللسان وبالسيوف جميعاً، وعلى الجملة، فقد كان طرفه مجيداً في فخره، كما كان لاذعاً في هجائه.

3 - الغزل: ويتغزل طرفه في شعره بخولة:

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

لخولة أطلال ببرقة ثمهد

وينسبها إلى قومها الحنظليين فيقول من قصيدة بدأها بذكر خوله:

إليها فإني واصل حبل من وصل

فقل لخيال الحنظلية ينقلب

ويذكرها في معلقته بالمالكية ولعل ذلك نسبة إلى مالك بن ضبيعة من عمومة الشعراء. ويتغزل بمر "أصحوت اليوم أم شافتك هر" كما يتغزل بهند "لهند بحزان الشديف طول"، وبسلمى:

وإذ حبل سلمى منك دان توصله

ديار سليمي إذ تصيدك بالمنى

وهو في غزله يذكر الديار ويقف عليها ويكيها كما في معلقته، ويذكر خيال الحبيب وسراه إليه، ويصف جمال حبيبته وتقاطيع جسمها كما في قصيدته "أصحوت اليوم"، ويدعو لدارها بالمطر كما في قصيدته "لخولة بالأجزاء من إضم طلل".

وله قصيدة مفردة في الغزل قصرها عليه، ومطلعها:

كجفن اليماني زخرف الوشي مائله

أتعرف رسم الدار قفراً منازله

وهي في محبوبته سليمي أو سلمى، بدأها بذكر ديارها، ثم قال:

ديار سليمى إذ تصيدك بالمنى  
وإذ حبل سلمى منك دان توصله  
وإذ هي مثل الرئم صيد غزالها  
لها نظر ساج إليك توأغله  
غنيما وما نخشى التفرق حقبة  
كلانا غرير ناعم العيش باجله  
ليالي أفتاد الصبا ويقودني  
يجول بنا ربعانه ونجاوله

ثم يصف خيالها الذي سرى إليه من مكان بعيد ويتعجب لاهتدائه إليه، ثم يقول:

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله  
فهل غير صيد أحرزته حباته  
كما أحرزت أسماء مرقرش  
بحب كلمع البرق لاحت مخايله

ثم يذكر قصة المرقرش مع محبوبته أسماء، ويختمها بقوله:

فوجدي بسلمى مثل وجد مرقرش  
بأسماء إذ لا تستفيق عواذله  
قضى نحبه وجدا عليها مرقرش  
وعلقت من سلمى خبالاً أماطله

وبعد، فمعاني طرفه في غزله قليلة بدائية وشتان بينه وبين امرئ القيس في هذا الباب والنقاد يقولون إن طرفه لا يحسن العشق، أليس هو الذي يقول:

وإذا تلسنني ألسنها  
أنني لست بموهون قفر

أي إذا افتخرت عليه افتخر عليها لأنه ليس بضعيف ولا دنيء. وهو الذي يقول:

فقل لخيال الحظالية ينقلب  
إليها فإني واصل حبل من وصل

وأين هذا من قول امرئ القيس:

أعرك مني أن حبك قائلني  
وأنك مهما تأمري القلب يفعل

4 - الوصف: وهو كثير في شعر طرفه، ويمتاز بغرابة اللفظ وقوة الأسلوب وصدق الوصف وصحة التصوير والرسم، ويبدو فيه أثر بيئته واضحاً، فوصفه للسفينة في معلقته يرجع إلى كثرة ما شاهد من سفن تسير في البحر في البحرين وسواها. ووصف الصحراء كما وصف الناقة والفرس ومجالس الشراب، والغيث والرعد، وسوى ذلك من مشاهد الصحراء ومناظرها، ولاشك أن شعره يتصل بالصحراء اتصالاً وثيقاً لأنه صورة منها ورسم لمناظرها وألوان الحياة والطبيعة فيها، ونماذج وصفة في معلقته فارحج إليها.

5 - الحكمة: وهي كثيرة في شعر طرفه، وعميقة رائعة تدل على صدق النظر وقوة الفراسة وعلى ثقب ذهن وحدة الفكر، وهي مبكرة في طرفه الشباب، ولعل أسفاره ورحلاته وبيئته وقربه من ألوان الحياة والتفكير في الحيرة قد ثمتها فيه رغم صغر سنه، ومعلقته فيها الكثير من الحكم.. ومن حكمه قوله:

والأثم داء ليس يرجى برؤه  
والصدق يألفه اللبيب المرتجى  
والبر براء ليس فيه معطب  
والكذب يألفه الدني الأخبب

ويقول:

وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورا  
سوى حيه إلا كآخر هالك  
ويقول:

للفتى عقل يعيش به  
حيث تهدي ساقه قدمه  
وسوى ذلك من صادق حكمه وبعيد فراسته وتفكيره للأمور وحكمه عليها.

### شعر طرفة في ميزان النقد

1 - قال الأصمعي: لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق. قال في قصيدته:

أصحوت اليوم أم شاقنتك هر  
ومن الحب جنون مستعر  
أرق العين خيال لم يقر  
طاف والركب بصحراء بسر  
أي زار في مكان لا يزار فيه، فتراه يقول هذا القول، أنه لم ينم ولم يهيج من حبها، ثم يقول:

وإذا تلسنني ألسنها  
إنني لست بموهون غمر  
2 - وقال المبرد: عاب الناس قول طرفة:

أسد غيل فإذا ما شربوا  
وهبوا أمون وطمر  
فقبل إنما يهبون عند هذه الآفة التي تدخل على عقولهم، وفضلوا قول عنتره:

وإذا شربت فإنني مستهلك  
مالي وعرضي وافر لم يكلم  
وإذا صحوت فأقصر عن ندى  
وكما علمت شمائلتي وتكرمي  
فخبر عنتره أن جوده باق لأنه لا يبلغ من الشراب ما يثلم عرضه. قالوا: وقول عنتره حسن جميل إلا أنه أتى به في بيتين، هلا قال كما قال امرؤ القيس:

سماحة ذا، وبر ذا، ووفاء ذا  
ونائل ذا، إذا صحا وإذا سكر  
قال الصولي: وقد تبغ حسان طرفة، فقال وهو أعيب من الأول:

ونشربها فتنركنا ملوكا  
وأسدا ما ينهنها اللقاء

فقول طرفة خير من هذا، لأنه قال "أسد غيل فإذا ما شربوا" فجعل الشجاعة لهم قبل الشرب، وحساب قال نشرب فنشجع ونهب كأنا ملوك إذا شربنا، فلهذا كان قول طرفة أجود، وقول عنتره أحسن، لأنه احتس من عيب الإعطاء على السكر وأن السكر زائد في سخائه، فقال: "وإذا شربت فإنني مستهلك - البيتين".  
وقال زهير:

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله  
ولكنه قد يهلك المال نائله

فهذا من أحسن الكلام، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذله للحمد. وقال البحتري:

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم  
فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرماً

3 - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول طرفة، ولا يقيم وزنه:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وكان ابن عباس يقول إنه كلام نبي يجمع الحكمة والمثل.

4 - ويقال إن أمير شعره قوله:

قد بيعت الأمر الكبير صغيره  
حتى تظل له الدماء تصيب

5 - ويمثل من شعره قوله:

بحسام سيفك أو لسانك وال  
كلم الأصيل كأرغب الكلم

6 - وقال ناقد أمام الأصمعي إن طرفة أحسن الناس تشبيهاً في قوله:

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها  
عليه نقي اللون لم يتحدد

وفي قوله:

يشق حباب الماء حيزومها بها  
كما قسم التراب المفائل باليد

قال الأصمعي: فقلت هذا حسن، وغيره حسن منه، وقد شركه في هذا المعنى جماعة من الشعراء، وبعد

فطرفه صاحب واحد لا يقطع بقوله مع التجوز، وإنما يعد أصحاب الواحدة.

قال: ومن أصحاب الواحدة؟ قلت الحرث بن حلزة في قوله:

أذنتنا ببينها أسماء  
رب ثاو يمل منه الثواء

والأسعر الجعفي في قوله:

ولقد عنيت بحبها فيما مضى

هل دان قلبك من سليمى فاشتقى

والأفوه والأودي في قوله:

وشواتى خلة فيها دوار

إن ترى رأسي فيها نزع

وعلقمة في قوله:

بعيد الشباب عصر حان مشبب

طحابك قلب في الحسان طروب

وسويد بن أبي كاهل في قوله:

فوصلنا الحبل منها فاتسع

بسطت رابعة الحبل لنا

وعمرو بن كلثوم في قوله:

ولا تبقى خمور الأندرينا

ألا هبي بصحنك فأصبحينا

وعمرو بن معد يكرب في قوله:

يؤرقني وأصحابي هجوع

أمن ريحانة الداعي السميع

7 - وقال طرفة:

كما قسم الترب المفاليل باليد

يشق حباب الماء حيزومها بها

أخذه لبيد فقال يصف ثورا:

كما لعب المقامر بالفيال

تشق خمائل الدهنأ يدها

8 - وقال طرفة:

كرجال الحبش تمشى بالعمد

وبلاد زعل ظلمانها

غير أسفار كمخراق وحد

قد تبطننت وتحتي جسرة

أخذه لبيد فقال:

كحزيق الحبشيين الزجل

وبلاد زعل ظلمانها

حرج في مرفقيها كالقتل

قد تبطننت وتحتي جسرة

9 - ولطرفة أبيات مشهورة منها:

ما أشبه الليلة بالبارحة

كلهم أروغ من ثعلب

ومنها:

حتى تظل له الدماء تصبب

قد يبعث الأمر العظيم صغره

وقوله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة  
على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
ويأتئك بالأخبار من لم تزود

وقوله:

ثم راحوا عقب المسك بهم  
يلحفون الأرض هداًب الأزر

وقوله:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى  
لا ترى الأدب فينا ينتقر

وقوله:

تذكرون زعل نقاتكم  
إذا لا يضير معدما عدمه

وقوله:

للفتى عقل يعيش به  
حيث تهدى ساقه قدمه

10 - وينسب إليه شعر منحول، ومنه قصيدته:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا  
حنانك، بعض الشر أهون من بعض

11 - ويقول امرؤ القيس في ديار محبوبته:

وقوفا بها صحبي على مطيهم  
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

أخذه طرفة بنفسه فقال:

وقوفا بها صحبي على مطيهم  
يقولون لا تهلك أسى وتجد

12 - ويقول طرفة في الفخر بنفسه:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أننى  
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

أخذه النهشلي فقال في الفخر بقومه:

لو كان في الألف منا واحد فدعوا  
من فارس؟ خالهم إياه يعنوننا

فالمعنى واحد. ولكن طرفة: أ - أسلوبه بدوي مطبوع جزل عن أسلوب النهشلي.

ب - ومعناه أتم، فقال قال: "القوم" وهو يشمل القليل والكثير مهما تجاوز العدد. وقال النهشلي "الألف"

فقصر بهذا التسديد. وقال طرفة "من فتى" وقال النهشلي "من فارس"، فشمّل كلام طرفة تميزه عليهم

بالشجاعة والجود وكرم الخلق وسمو النفس وجلال المحتد وسواها، من حيث قصر النهشلي فخره على الشجاعة. وقال طرفة "فلم أكسد ولم أتبلد" وهي زيادة لا نظير لها في بيت النهشلي.

### شرح المختار من شعر طرفة

1 - قال طرفة بن العبد البكري:

لخولة أطلال ببرقة تهمد  
وقوفا بها صحبي علي مطيهم  
كأن حدوج المالكية غدوة  
عدولية أو من سفين ابن يامن  
يشق حباب الماء حيزومها بها  
وفي الحي أحوى بنفض المرد شادن  
خذول تراعى ربرباً بخميلة  
وتبسم عن ألمى كان منوراً  
سفته إياة الشمس إلا لثاته  
ووجه كأن الشمس ألقت رداها  
وإني لأمضي لهم عند احتضاره  
أمون كألواح الإران نصأتها  
حمالية وجناء تردى كأنها  
تبارى عتاقا ناجيات وأتبع  
تربعت القفين في الشول ترتعي  
تريع إلى صوت المهيب وتنقي  
كان جناحي مضرحي تكنفا  
فطوراً به خلف الزميل وتارة  
لها فخذان أكمل النحض فيهما  
وطي محال كالحنى خلوفه

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد  
يقولون لا تهلك أسى وتجلد  
خايا سفين بالنواصف من دد  
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي  
كما قسم التراب المفائل باليد  
مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد  
تناول أطراف البرير وترتدي  
تخلل حر الرمل دعص له ندي  
أسف، ولم تكدم عليه، بإئثم  
عليه نقي اللون لم يتحدد  
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي  
على لاحب كأنه ظهر بوجد  
سفنجة تبرى لأزرع أربد  
وظيفاً وطيفاً فوق مور معبد  
حدائق مولى الأسرة أغيد  
بذي خصل روعات أكلفت ملبد  
حفافية شكا في العسيب بمسرد  
على حشف كالشن دار مجدد  
كأنهما بابا منيف ممرد  
وأجرنة لزت بدأي منضد

كأن كناسي ضالة يكتفانها  
 لها مرفقان أفتلان كأنما  
 كقنطرة الرومي أقسم ربها  
 صهابية العثون مؤجدة القرا  
 أمرت يداها فتل شزر وأجنحت  
 جنوح دفاق عدل ثم أفرعت  
 كأن غلوب النسغ في دأياتها  
 تلافى وأحياناً تبين كأنها  
 وأتلع نهاض إذا صعدت به  
 وجمجمة مثل العلاة كأنما  
 وخذ كقرطاس الشامي ومشفر  
 وعينان كالماء بتين استكنتا  
 طحوران عوار القذى فتراهما  
 وصادقتا سمع التوجس للسرى  
 مؤللتان تعرف العتق فيهما  
 وأروع نباض أخذ ململم  
 وإن شئت سامي واسط الكور رأسها  
 وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت  
 وأعلم مخزوت من الأنف مارن  
 على مثلها أمضى إذا قال صاحبي  
 وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله  
 إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني  
 أحلت عليها بالقطيع فأجذمت  
 فذالت كما ذالت وليدة مجلس

وأطر قسي تحت صلب مؤبد  
 تمر بسلمى دالج متشدد  
 لتكتفن حتى تشاد بقرمد  
 بعيدة وخذ الرجل مواراة اليد  
 لها عضداها في سقيف مسند  
 لها ستفاها في معالي مصعد  
 موارد من خلقاء في ظهر قررد  
 بنائق غر في قميص مقدد  
 كسكان بوصي بدجلة مصعد  
 رعى الملتقى منها إلى حرف مبرد  
 كسبت اليماني قده لم يجرر  
 بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد  
 كمكحولتي مذعورة أم فرقد  
 لهجس خفي أو لصوت مندد  
 كسامعتي شاة بحومل مفرد  
 كمرداة صخو من صفيح مصمد  
 وعامت بضبيعيها نجا الخفيدد  
 مخافة ملوي من القد محصد  
 عتيق متى ترجم به الأرض تزدد  
 ألا ليتني أفريك منها وأفتدي  
 مصاباً لو أمسى على غير مرصد  
 عنيت فلم أكسل ولم أتبلد  
 وقد خب آل الأمعر المتوقد  
 ترى ربها أذيال سحل ممدد

ولكن متى يسترفد القوم أرفد  
وإن تلتمسنني في الحوانيت تصطد  
وإن كنت عنها ذا غنى وازدد

إلى ذروة البيت الشريف المصمد  
تروح علينا بين برد ومجسد  
بحس الندامي بضة المتجرد  
على رسلها مطروفة لم تشدد  
تجاوب أظآر على ريع ردي  
وبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي  
وأفردت أفراد البعير المعبد  
ولا أهل هناك الطرف الممدد  
وأن أشهد اللذات هل أنت مخدي  
فدعني أبادرها بما ملكت يدي  
وجدك لم أحفل متى قام عودي  
كميت متى ما نعل الماء تزبد  
كسيد الغضى نبهته المتورد  
ببهكنة تحت الخباء المعمد  
على عشر أو خروج لم يعضد  
مخافة شرب في الممات مصدر  
ستعلم إن متنا غداً أبنا الصدى  
كقبر غوي في البطالة مفسد  
صفائح صم من صفيح منضد  
عقيلة مال الفاحش المتشدد

ولست بحلال التلاع مخافة  
وإن تبغني في حلقه القوم تلتقي  
متى تأتني أصبحك كأساً روية  
وإن يلتق الحي الجميع تلاقني  
نداماي بيض كالنجوم وقينة  
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة  
إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا  
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها  
وما زال تشرابي الخمر ولذتي  
إلى أن تحامتي العشيرة كلها  
رأيت بني غبراء لا ينكرونني  
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى  
فإن كنت لا تستطيع منع منيتي  
فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى  
فنهن سبق العاذلات بشربة  
وكرى إذا نادى المضاف محنباً  
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب  
كأن البرين والدماليج علقت  
فذرني أرةي هامتي في حياتها  
كريم يروي نفسه في حياته  
أرى قبر نحام بخيل بماله  
ترى جثوتين من تراب عليهما  
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى  
متى ما يشأ يوماً يفده لحتفه  
فمالي أراني وابن عمي مالكاً  
يلوم وما أدري علام يلومني  
وأيأسني من كل خير طلبته  
على غير شيء قلته غير أنني  
وقربت بالقربى وجدك إنه  
وإن أدع للجلى أكن من حماتها  
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم  
بلا حدث أحدثته وكمحدث  
فلو كان مولاي امرأ هو غيره  
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي  
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة  
فذرني وخلقني إنني لك شاكر  
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد  
فأصبحت ذا مال كثير وزارني  
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه  
فأليت لا ينفك كشحي بطانة  
حسام إذا ما قمت منتصراً به  
أخي ثقة لا يئنثي عن ضريبة  
إذا ابتدر القوم السلاح وجدنتي  
وبرك هجود قد أثارت مخافتني  
فموت كهة ذات خيف جلالة

وما تنقص الأيام والدهر ينفد  
لكالطول المرخي وثنياه باليد  
ومن يك في حبل المنية ينقد  
متى أدن منه يناً عني ويبعد  
كما لامني في الحي قرط بن أعيد  
كأنا وضعناه إلى رمس ملحد  
نشدت ولم أغفل حمولة معبد  
متى يك عهد للنكيثة أشهد  
وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد  
بشرب حياض الموت قبل التهدد  
هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي  
لفرج كربى أو لأنظرني غدي  
على الشكر والتسأل أو أنا مفتد  
على المرء من وقع الحسام المهند  
ولو حل بيني نائياً عند ضرغد  
ولو شاء ربي كنت قيس بن مرثد  
بنون كرام سادة لمسود  
خشاش كرأس الحية المتوقد  
لعضب رقيق الشفرتين مهند  
كفى العود منه البدء ليس بمعضد  
إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي  
منيعاً إذا بلت بقائمه يدي  
بواديهما أمشي بعضب مجرد  
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

يقول وقد تر الوظيف وساقها  
وقال ألا ماذا ترون بشارب  
وقال ذروه إنما نفعها له  
فظل الإمام يمتلن حوارها  
فإن مت فأتعيني بما أنا أهله  
ولا تجعليني كامرئ ليس همه  
بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا  
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني

ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد  
شديداً علينا بغيه متعمد  
وإلا تكفوا قاصي البرك يزدد  
ويسعى علينا بالسديف المسرهد  
وشقي علي الجيب يابنة معبد  
كهمي ولا يغنى غنائي ومشهدي  
ذليل باجماع الرجال ملهد  
عداوة ذي الأصحاب والمتوحد

ولكن نفى عني الرجال جراعتي  
لعمرك ما الأيام إلا معارة  
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه  
لعمرك ما أمري علي بغمة  
ويوم حبست النفس عند عراكه  
على موطن يخشى الفتى عنده الردى  
وأصفر مضبوح نظرت جواره  
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له  
وما لام نفسي مثلها لي لائم

عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي  
فما اسطعت من معروفها فتزود  
فإن القرين بالمقارن مقتدي  
نهاري ولا ليالي علي بسرمد  
حفاظاً على عوراته والتهدد  
متى تعترك فيه الفرائض ترعد  
على النار واستودعته كف مجمد  
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد  
ولا سد فقري مثل ما ملكت يدي

تحليل القصيدة: 1 - طرفة بن العبد البكري شاعر جاهلي مشهور، نشأ يتيماً في كفالة أعمامه، يؤثر اللهو والدعة والبطالة ويدمن الخمر ويهجو الناس، حتى الملك عمرو بن هند الذي أضمر له الشر وأرسله لعامله بالبحرين فقتله ولم يتجاوز السادسة والعشرين. وتقول أخته الخرنق في رثائه:

عددنا له ستا وعشرين حجة  
فلما توفاهما استوى سيذا فخما

وكان طرفه ملتهب المشاعر والعواطف حاد التفكير واللسان متأجج الشاعرية نظم الشعر يصور فيه حياته وآماله وبطالته يصف فيجيد الوصف ويأتي بالحكمة العالية والفكرة الرائعة "وهو أجود الجاهليين طويلة كما يقول ابن قتيبة وشعره قليل بأيدي الرواة.

2 - ومطلع هذه المعلقة الرائعة:

### لخولة أطلال ببرقة نهدم      تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقد عد بها الشاعر من فحول الشعراء الجاهليين ومشهور بهم، واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة في الطبقة الثانية منه وابن سلام في الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين. وهي أطول المعلقات، أبياتها خمسة أو عشرة ومائة بيت، وتمتاز بكثرة معانيها وجزالة أسلوبها نظمها طرفة بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله في الأحياء حين كان مغاضباً لقومه وعشيرته وقبل أن يتصل بملوك الحيرة وينادمهم.

ويبدو من روح المعلقة ولهجتها أن الشاعر نظمها عتاباً لابن عمه، ويبدو أيضاً أن السبب في عتابه له أن أخاه "معبدا" كان له إبل يرعاها هو وأخوه طرفة فأغبها طرفة في المرعى حتى دخلت مرعى ابن عمه فحجزها، فلام معبد أخاه وألقى عليه عبء طلبها واستردادها من ابن عمه فذهب طرفة إليه فلم يجد كلامه معه فعاد ثائراً غاضباً، ونظم قصيدته يعاتب فيها عبد عمرو عتاباً شديداً قاسياً مما نقرؤه في المعلقة، في قوله:

فمالي أراني وابن عمي مالكا	متى أدن منه ينأ عني ويبعد
وأيأسني من كل خير طلبته	كأننا وضعناه على رمس ملحد
على غير شيء قلته غير أنني	نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها	وإن تأتلك الأعداء بالجهد أجهد
فلو كان مولاي امرأ هو غيره	لفرج كربى أو لأنظرني غدي
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي	على الشكر والتسأل أو أنا مفتدي
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة	على المرء من وقع الحسام المهند
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد	ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وعادني	بنون كرام سادة لمسود

ولما سمع عبد عمرو بن مرثد معلقة طرفة أرسل إليه، فقال له أما الولد فالله يعطيكه وأما المال فلا تبرح حتى تكون من أوسطنا فيه وأمر سبعة من أبنائه وثلاثة من بني أبنائه أن يعطوه عشرا عشرا من الإبل

ففعلوا.

4 - ويذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن المعلقة لم توضع مرة واحدة، كقوله:

إذامت فانعيني بما أنا أهله      وشقي على الجيب يالبنة معبد

وما يليه من أبيات قالها وهو في سجن البحرين قبيل موته وهذا خطأ في البحث فلم يقل طرفه هذه الأبيات وهو في سجن البحرين بل نظمها ونظم القصيدة كلها مرة واحدة وهو صحيح مقيم في أرض قومه والقصيدة قطعة واحدة من الشعر الحي والتصوير الرائع والديباجة الساحرة والوصف الصادق. 4 - وتمتاز المعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وجمعها بين السهولة والغرابة في اللفظ وبين الرقة والمتانة في الأسلوب وبين الحكمة واللهو والجد والهزل في النهج والحياة. وتصور الشاعر وحياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهو وبيئته والحياة فيها تصويراً جميلاً رائعاً حد الدقة والإحكام والجمال.

5 - وحدة القصيدة وفنونها: ونحن نقف أمامها معجبين بجمالها وانسجامها وقوة شاعريتها وتأجج عواطف الشاعر فيها، وهذه الوحدة التامة الظاهرة على أغراضها وفنون القول فيها. "أ" بدأها الشاعر بالغزل فذكر أطلال خولة محبوبته ووقف عليها وبكاها:

لخولة أطلال ببرقة تهمد      تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد  
وقوفاً بها صحبي على مطيهم      يقولون لا تهلك أسي وتجلد

ثم يذكر قباب خولة وهي طاعنة ويشبها بالسفينة تشبيهاً جميلاً قوياً، فيقول:

كأن حدوج المالكية غدوة      خلايا سفين بالنواصف من دد  
عدولية أو من سفين ابن يامن      يجور بها الملاح طورا ويهتدي  
يشق حباب الماء حيزومها بها      كما قسم الترب المفايل باليد

وهو في هذا الوصف يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التي كان يراها ويشاهدها تسير في الماء على شواطئ البحرين وسواها.

ثم يصف جمال محبوبته وينعتها نعتاً جميلاً قوياً مؤثراً عذباً، يدل على امتلاء نفسه بالحب، وعلى خضوعه لأسر الجمال:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن      مظاهر شمطي لؤلؤ وزبرجد  
وتبسم عن ألمي كأن منوراً      تخلل حر الرمل دعص له ندى

ووجه كأن الشمس حلت رداءها

عليه، نقي اللون لم يتخدد

"ب" ثم يأخذ الشاعر في وصف ناقته التي يسير عليها ليسلي عن نفسه المموم والأحزان، ووصفه لها طويل في خمسة وثلاثين بيتاً، ويجيء به في لفظ غامض غريب، لا تكاد تفهمه إلا بصعوبة وعسر ومشقة ومراجعة وطول عناء.

قال طرفة فيما قال في وصف ناقته:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره

بهوجاء مرفال تروح وتغتدي

أمون كألواح الأران نسأتها

على لاحب كأنه ظهر بوجد

إلى أن يقول:

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت

مخافة ملوى من القد محصد

على مثلها أمضى إذا قال صاحبي

ألا ليتني أفديك منها وأفندي

وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله

مصاباً ولو أمسى على غير مرصد

"ج" ثم يفتخر الشاعر بنفسه ويفرغ لها. ويصف فتوته وكرمه ولذاته ومجده، ولهوه بشرب الراح، في وضوح وسهولة فيقول:

إذا القوم قالوا: من فتى خلت أنني

عنيت، فلم أكسل ولم أتبلد

ولست بحلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وإن تأتني في حلقة القوم تلقني

وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني

إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

راماي بيض كالنجوم وقينة

تروح علينا بين برد ويحسد

ثم يذكر أثر لهوه وشربه الخمر في حياته وبين قبيلته، ويتحدث عن لذاته في الحياة ويصفها، ويلوم من يعذله في اللهو والإسراف، ويفند رأيهم ويقول: إن الكريم المسرف والبخيل المقتر مألها واحد إلى القبر:

ومازال تشرابي الخمر ولذتي

وبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي

إلى أن تحامنتي العشيرة كلها

وأفردت أفراد البعير المعبد

رأيت بني غبراء لا ينكرونني

ولا أهل هناك الطراف الممدد

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوعى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ويعتد بلذاته اعتداداً كبيراً وبذكرها:

وجدك لم أحفل متى قام عودي  
كميت متى ما تعل بالماء تزيد  
كسيد الغضا نبهته المتورد  
ببهكنة تحت الطراف الممدد

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى  
فمنهن سبقي العاذلات بشربة  
وكرى إذا نادى المضاف مجنبا  
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

أي شرب الراح وركوب الخيل، واللهو مع امرأة جميلة:

كقبر غوى في البطالة مفسد  
عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى قبر نحام بخيل بماله  
أرى الموت يعنام الكرام ويصطفى

وما تنقص الأيام والدهر ينفد  
لكالطول المرخي وثنياه باليد

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة  
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

"د" ثم ينتقل إلى عتاب ابن عمه مالك وقد سبق أن ذكرناه في أول المعلقة.

"ه" ثم يعود إلى التحدث عن نفسه ووصفها بالذكاء والشجاعة، ويتنبأ بموته ويطلب من ابنة أخيه معبد أن تبكيه إذا مات:

وشقي على الجيب يا ابنة معبد  
كهمي، ولا يغنى عنائي ومشهدي

إذا مت فانعيني بما أنا أهله  
ولا تجعليني كامرئ ليس همه

وهو في هذا البيت يعرض بابن عمه.

"و" ثم ينتقل إلى الحكمة فيأتي منها بحكم رائعة وأمثال بليغة رويت على مر الزمان:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
فما اسطعت من معروفها فتزود  
فكل قرين بالمقارن يقتدى  
أفي اليوم أقدام المنية أو غد  
ولم تنك بالبؤس عدوك فابعد

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً  
لعمرك ما الأيام إلا معارة  
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه  
لعمرك ما أدرى وأتى لواجل  
إذا أنت لم تنفع بودك أهله

2 - وقال يصف أحواله وتنقله في البلاد ولهوه:

ومن الحب جنون مستمر

أصحوت اليوم أم شاقنتك هر

ليس هذا منك ماوي بحر  
علق القلب بنصب مستسر  
طاف والركب بصحراء يسر  
آخر الليل بيعفور خدر  
في خليط بين برد ونمر  
وبخدي رشاء آدم غر  
تقتري بالرمل أفنان الزهر  
حسن النبات أثيث مسبكر  
تنفض الضال وأفنان السمر  
مخرف تحنو لرخص الظلف حر  
يا لقومي للشباب المسبكر  
حول ذات الحاذ من ثني وقر  
صفوة الراح بملذوذ خصر  
وتريه النجم يجري بالظهر  
ونأت شحط مزار المدرر  
لعلي عهد حبيب معتكر  
عن شتيت كأقاح الرمل غر  
برداً أبيض مصقول الأشر  
كرضاب المسك بالماء الخصر  
فسجا وسط بلاط مسبطر  
مال من أعلى كئيب منقعر  
وعكيك القيظ، إن جاء، بقر  
رقد الصيف مقالبت نزر  
أنبت الصيف عساليح الخضر

لا يكن حبك داء قاتلا  
كيف أرجو حبها من بعد ما  
أرق العين خيال لم يقر  
جازت البيد إلى أرحلنا  
ثم زارتني وصحبي هجج  
تخلص الطرف بعيني برغز  
ولها كشحاً مهاة مطفل  
وعلى المتئين منها وارد  
جأبة المدري لها ذو جدة  
بين أكتاف خفاف فاللوى  
تحسب الطرف عليها بحدة  
حيثما قاطوا بنجد وشتوا  
فله منها على أحيانها  
إن تتوله فقد تمنعه  
ظل في عسكرة من حبها  
فلئن شطت نواها مرة  
بادن تجلو إذا ما ابتسمت  
بدلته الشمس من منبته  
وإذا تضحك تبدي حبيباً  
صادفته حرجف في تلعة  
وإذا قامت تداعى قاصف  
تطرد القر بحر صادق  
لا تلمني إنها من نسوة  
كبنات المخر يمأذن كما

برخيم الصوت ملثوم عطر  
إنني لست بموهون فقر  
أرهب الليل ولا كل الظفر  
كالمخاض الجرب واليوم الخدر  
تتقى الأرض بملثوم معز  
عن يديها كالفراش المشفتر  
نابى العام خطوب غير سر  
تبتري عود القوي المستمر  
فاصبري إنك من قوم صبر  
فرح الخير ولا نكبوا لضر  
غير أنكاس ولا هوج هذر  
يصلح الأبر زرع المؤتبر  
سبل إن شئت في وحش وعر  
نسج داود لبأس محتضر  
وعلا الخيل دماء كالشقر  
غفر ذنبهم غير فخر  
بسبب الثول والكوم البكر  
وهبوا كل أمون وطمر

يلحفون الأرض هدا ب الأزر  
ثم سادوا سؤدداً غير زمر  
لا ترى الأدب فينا يفتقر  
أقتار ذلك أم ريح قطر  
من سديف حين هاج الصنبر

فجعوني يوم زموا غيرهم  
وإذا تلسنتني ألسنها  
لا كبير دالف من هرم  
وبلاد زعل ظلما نها  
قد تبطننت وتحتي جسرة  
فترى المرو إذا ما هجرت  
ذاك عصر وعداني أنني  
من أمور حدثت أمثالها  
وتشكى النفس ما صاب بها  
إن تصادف منفساً لا تلفنا  
أسد غيل فإذا ما فزعوا  
ولي الأصل الذي في مثله  
طيبوا الباءة، سهل ولهم  
وهم ما هم إذا ما لبسوا  
وتساقى القوم كأساً مرة  
ثم زادوا أنهم في قومهم  
لا تعز الخمر إن طافوا بها  
فإذا ما شربوها وانتشوا

ثم راحوا عبق المسك بهم  
ورثوا السؤدد عن آبائهم  
نحن في المشتاة ندعو الجفلى  
حين قال الناس في مجلسهم  
بجفان تعترى نادينا

لقرى الأضياف أو للمحتضر  
إنما يخزن لحم المدخر  
آفة الجزر مساميح يسر  
واضحوا الأوجه في الأزمة غر  
فاضلو الرأي وفي الروع وقر  
صادقو البأس وفي المحفل غر  
ويبرون على الأبى المبر  
رحب الأذرع بالخبر أمر  
ولدى البأس حماة ما نفر  
حين لا يمسكها إلا الصبر  
ودعا الداعي وقد لج الذعر  
حردوا منها ورادا وشقر  
دوخل الصنعة فيها والضمير  
وهضبات إذا ابتل العذر  
ركبت فيها ملاطيس سمر  
كجذوع شذبت عنها القشر  
رحب الأجواف ما إن تنبهر  
طار من إحماؤها شد الأزر  
مسلحبات إذا جد الحضر  
كرعال الطير أسراباً تمر  
ما يني منهم كمي منعفر  
ما أصاب الناس من سر وضر  
نعم الساعون في القوم الشطر  
أغلت الشتوة أبداء الجزر

كالجوابي لا تتى مترعة  
ثم لا يخزن فينا لحمها  
ولقد تعلم بكر أننا  
ولقد تعلم بكر أننا  
ولقد تعلم بكر أننا  
ولقد تعلم بكر أننا  
يكشفون الضر عن ذي ضرهم  
فضل أحلامهم عن جارهم  
دلِق في غارة مسفوحة  
تمسك الخيل على مكروهاها  
حين نادى الحي لما فزعوا  
أيها الفتيان في مجلسنا  
أعوجيات طوالاً شرباً  
من يعابيب ذكور وقح  
جافلات فوق عوج عجل  
وأنافت بهواد تلح  
علت الأيدي بأجواز لها  
فهي تردى فإذا ما ألهبت  
كائرات وتراها تنتحي  
دلِق الغارة في إفزاعهم  
تذر الأبطال صرعى بينها  
ففداء لبني قيس على  
خالتي والنفس قدما إنهم  
وهم أيسار لقمان إذا

لا يلحون على غارمهم  
كنت فيكم كالمغطى رأسه  
ولقد كنت عليكم عاتياً  
سادرأ أحسب غيبي رشداً  
- 3 - وقال طرفة أيضاً

وعلى الأيسار تيسير العسر  
فانجلى اليوم قناعي وخمر  
فعقبتم بذنوب غير مر  
فتناهيت وقد صابت بقر

أشجاك الربيع أم قدمه  
كسطور الرق رقتيه  
لعبت بعدي السبول به  
فالكثيب معشب أنف  
جعلته حم كاكلها  
حابسي رسم وقفت به  
لا أرى إلا النعام به  
تذكرون إذ نقاتكم  
أنتم نخل نظيف به  
وعذارىكم مقلصة  
عجز شمط معالكم  
خير ما ترعون من شجر  
فسعى الغلاق بينهم  
أخذ الأزلام مقتسماً  
والقرار بطنه غدق  
ففعلنا ذلكم زمناً  
إن تعيدوها نعدلكم  
وقتال لا يغبكم  
رزه قدم وهب وهلا

أم رماد دارس حممه  
بالضحى مرقش يشمه  
وجرى في ريق رهمه  
فتناهيه فمرتكمه  
لربيع ديمة تثمه  
لو أطيع النفس لم أرمه  
كالإماء أشرفت حزمه  
لا يضر معدماً عدمه  
فإذا جز نصطرمه  
في دعاع النخل تجترمه  
تصطلي نيرانه خدمه  
يابس الطحماء أو سحمه  
سعي خب كاذب شيمه  
فأتى أغواهما زلمه  
زينت جلهاته أكمه  
ثم داني بيننا حكمه  
من هجاء سائر كلمه  
في جميع جحفل لهمه  
ذي زهار جمه بهمه

يتركون القاع تحتهم  
لا ترى إلا أبا رجل  
فالهبيت لا فؤاد له  
للفتى عقل يعيش به  
كمراغ ساطع قتمه  
أخذاً قرناً كملتزمه  
والتنثيبت ثبته فهمه  
حيث تهدي ساقه قدمه

- 4 - وقال في عبد عمرو بن بشر بن مرثد:

هند بحزان الشريف طول  
وبالسفح آيات كأن رسوماها  
أربت بها نتاجة تزدهي الحصى  
فغيرن آيات الديار مع البلى  
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة  
تلوح وأدنى عهدن محيل  
يمان وشته ريذة وسحلول  
وأسحم وكاف العشي هطول  
وليس على ريب الزمان كفيل  
إذا الحي حي والحلول حلول

ألا أبلغا عبد الضلال رسالة  
دببت بسري بعدما قد علمته  
وكيف نضل المصد والحق واضح  
وفرقت عن بيتيك سعد بن مالك  
فأنت على الأدنى شمال عرية  
وأنت على الأقصى صباً غير قررة  
فأصبحت فقعاً نابتاً بقرارة  
وأعلم علماً ليس بالظن أنه  
وإن لسان المرء ما لم تكن له  
وإن امرأ لم يعف يوماً فكاهة  
تعارف أرواح الرجال إذا التقوا

- 5 - وقال حين أطرده فصار في غير قومه:

قفي ودعينا اليوم يا ابنة مالك  
وعوجي علينا من صدور جمالك

قفي لا يكن هذا تعلقة وصلنا  
أخبرك أن الحي فوق بينهم  
ولم ينسني قد لقيت وشفني  
وما دونها إلا ثلاث مأوب  
ولا غرو إلا جارتني وسؤالها  
تغير سيري البلاد ورحلتي  
وليس امرؤ أفنى الشباب مجاوراً  
ألا رب يوم لو سقمت لعادني  
ظللت بذى الأرتى فويق منقب  
ترد عليها الريح ثوبى قاعداً  
رأيت سعوداً من شعوب كثيرة  
أبر وأوفى نمة يعقدونها  
وأنمى إلى مجد تليد وسورة  
أبى أنزل الجبار عامل رمحه  
وسيفي حسام أختلي بدبابه

- 6 - وقال أيضاً في اطراده إلى النجاشي:

لخلوة بالأجزاء من إضم طلل  
تربعه مرباعها ومصيفها  
فلا زال غيث ربيع وصيف  
مرته الجنوب ثم هبت له الصبا  
كأن الخلايا فيه ضلت رباعها  
لها كبد ملساء ذات أسرة  
إذا قلت هل يسلو اللبانة عاشق  
وما زادك الشكوى إلى متنكر

لبين، ولا ذا حظنا من نوالك  
نوى غربة ضرارة لي كذلك  
من الوجد أنني غير ناس لقاءك  
قدرن لعيس مسنفات الحورك  
ألا هل لنا أهل؟ سئلت كذلك  
ألا رب دار سوى حرداك  
سوى حيه إلا كآخر هالك  
نساء كرام من حي ومالك  
ببيئة سوء هالكاً أو كهالك  
إلى صدفي كالحنية بارك  
فلم تزعيني مثل سعد بن مالك  
وخيراً إذا ساوى الدرا بالحوارك  
تكون تراثاً عند حي لهالك  
على السرج حتى قر بين السنابك  
قوانس بيض الدار عين الدوارك  
وبالسفح من قو مقام ومحتمل  
مياه من الأشراف يرمى بها الحجل  
على دارها حيث استقرت له زجل  
إذا مس منها مسكناً عد ملاً نزل  
وعوداً إذا ما هزه رعه اجتقل  
وكشحان لم ينقض طواءهما الحبل  
تمر شؤون الحب من خولة الأول  
تظل به تبكي وليس به مظل

متى تر يوماً عرصةً من ديارها  
فقل لخيال الحنظلية ينقلب  
ألا إنما أبكي ليوم لقيته  
إذا جاء ما لا بد منه فمرحبا  
ألا إنني شربت أسود حالكاً  
فلا أعرفي إن نشذتك نمي  
ولو فرط خول تسجم العين أو تهل  
إليها فإني واصل حبل من وصل  
بجرثم قاس كل ما بعده جمل  
به حين يأتي لا كذاب ولا علل  
ألا بجلى من الشراب ألا بجل  
كداعي هديل لا يجاب ولا يمل

- 7 - وقال يهدد المسيب بن علس، ويمدح قتادة بن مسلمة الحنفي وأصاب قومه سنة، فبذل لهم:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى  
وأنا امرؤ أكوى من القصر ال  
وأصيب شاكلة الرمية إذ  
وأحر ذا الكفل القداة على  
وتصد عنك مخيلة الرجل ال  
بحسام سيفك أو لسانك وال  
أبلغ قتادة غير سائله  
أني حمدتك للعشيرة إذ  
ألقوا إليك بكل أرملة  
ففتحت بابك للمكارم ح  
عسلا بماء سحابة شتمي  
بادي وأغشى الدهم بالدهم  
صدت بصفتها عن السهم  
أنسائه فيظل يستدمي  
عريض موضحة عن العظم  
كلم الأصيل كأرغب الكلم  
منه الثواب وعاجل الشكم  
جاءت إليك مرقة العظم  
شعثاء تحمل منقع البرم  
بين توأمت الأبواب بالأزم

وأهنت إذ قدموا التلاد لهم  
فسقى بلادك  
وكذاك يفعل مبتنى النعم  
غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمة

- 8 - وقال طرفة يهجو عبد عمرو بن بشر وكان وقع بينهما شر:

يا عجباً من عبد عمرو وبغيه  
ولا خير فيه غير أن له غنى  
يظل نساء الحي يعكفن حوله  
لقد رام ظلمي عبد عمر فانعما  
وأن له كشحا إذا قام أهضما  
يقلن عسيب من سرارة ملهما

له شربتان بالنهار وأربع  
ويشرب حتى يغمر المحض قلبه  
من الليل حتى آض سخداً مورما  
وإن أعطه أترك لقلبي مجثما  
كان السلاح فوق شعبة بانة  
ترى نفخاً ورد الأسرة أسحما

- 9 - وقال طرفة أيضاً يهجو عمرو بن هند وأخاه قابوس بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو  
من الزمرات أسيل قادماها  
رغوئاً حول قببنا تخور  
يشاركنا لها رخلان فيها  
وضرتها مركنة درور  
لعمرك إن قابوس بن هند  
وتعلوها الكباش فما تتور  
قسمت الدهر في زمن رخي  
ليخلط ملكه نوك كثير  
كذلك الحكم يقصد أو يجور  
لنا يوم وللكروان يوم  
تطاردهن البائسات ولا نظير  
فأما يومهن فيوم نحس  
وقوفاً ما نحل وما نسير  
وأما يومنا فنظل ركباً

- 10 - وقال يعتذر إلى عمر بن هند حين بلغه أنه هجاه فتوعده:

إني وجدك ما هجوتك وال  
ولقد هممت بذاك إذ حبست  
أنصاب يسفح بينهن دم  
وأمر دون عبيدة الوزم  
أخشى عقابك إن قدرت ولم  
أغدر فيؤثر بيننا الكلم

- 11 - قال طرفة في حق لأمه ظلمته:

ما تنظرون بحق وردة فيكم  
قد يبعث الأمر العظيم صغيره  
صغر البنون ورهط وردة غيب  
والظلم فرق حيي وائل  
حتى تظل له الدماء تصبب  
قد يورد الظلم المبين أجناً  
بكر تساقبها المنايا تغلب  
وقراف من لا يستفيق دعارة  
ملحاً يخالط بالذعاف ويقشب  
يعدى كما يعدى الصحيح الأجر  
والبر برء ليس فيه معطب  
والصدق يألفه الكريم المرتجى  
والكذب يألفه الدنيء الأخبب

ولقد بدا لي أنه سيغولني  
أدوا الحقوق نفر لكم أعراضكم

- 12 - وقال يذكر يوم قصة:

ما غال عاداً والقرون فأشعبوا  
إن الكريم إذا يحرب يغضب

بقوانا يوم تخلاق اللمم  
وتلف الخيل أعراج النعم  
حازم الأمر شجاع في الوغم  
نبه سيد سادات خضم  
لكفي والجار وابن عم  
ببناء وسوام وخدم  
عقر للنيب طراد القرم  
فنرى المجلس فينا كالحرم  
هامة العز وخرطوم الكرم  
وبني تغلب ضرابي البهم  
واضحى الأوجه معروفى الكرم  
في الضريبات مترات العصم  
أعوجيات على الثأو أزم  
شرب من طول تغلاك اللجم  
فهي من تحت مشيحات الحزم  
ورق يقعرن أنباك الأكم  
والتغالي فهي قب كالعجم  
شالت الأيدي عليها بالجزم  
خلل الداعي بدعوى ثم عم  
كليوث بين عريس الأجم  
حين لا يمस्क إلا ذو كرم

سائلوا عنا الذي يعرفنا  
يوم تبدى البيض عن أسوقها  
أجدر الناس برأس صلدم  
كامل يحمل آلاء الفتى  
خير حي من معد علموا  
يجبر المحروب فينا ماله  
نقل للشحم في مشتاتنا  
نزع الجاهل في مجلسنا  
وتفرعنا من ابني وائل  
من بني بكر إذا ما نسبوا  
حين يحمى الناس نحمي سربنا  
بحسامات تراها رسباً  
وفحول هيكلات وقح  
وقناً جرد وخيل ضممر  
أدت الصنعة في أمتنها  
تتقي الأرض برح وقح  
وتفرى اللحم من تغدائها  
خلج الشد ملحاح إذا  
قدما تتضو إلى الداعي إذا  
بشباب وكهول نهدي  
نمسك الخيل على مكروهاها

نذر الأبطال صرعى بينها

تعكف العقبان فيها والرخم

- 13 - وقال طرفة أيضاً يهجو بني المنذر بن عمرو:

من الشر والتبريح أولاد معشر

كثير ولا يعطون في حادث بكرا

هم حرمل أعياء على كل آكل

مبير ولو أمسى سوامهم دثرا

جماد بها البسباس نرهض مغزها

بنات اللبون والسلاقمة الحمرا

فما ذنبنا في أن أداءت خصاكم

وأن كنتم في قومكم معشرا أدرا

إذا جلسوا خيلت تحت ثيابهم

خرانق توفى بالضغيب لها نذرا

أبا كرب أبلغ لديك رسالتي

أبا جابر عني ولا تدعن عمرا

هم سودوا رهواً تزود في استه

من الماء خال الطير واردة عمرا

- 14 - وقال طرفة أيضاً لعمر بن هند يلوم أصحابه في خذلانهم:

أسلمى قومي ولم يغضبوا

لسوءة حلت بهم فادحه

كل خليل كنت خالنته

لا ترك الله له واضحه

كلهم اروغ من ثعلب

ما أشبه الليلة بالبارحه

- 15 - وقال طرفة أيضاً:

أعرف رسم الدار قفراً منازلها

كجفن اليماني زخرف الوشي مائله

بتثليث أو نجران أو حيث تلتقي

من النجد في قيعان جاش مسابله

ديار لسلمى إذ تصيدك بالمنى

وإذ حبل سلمى منك دان توصله

وإذ هي مثل الرئم صيد غزالها

لها نظر ساج إليك توأغله

غنيا وما نخشى التفرق حقبة

كلانا غرير ناعم العيش باجله

ليالي أقتاد الصبا ويقودني

يجول بنا ريعانه ونجاوله

سمالك من سلمى خيال ودونها

سواد كثيب عرضه فأمايله

فدو النير فالأعلام من جانب الحمى

وقف كظهر الترس تجرى أساجله

وأنى اهتدت سلمى وسائل بيننا

بشاشة حب باشر القلب داخله

يجار بها الهادي الخفيف ذلالته  
رقيب يخافى شخصه ويضائله  
إذا قسوري الليل جيبت سرايله  
فهل غير صيد أحرزته حباته  
حبب كلمع البرق لاحت مخايله  
بذلك عوف أن تصاب مقاتله  
وأن هوى أسماء لأبد قاتله  
على طرب تهوى سراعاً رواحله  
ولم يدر أن الموت بالسرو عائله  
مسيرة شهر دائب لا يواكله  
وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله  
لذي البث أشقى من هوى لا يزايله  
بأسماء إذ لا تستفيق عواذله  
وعلقت من سلمى خيالاً أماطله

وكم دون سلمى من عدو وبلدة  
يظل بها غير الفلاة كأنه  
وما خلت سلمى قبلها ذات رجلة  
وقد ذهبت سلمى بعقلك كله  
كما أحرزت أسماء قلب مرقش  
وأنكح أسماء المرادي بيتغي  
فلما رأى أن لا قرار يقره  
ترحل من أرض العراق مرقش  
إلى السرو أرض ساقه نحوها الهوى  
فغودر بالفردين: أرض نطية  
فيا لك من ذي حاجة حيل دونها  
لعمري لموت لا عقوبة بعده  
فوجدي بسلمى مثل وجد مرقش  
قضى نحبه وجداً عليها مرقش

- 16 - وقال طرفة أيضاً:

أزم الشتاء ودوخلت حجره  
فثنى قبيل ربيعهم قرره  
في المنقيات يقيمه يسره  
لما تتابع وجهة عسره  
ثمت تردد بينهم حيره  
متحيرات بينهم سوره  
يصفر من أغرابها صقره  
غيث يصيب سوامنا مطره  
بسعار موت ظاهر ذعره

إني من القوم الذين إذا  
يوماً ودونيت البيوت له  
رفعوا المنيح وكان رزقهم  
شرطاً قوياً ليس يحبسه  
تلقى الجفان بكل صادقة  
وترى الجفان لدى مجالسنا  
فكأنها عقرى لدى قلب  
إننا لنعلم أن سيدركنا  
وإذا المغيرة للهيّاج غدت

من بعد موت ساقط أزره  
ضرباً يطير خلاله شرره  
والحمد في الأكفاء ندخره  
علات والمخذول لا ندره  
يصبح بريق مائه شجره  
يغنى نوائب ماجد عذره  
يوماً يبين من الغنى فقره

ولو وأعطونا الذي سنلوا  
إننا لنكسوهم وإن كرهوا  
والمجد ننميه وننلده  
نعفو كما تعفو الجياد على ال  
إن غاب عنه الأقربون ولم  
إن التبالي في الحياة ولا  
كل امرئ فيما ألم به

- 17 - وقال طرفة أيضاً:

سما حبق ثرب وهي حمراء حرجف  
خلال البيوت والمنازل كرسف  
من الدفاء والراعي لها متحرف  
إلى الحي حتى يمرح المتصيف  
ويأوي إلينا الأشعث المتجرف

إننا إذا ما الغيم أمسى كأنه  
وجاءت بصراد كأن صقيعه  
وجاء قريع الشول يرقص قبلها  
ترد العشار المنقيات شظيها  
تبيت إماء الحي تطهى قدورنا

من الطعن نشاج مذل ومزحف  
توالى صوان والأسنة ترعف  
وهم الدعاء المرهق المتلهف  
ومنا الكمي الصابر المتعرف  
وأنقذنها والعين بالماء تذرف  
على بطل غادرته وهو مزحف

ونحن إذا الخيل زایل بينها  
وجالت عذارى الحي شتى كأنها  
ولم يحم فرج الحي إلا ابن حرة  
ففئنا غداة الغب كل نقيذة  
وكارهة قد طلقته رماحنا  
نرد النجيب في حيازيم غصة

- 18 - وقال أيضاً:

قبل هذا الجيل من عهد أبد  
غرقت أولاجها غير السدد  
في غناء ساقه السيل عدد

وركوب تعزف الجن به  
وضباب سفر الماء بها  
فهي موتى لعب الماء بها

غير مرباء ولا جأب مكد  
غير أنكاس ولا وغل رقد  
تترك الدنيا وتنمى للبعد  
وهم أنصار ذي الحلم الصمد  
لابتغاء المجد أو ترك الفند  
سادة الشيب، مخاربق المررد

قد تبطنت بطرف هيكل  
قائداً قدام حي سلفوا  
نبلاء السعي من جرثومة  
يزعون الجهل في مجلسهم  
حبس في المحل حتى يفسحوا  
سمحاء القفر، أجواد الغنى

## عنتره العبسي

### ترجمة الشاعر

1 - عنتره بن شداد العبسي أحد شعراء العرب وفرسانهم وأبطالهم ومن أصحاب الملقات. أمه كانت أمة حبشية يقال لها زبيبة، وكان لعنتره أخوة من أمه عبيد وكان هو عبداً أيضاً لأن العرب كانت لا تعترف ببني الإماء إلا إذا امتازوا على أكفائهم ببطولة أو شاعرية أو سوى ذلك. ولكن عنتره سرعان ما اعترف أبوه به لبسالته وشجاعته، وكان السبب في ذلك أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنتره، فقال له أبوه: كر يا عنتره. فقال له: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وأنت حر. فكر وقاتل يومئذ فأبلى واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمه، فادعاه أبوه بعد ذلك. وعنتره أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنتره وأمّه سواد، وخفاف بن ندبة السلمى وأبوه عمير وأمّه سواد وإليها نسب، والسليك بن السلطة السعدي. وكان عنتره من أشجع الفرسان وأجود العرب بما ملكت يده وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى سابه رجل فذكر سواده وسواد أمه وأنه لا يقول الشعر. فقال عنتره: والله إن الناس ليرافدون الطعمة فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويجهم فما رأيتك في خيل مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فصل، وإني لأحضر اللبس وأوفي المغنم وأعف عند المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطة الصماء وأما الشعر فستعلم، فكان أول مقاله معلقته المشهورة:

أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

هل غادر الشعراء من متردم

وحضر عنتره حرب داحس والغبراء وحسن فيها بلاؤه وحمدت مشاهدته وعاش طويلاً حتى كبر ومات نحو سنة 615 م.

وقد عشق عنتره في شبابه بنت عمه عبلة وكان ذلك قبل أن يجره أبوه ويدعيه فأبي عمه أن يوجه ابنته وهو عبد فحفزه ذلك للمعال وعظام الأمور وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوي والشجاعة النادرة والمروءة المأثورة.

وكان عنتره ينوه عن نسبه في شعره، من ذلك قوله:

شطري واحمي سائري بالمنصل

إني امرؤ من خير عبس منصبا

ألفيت خيراً من معمم مخول

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

وقضى عنترة كل عمره في الحروب والقتال وقول الشعر فصارت العرب تعده من فحول أبطالها وأخذت تروى عند النوادر والأحاديث ومازالت الرواية بذلك تنتقل من جيل إلى آخر ويزداد فيها حتى صارت مع الزمان رواية كبيرة كتبت أخيراً وتعرف الآن بقصة عنترة بن شداد العبسي ويلتذ بقراءتها إلى الآن كثيرون من أهالي الشام ومصر.

- 2 - ويمتاز شعر عنترة بعذوبة الأسلوب وسهولة اللفظ ورقة المعنى ومعلته من أجمل المعلقات وأكثرها انسجاماً وأبدعها وصفاً وأشدها حماسة وفخراً وله حلاوة الغزل ومتانة الفخر، وديوانه مطبوع ولكن أكثره منحول عليه..  
ومما سبق إليه ولم ينازع فيه قوله:

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت وألفيت خيراً من معمم مخول  
ومن إقراطه قوله:

وأنا المنية في المواطن كلها والوطن مني سابق الأجال  
وكثيراً ما يتغنى في شعره بمكارم الأخلاق كقوله:  
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل  
وقوله:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتني وحتى تواري جارتني مأواها  
ومن محاسن شعره قوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل  
وأنشده رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت، فقال: "ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة".

وعده صاحب الجمهرة ثاني أصحاب المجهرات. قال: "وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون إن بعدهن "السموط وهي المعلقات" سبعا ما هن بدوئن ولقد تلا أصحابهم أصحاب الأوائل فما قصرُوا وهن المجهرات لعبيد بن الأبرص، وعنترة بن عمرو وعدي بن زيد ونشر بن أبي حازم وأميرة بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب.

وذكره أبو عبيدة في الطبقة الثالثة من الشعراء.

ويقول ابن قتيبة وكان لا يقول من الشعراء إلا البيت والبيتين والثلاثة حتى سابه رجل من قومه فذكر سواده وسواد أمه وغيره ذلك، وأنه لا يقول الشعر فقال عنترة والله إن الناس ليتراقدون الطعمة فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس قط وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك في خيل مغيرة في أوائل الناس قط وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك حطة فصل وإنما أنت فقع بقرقر وإني لأحتضر البأس وأوفى المغنم وأعف عن المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطة الصماء وأما الشعر فستعلم.

فكان أول ما قال: هل غادر الشعراء من متردم وكانت العرب تسميها المذهبية.

### المختار من شعر عنترة العبسي

1 - قال عنترة العبسي:

هل غادر الشعراء من متردم	أم هل عرفت الدار بعد توهم
أعيالك رسم الدار لم يتكلم	حتى تكلم الأصم الأعجم
ولقد حبست بها طويلاً ناقتي	أشكو إلى سفع رواكد جم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
دار لأنسة غضيص طرفها	طوع العناق لذيدة المتبسم
فوقفت فيها ناقتي وكلها	فدن، لأقضي حاجة المتلوم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا	بالحزن فالصمان فالمتنلم
حييت من طلل تقادم عهده	أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
حلت بأرض الزائرين فأصبحت	عسراً علي طلابك ابنة مخوم
علقتها عرضاً وأقتل قومها	زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم
ولقد نزلت فلا تظني غيره	مني بمنزلة المحب المكرم
كيف المزار وقد تربع أهلها	بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
إن كنت أزمت الفراق فإنما	زمت ركابكم بليل مظلم
ما راعني إلا حمولة أهلها	وسط الديار تسف حب الخمم
فيها اثنتان وأربعون حلوبة	سوداً كخافية الغراب الأسحم

عذب مقبله لذيذ المطعم  
رشاً من الغزلان ليس بتوعم  
سبقت عوارضها إليك من الفم  
غيث قليل الدمن ليس بمعلم  
فتركن كل حديقة كالدريم  
يجري عليها الماء لم يتصرم  
هزجاً كفعل الشارب المترنم  
فعل المكب على الزناد الأجزم  
وأبيت فوق سراة أدهم ملجم  
نهد مراكله نبيل المحزم  
لعنت بمحروم الشراب مصرم  
تطس الإكام بكل خف مثيم  
بقريب بين المنسمين مصلم  
حزق يمانية لأعجم طمطم  
زوج على حرج لهن مخيم  
كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم

زوراء تنفر عن حياض الديلم  
وحشي من هزج العشي مؤوم  
غضبي اتقاها باليدين وبالقم  
سنداً ومثل دعائم المتخيم  
بركت على قصب أجش مهضم  
حش القيان به جوانب قمقم  
زيافة مثل الفنيق المقرم

إذ تستبيك بأصلتي ناعم  
وكأنما نظرت بعيني شادن  
وكأن فارة تاجر بقسيمة  
أو روضة أنفاً تضمن نبتها  
جادت عليها كل عين ثرة  
سحا وبسكاباً فكل عشية  
فترى الذباب بها يغني وحده  
غرداً يسن ذراعه بذراعه  
تمسي ويصبح فوق ظهر حشية  
وجشيتي سرج على عبل الشوى  
هل تبلغني دارها شدنية  
خطارة غب السرى زيافة  
وكأنما أقص الإكام عشية  
يأوي إلى حزق النعام كما أوت  
يتبعن قلة رأسه وكأنه  
صلع يعود بذى العشيرة بيضه

شربت بماء الدحرضين فأصبحت  
وكأنما تتأى بجانب دفها ال  
هر جنيب كلما عطفت له  
أبقى لها طول السفار مقرمدا  
بركت على ماء الرداغ كأنما  
وكأن ربا أو كحياً معقداً  
ينباع من ذفري غضوب جسرة

طب بأخذ الفارس المستلم  
سمح مخالفتي إذا لم أظلم  
مر مذاقته كطعم العلقم  
ركد الهواجر بالمشوف المعلم  
قرنت بأزهر في الشمال مقدم  
مالي، وعرضي وافر لم يكلم  
وكما علمت شمائلي وتكرمي  
تمكو فريصته بشدق الأعلم  
ورشاش نافذة كلون العندم  
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي  
نهد تعاوره الكماة مكلم  
يأوي إلى حصد القسي عرمرم  
أغشى الوغى وأعف عند المغنم  
ويصدني عنها الحيا وتكرمي  
لا ممعن هرباً ولا مستسلم  
بمتمقف صدق الكعوب مقوم  
بالليل معتس السباع الضرم  
ليس الكريم على القنا بمحرم  
ما بين قلة رأسه والمعصم  
بالسيف عن حامي الحقيقة معلم  
هناك غايات التجار ملوم  
يحذى نعال السبت ليس بتوعم  
أبدى نواجذه لغير تبسم  
بمهند صافي الحديدة مخدم

إن تغد في دوني القناع فإنني  
أثنى علي بما علمت فإنني  
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل  
ولقد شربت من المدامة بعدما  
بزجاجة صفراء ذات أسرة  
فإذا شربت فإنني مستهلك  
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى  
وحليل غانية تركت مجدلاً  
عجلت يداي له بمارق طعنة  
هلا سألت القوم يا ابنة مالك  
إذ لا أزال على رحالة سابح  
طوراً يعرض للطعان وتارة  
يخبرك من شهد الوقائع أنني  
فأرى مغنم لو أشاء حويتها  
ومدجج كره الكماة نزاله  
جادت يداي له بعاجل طعنة  
برحيبه الفرغين يهدي جرسها  
كمشت بالرمح الطويل ثيابه  
وتركته جزر السباع ينشئه  
ومشك سابغة هتكت فروجها  
ربذ يده بالقداح إذا شتا  
بطل كأن ثيابه في سرحة  
لما رأني قد قصدت أريده  
فطعنته بالرمح ثم علوته

خضب اللبان ورأسه بالعظم  
حرمت علي وليتها لم تحرم  
فتحسسي أخبارها لي واعي  
والشاة ممكنة لمن هو مرتم  
رشاء من الغزلان حر أرثم  
والكفر مخبئة لنفس المنعم  
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم  
غمراتها الأبطال غير تغمغم  
عنها ولم أني تضايق مقدمي  
يتذامرون كررت غير مذم  
أشطان بئر في لبنان الأدهم  
ولبانه، حتى تسربل بالدم  
وشكا إلي بعبرة وتحمم  
أو كان يدري ما جواب تكلمي  
ما بين شيطرة وأجرد شيطم  
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم  
قلبي، وأحفزه برأي مبرم  
ما قد علمت وبعض مالم تعلمي  
وزرت جواني الحرب من لم يجرم  
حتى اتقتني الخيل يا بني حديم  
للحرب دائرة على ابني ضمضم  
والناذرين إذا لم ألقهما دمي  
جزراً الخامعة ونسر قشعم

عهدي به شد النهار كأنما  
يا شاة ما قنص لمن حلت له  
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي  
قالت رأيت من الأعادي غرة  
وكأنما التقتت بجيد جداية  
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي  
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحا  
في حومة الموت التي لا تشتكي  
إذ يتقون بي الأسنة لم أحم  
لما رأيت القوم أقبل جمعهم  
يدعون عنتر والرماح كأنها  
مازلت أرميهم بثغرة نحره  
فازور من وقع القنا بلبانه  
لو كان يدري ما المحاورة أشتكي  
والخيل تقتحم الخيار عوابسا  
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها  
ذل جمالي حيث شئت مشايحي  
إني عداني أن أزورك فاعلمي  
حالت رماح أنني بغيض دونكم  
ولقد كررت المهر يدمى نحره  
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر  
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما  
إن يفعلا فلقد تركت أباهما

### تحليل القصيدة

أ - عنترة بن عمرو بن شداد العبسي 615 م أحد فرسان العرب وأبطالها وشعرائها، كان عبداً أسود. وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين أو الثلاثة، فخاصمه رجل وعيره بسواده وسواد أمه وسوى ذلك وأنه لا يقول الشعر. فقال عنترة: والله إن الناس ليتراقدون الطعام فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس قط، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك في حيل مغيرة في أوائل الناس قط، وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فصل. وإني لأحضر البأس وأوفي المغنم، وأعف عن المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطة الصماء، وأما الشعر فستعلم. فغاب حيناً وعاد إليه فأنشده معلقته:

**هل غادر الشعر من متردم**      **أم هل عرفت الدار بعد توهم**

وهي أجود شعره. وكان العرب تسميها الذهبية. وشجاعة عنترة وبسالته دفعت أباه إلى أن يستلحقه بنسبه، وإلى أن يزوجه عمه ابنته عبلة، وكان فارس داحس والغبراء، كما كان فارس عبس، وأحد أغربة العرب المشهورين.

ب - تحليل ونقد للمعلقة: 1 - هي إحدى المعلقات السبع، ومن روائع الشعر العربي القديم مطلعها:

**هل غادر الشعراء من متردم**      **أم هل عرفت الدار بعد توهم**

2 - وتمتاز بالسهولة واللين البادين فيها، والذين قلما يوجدان في الشعر النجدي القديم، والذين لا يخلوان من فخامة وجزالة واضحة جلية، سهولة اللفظ، قرينة المعنى، ليس بينها وبين النفس حجاب من هذه الجزالة التي تكاد تبلغ الغرابة، وإنما تسير في سهولة ويسر، وترتفع عن الإسفاف والابتداء دون تورط في الغلظة والإغراب، وعنترة فيها رقيق في غزله والإشادة ببطولته، بل هو رقيق في حديثه عن أعدائه. أليس هو الذي يقول:

**فشككت بالرمح الأصم ثيابه**      **ليس الكريم على القنا بمحرم**

بل هو رقيق على فرسه، يألم لألمه، ويشقى لشقائه، ويرى بكاءه، ويسمع توجعه حين تعبت به رماح الأعداء:

**فازور من وقع القنا بلبانه**      **وشكا إلى بعبرة وتحمم**

**لو كان يدري ما المحاورة اشتكى**      **ولكان لو علم الكلام مكلمي**

وعنترة لا تنتهي به الرقة إلى الضعف، كما لا تنتهي به الشدة إلى العنف، وكما لا ينتهي به السكر إلى ما يفسد الأخلاق والمروءة، أو الصحو إلى التقصير والعيب والبخل، وهو مقدم إذا كانت الحرب عفيف إذا

قسمت الغنائم، يحاول أن يصف من أخلاقه ما يشرف به الرجل العربي الكريم، مما يستغنى عن الإبانة عنه، فيقول هذه الكلمة الرائعة: "وكما علمت شمالي وتكرمي".  
المعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه وبطولته وقوته وبأسه ونضاله للأعداء، ولا عجب فهي تنبع من نفسه وحياته وتصورهما تمام التصوير.  
ولو لم نعرف عنتره أو نسمع بأخباره وحياته، لعرفناه من معلقته بطلا مقداما، وشجاعا فارسا، وعربياً كريماً الخلق، رقيق العاطفة، حار الشعور، يضع روحه في كفه، ويذلها مضحياً في سبيل كرامته وشرفه وبطولته.

3 - وقد سار فيها على نهج غيره من الشعراء فذكر الديار كما ذكروها، ووصف الناقة كما وصفوها، وافتخر بالكرم والنجدة والبطولة.

وفيها معان قلما انتهى إلى مثلها غير عنتره من الشعراء ولم يخطئ ابن سلام حين قال إن هذه القصيدة نادرة فهي نادرة حقاً، وكأها طائفة من الأنعام الموسيقية الكثيرة المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف، وفيها نغمة واحدة متصلة منذ بدء القصيدة إلى نهايتها تظهر واضحة حيناً، وتحسها النفس وإن لم تسمعها الأذن حيناً آخر. وهذه النغمة التي تكون وحدة هذه القصيدة كما كونت الوحدة في معلقة لبيد هي حديث الشاعر إلى صاحبه واستحضار صورتها في الفسة منذ بدء القصيدة. ولكن بين هذه النغمة في قصيدة عنتره وقصيدة لبيد فرقا واضحا جداً، فهي في قصيدة عنتره حلوة رقيقة تمازج النفس فتمتزج بها لأن عنتره فيما يظهر كان حلواً النفس، رقيق القلب، قوي العاطفة، جاءه ذلك من أنه عز بعد ذلة، وتحرر بعد رق، فهو قد شقي في صباح وطفولته، واحتمل الأذى في شبابه والذل الذي يمتزج بالنفس فيصفي عواطفها ويلطف حدتها. على حين نجد هذه النغمة عند لبيد غليظة خشنة، لبيد يتحدث عن صاحبه في أول القصيدة ويذكرها أثناءها ولكنه ليس متهاكاً عليها ولا متحرجاً من الصد عنها، فهو يبادل القطيعة بالقطيعة والمهجر بالمهجر. أما عنتره فيقول:

**مني بمنزلة المحب المكرم**

**ولقد نزلت تلافظني غيره**

4 - وفيها عدة تشبيهات رائقة، كتشبيه الظليم وقد تبعته النعام بالعبء الأسود وقد ثابت إليه الإبل:

**حزق بجانبه لأعجم طمطم**

**تأوي له قاص النعام كما أوت**

ومثل هذا التشبيه الرائع الذي يعجب به النقاد من القدماء ويجونه، في الأبيات التي وصف فيها ثغر صاحبه بالجمال وطيب النشر فذكر فأرة المسك وذكر الروضة الأنف التي ألح عليها الغيث حتى زكا نبتها وكثر فيها الذباب مبتهجاً نشوان مترنماً:

وكأن فأرة تاجر بقسيمة  
سبقت عوارضها إليك من الفم  
أو روضة أنفا تضمن نبتها  
غيت قليل الدمن ليس بمعلم  
جادت عليه كل بكر حرة  
فتركن كل قرارة كالدريم  
سحا وتسكابا فكل عشية  
يجري عليها الماء لم يتصرم  
وخلا الذباب فيها فليس ببارح  
غردا كفعل الشارب المترنم  
هزجا يحك ذراعه بذراعه  
قدح المكب على الزناد الأجذم

5 - وكثير جداً من أبيات هذه المعلقة قد ظفر بحظ كبير من الإيجاز والامتلاء والبراءة من اللغو والفضول، حتى جرى مجرى الأمثال، فأبي الناس لا يتمثل قوله:

وإذا شربت فإنني مستهلك  
مالي وعرضي وافر لم يكلم  
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى  
وكما علمت شمائلتي وتكرمي

أو قوله:

ينبئك من شهد الوقعة أنني  
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

أو قوله:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر  
للحرب دائرة على ابني ضمضم  
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما  
والناذرين إذا لقيتهما دمي

مما احتذاه جميل فقال:

وليت رجالاً فيك قد نذر وأدمى  
وهموا بقتلي يا بئين لقوني

أو قوله:

إن يفعلوا فلقد تركت أباهما  
جزر السباع وكل نسر قشعم

وجل هذه القصيدة يجري مجرى المثل وينشد على اختلاف العصور والبيئات والظروف. فلا يمل إنشاده ولا تحس النفس نوا عنه، أو نفورا منه، وإنما تحس كأنها تجري فيه أو كأن هذا الشعور مرآة صافية صادقة لكل نفس كريمة ولكل قلب ذكي، ولكل خلق نقي.

ذلك لأن عنتره بحياته وشخصيته ومشاعره وعواطفه وآماله وآلامه كان كأنما يتحدث عن النفوس ويصف حياة الناس، ويأخذ من تجاربه وخبرته ومن فراسته وذكائه أساليبه وصوره ويستمد من إمامه بالحياة ومعرفته ببيئته مادة بيانه وشعوره وشعره.

فعتبرة في معلقته شاعر يتحدث عن البطولة في البداية وعن المجتمع الذي كان يعيش فيه وعن الحياة التي كان يتأثر بها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقرى. وبعد، فكل ما في المعلقة جيد وكل أبياتها خليق أن نطيل الوقوف عنده ونفكر فيه والإعجاب به، كما يقول الدكتور طه حسين. "ج" وفنون المعلقة كثيرة.

1 - بدأها عنترة بالغزل في ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات الجميلة، قال:

هل غادر الشعراء من متردم	أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي	وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا	بالحزن فالصمان فالمتلثم
حببت من طلل تقادم عهده	أفوى وأقفر بعد أم الهيثم

2 - واسنطرد إلى وصف الروضة:

أو روضة أنقا تضمن نبتها	غيث قلل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة	فتركن كل قرارة كالدريم
وخلا الذباب بها فليس ببارح	غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه	قدح لمكب على الزناد الأجدم

3 - ثم يصف ناقته في أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالغرابة:

هل تبغني دارها شذنية	لعنت بمحروم الشراب مصرم
----------------------	-------------------------

4 - ثم يفتخر بنفسه وشجاعته:

أثنى علي بما علمت فإنني	سهل مخالطتي إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل	مر مذاقته كقطعم العلقم
وإذا شربت فإنني مستهلك	مالي، وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى	وكما علمت شمائلتي وتكرمي

ويستمر في التنويه بشجاعته إلى أن يقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل	مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها	لمعت كبارق ثغرك المتبسم

لما رأيت القوم أقبل جمعهم  
يدعون عنتر والرماح كأنها  
مازلت أرميهم بثغرة نحرة  
فازور من وقع القنا بلبانه  
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى  
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها  
يتذامرون كررت غير مضم  
أشطان بئر في لبان الأدهم  
ولبانه حتى تسربل بالدم  
وشكا إلى بعيرة وتحمم  
ولكان لو علم الكلام مكلمي  
قيل الفوارس: ويك عنتر أقدم

5 - ثم يختمها بتهديد ابني ضمضم، وكانا قد نذرا دمه وتربصا له لأنه قتل أباهما في الحرب. قال:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر  
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما  
إن يفعلا فلقد تركت أباهما  
وقال عنتره يذكر يوم الفروق:

2 -  
ألا قاتل الله الطلول البواليا  
وقولك للشيء الذي لا تتاله  
ونحن منعنا بالفروق نساءنا  
حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً  
عوالي زرقا من رماح ردينة  
تفاديتم أستاذ نيب تجمعت  
ألم تعلموا أن الأسنة أحرزت  
أبيناً أن تضب لثاتكم  
وقلت لمن أحضر الموت نفسه  
وقلت لهم ردوا المغيرة عن هوى  
فما وجدونا بالفروق أشابة  
وإننا نقود الخيل حتى رؤوسها  
وقاتل ذكراك السنين الخواليا  
إذا ما هو احلولى ألا ليت ذاليا  
نطرف عنها مشعلات غواشيا  
نزايكم حتى تهزوا العواليا  
هرير الكلاب ينقن الأفاعيا  
على رمة من العظام تفاديا  
بقيتنا لو أن للدهر باقيا  
على مرشقات كالظباء عواطيا  
ألا من لأمر حازم قد بدا ليا  
سوابقها وأقبلوها النواصيا  
ولا كشفاً ولا دعينا مواليا  
رؤوس نساء لا يجدن فواليا

تعالوا إلى ما تعلمون فإنني

- 3 - وقال عنتره أيضاً في يوم عراعر:

ألا هل أتاها أن يوم عراعر

فجئنا على عمياء ما جمعوا لنا

تमारوا بنا إذ يمدرون حياضهم

وما نذروا حتى غشنا بيوتهم

فظلنا نكر المشرفية فيهم

علالتنا في كل يوم كريهة

أبيننا فلا نعطي السواء عدونا

بكل هتوف عجبها رضوبة

فإن يك عز في قضاة ثابت

كتائب شهباً فوق كل كتيبة

وغادرن مسعوداً كأن بنحره

- 4 - وقال عنتره أيضاً يهجو عمارة بن زياد:

أحولي تنفض استك مذروبيها

ومتى ما تلقني فردين ترجف

وسيفي صارم قبضت عليه

وسيفي كالعقيقة وهو كمعي

وكالورق الخفاف وذات غرب

ومطرذ الكعوب أحض صدق

ستعلم أينا للموت أدنى

ومنجوب له منهن صرع

أقل عليك ضراً من قريح

وخيل قد زحفت لها بخيل

أرى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

شفى سقما لو كانت النفس تشتقي

بأرعن لا خل ولا متكشف

على ظهر مقضي من الأمر محصف

بغية موت مسبل الودق مزعف

وخرصان لدن السميري المتقف

بأسيافنا والقرح لم يتقرف

قياماً بأعضاد السراء المعطف

وسهم كسير الحميري المؤنف

فإن لنا برحرحان وأسقف

لواء كظل الطائر المتصرف

شقيقة برد من يمان مفوف

لتقتلني، فهأنذا عمار

روانف إليتيك وتستطارا

أشاجع لا ترى فيها انتشارا

سلاحي لا أقل ولا فطارا

ترى فيها عن الشرع ازورارا

تخال سنانه بالليل نارا

إذا دانيت بي الأسل الحرارا

يميل إذا عدلت به الشوارا

إذا أصحابه ذمروه سارا

عليها الأسد تهتصر اهتصارا

- 5 - وقال عنتره أيضاً:

نأتك رقاش إلا عن لمام  
وما ذكرى رقاش إذا استقرت  
ومسكن أهلها من بطن جزع  
ووقفت وصحبتى بأرينبات  
فقلت تبيينوا طعنا أراها  
وقد كذبتك نفسك فاكذبها  
ومرقصة رددت الخيل عنها  
وأمسى حبلها خلق الرمام  
لدى الطرفاء عند ابني شمام  
تبيض به مصاييف الحمام  
على أفتاد عوج كالسمام  
تحل شواحطا جناح الظلام  
لما منتك تغريراً قطام  
وقد همت بإلقاء الزمام

فقلت لها اقصري منه وسيرى  
أكر عليهم مهري كليماً  
كأن دفوف مرجع مرفقيه  
تقعس وهو مضطمر مضر  
يقدمه فتى من خير عبس  
وقد قرع الرجائز بالخدام  
قلائده سبائب كالقرام  
توارثها منازل السهام  
بقارحه على فأس اللجام  
أبوه وأمه من آل حام

- 6 - وقال عنتره:

طال الثواء على رسوم المنزل  
فوقفت في عرصاتها متحيراً  
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها  
أفمن بكاء حمامة في أيكه  
كالدر أو فضض الجمان تقطعت  
لما سمعت دعاء مرة إذ دعا  
ناديت عبساً فاستجابوا بالقنا  
حتى استباحوا آل عوف عنوة  
إني امرؤ من خير عبس منصباً  
بين اللكيك وبين ذات الحرمل  
أسل الديار كفعل من لم يذهل  
والرامسات وكل جون مسبل  
ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل  
منه عقائد سلكه لم توصل  
ودعاء عبس في الوغى ومحل  
وبكل أبيض صارم لم ينحل  
بالمشرفي وبالوشيج الذبل  
شطري، وأحمي سائري بالمنصل

أشدد، وإن يلفوا بضنك أنزل  
ويفر كل مضلل مستوهل  
حتى أنال به كريم المأكل  
ألفيت خيراً من معم مخول  
فرقت جمعهم بطعنة فيصل  
ولا أركل بالرعي الأول  
يوم الهياج وما غدوت بأعزل  
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل  
لابد أن أسقى بكاس المنهل  
أني امرؤ سأموت إن لم أقتل  
مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل  
تسقى فوارسها نقيع الحنظل  
بعد الكريهة ليتني لم أفل  
عاري الأشاجع شاحب كالمنصل  
لم يدهن حولاً ولم يترجل  
وكذاك كل مغاور مستبسل  
صدأ الحديد بجلده لم يغسل  
لا خير فيك كأنها لم تحفل  
عن ماجد طلق اليدين شمردل  
في البصيرة نظرة المتأمل  
وأقر في الدنيا لعين المجتلي  
من ودها وأنا رخي المطول  
بالنفس ماكادت لعمرك تتجلى  
لسلوت بعد تخضب وتكحل

إن يلحقوا أكرر، وإن يستلحموا  
حين النزول يكون غاية مثلنا  
ولقد أبيت على الطوى وأظله  
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت  
والخيل تعلم والفوارس أنني  
إذ لا أبادر في المضيق فوارسي  
ولقد غدوت أمام راية غالب  
بكرت تخوفني الحتوف كأنني  
فأجبتها إن المنية منهل  
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي  
إن المنية لو تمثلت مثلت  
والخيل ساهمة الوجوه كأنما  
وإذا حملت على الكريهة لم أقل  
عجبت عبيلة من فتى متهذل  
شعث المفارق منهج سرباله  
لا يكتسي إلا الحديد إذا اكتسى  
قد طال مالبس الحديد فإنما  
فتضاحكت عجباً وقالت قولة  
فعجبت منها كيف زلت عينها  
لا تصرميني يا عييل وراجعي  
فلرب أملح منك دلا فاعلمي  
وصلت حبالي بالذي أنا أهله  
يا عبل كم من غمرة باشرتها  
فيها لوامع لو رأيت ذهاءها

إما تريني قد نحتت ومن يكن  
فلرب أبلج مثل بعلك بادن  
غادرته متعفراً أرساله  
فيهم أخو ثقة يضارب نازلاً  
ورماحنا تكف النجيع صدورها  
والهام تندر بالصعيد كأنها  
ولقد لقيت الموت يوم لقيته  
فرأيتنا ما بيننا من حاجز  
ذكر أشق به الجماجم في الوغى  
ولرب مشعلة وزعت رعالها  
سلس المعذر لاحق أقرابه  
نهد القطاة كأنها من صخرة  
وكان هاديه إذا استقبلته  
وكان مخرج روجه في وجهه  
وكان متنيه إذا جردته  
وله حوافر موثق تركيبها

غرضاً لأطراف الأسنة ينحل  
ضخم على ظهر الجواد مهبل  
والقوم بين مجرح ومجدل  
بالمشرفي وفارس لم ينزل  
وسيوفنا تخلى الرقاب فتختلي  
تلقى السيوف بها رؤوس الحنظل  
متسربلاً والسيف لم يتسربل  
إلا المجن ونصل أبيض مفصل  
وأقول لا تقطع يمين الصيقل  
بمقلص نهد المراكل هيكل  
متقلب عبثاً بفأس المسحل  
ملساء يغشاها المسيل بمحفل  
جذع أذل وكان غير مذلل  
سربان كانا مولجين لجيئل  
ونزعت عنه الجل متنا ايل  
صم النسور كأنها من جندل

وله عسيب ذو سبيب سابغ  
سلس العنان إلى القتال فعينه  
وكان مشيته إذا نهته  
فعليه أفتحم الهياج تقحماً

مثل الرداء على الغني المفضل  
قبلاء شاخصة كعين الأحوال  
بالنكل مشية شارب مستعجل  
فيها وأنقض انقضاض الأجدل

- 7 - وقال عنتره:

ظعن الذين فراقهم أتوقع  
خرق الجناح كأن لحي رأسه

وجرى بينهم الغراب الأبقع  
جلمان، بالأخبار هش مولع

فزجرته ألا يفرخ عشه  
 إن الذين نعبت لي بفراقهم  
 ومغيرة شعواء ذات أشلة  
 فزجرتها عن نسوة من عامر  
 وعرفت أن منيتي إن تأتني  
 فصبرت عارفة لذلك حرة  
 - 8 - قال عنتره أيضاً:

ألا يا دار عبلة بالطوى  
 كوحى صحائف من عهد كسرى  
 أمن رو الحوادث يوم تسمو  
 إذا اضطربوا سمعت الصوت فيهم  
 وغير نوافذ يخرجن منهم  
 وقد خذلتهم ثعل بن عمرو  
 - 9 - وقال عنتره أيضاً:

أمن سهية دمع العين مذروف  
 كأنها يوم صددت ما تكلمني  
 تجللتني إذ أهوى العصا قبلي  
 المال مالكم والعبد عبدكم  
 تنسى بلائي إذا ما غارة لفحت  
 يخرجن منها وقد بليت رحائلها  
 قد أظعن الطعنة النجلاء عن عروض  
 لاشك للمرء أن الدهر ذو خلف  
 - 10 - وقال عنتره أيضاً:

لا تذكرني مهري وما أطعمته  
 فيكون جلدك مثل جلد الأجر

إن الغبوق له وأنت مسوءة  
كذب العتيق وماء شن بارد  
إن الرجال لهم إليك وسيلة  
ويكون مركبك القعود وزحلته  
وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة  
إني أحاذر أن تقول طعيني

- 11 - وقال عنتره أيضاً:

فتأوهي ماشئت ثم تحوبي  
إن كنت سائلتي غبوقا فذهبي  
إن يأخذوك، تكحلي، وتخضبي  
وابن النعامه عند ذلك مركبي  
أقرن إلى شر الركاب وأجنب  
هذا غبار ساطع فتليب

وفوارس لي قد علمتهم  
يمشون والمادي فوقهم  
كم من فتى فيهم أخي ثقة  
ليسوا كأقوام علمتهم  
عجلت بنو شيبان مدتهم  
كنا إذا نفر المطي بنا  
نعدى فنطعن في أنوفهم  
إنا كذلك يا سهى إذا  
وبكل مرهقة لنا نفذ

- 12 - وقال عنتره أيضاً:

صبر على التكرار والكلم  
يتوقدون توقد الفحم  
حر أعر كقوة الرئم  
سود الوجوه كمعدن البرم  
والبقع أستاها بنو لأم  
وبدا لنا أحواض ذي الرضم  
نختار بين القتل والغنم  
غدر الحليف نمور بالخطم  
بين الضلوع كطرة القدم

كأن السرايا بين قو وقارة  
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم  
شفى النفس مني أو دنا من شفائها  
تصيح الردينيات في حجاتهم  
كتائب تزحى فوق كل كتيبة

- 13 - وقال عنتره أيضاً:

عصائب طير ينتحين لمشرب  
قرائب عمرو وسط نوح مسلب  
ترديهم من حالق متصوب  
صياح العوالي في الثقاف المثقب  
لواء كظل الطائر المتقلب

هديكم خير أباً من أبيكم

أعف وأوفى بالجوار وأحمد

غداة الصياح السمهري المقصد  
بذمته وابن اللقيطة عصيد  
دخان العلندي دون بيتي مذود  
بني العشراء فارتدوا وتقلدوا

وأطعن في الهيجا إذا الخيل صدها  
فهلا وفي الغوغاء عمرو بن جابر  
سيأتىكم عني وإن كنت نائياً  
قصائد من قبل امرئ يحتديكم

- 14 - وقال أيضاً:

شديد العير معتدل شديد  
إذا تمضى جماعتهم تعود  
تولى قابعاً فيه صدود  
وإن يفقد فحق له الفقود  
يكون جفيرها البطل النجيد  
لها في كل مدلجة خدود

تركت جرية العمري فيه  
جعلت بني الهجيم له دواراً  
إذا تقع الرماح بجانبه  
فإن يبرأ فلم أنفث عليه  
وهل يدري جرية أن نبلى  
كأن رماحهم أشطان بئر

- 15 - وقال عنتره أيضاً:

ورفد الضيف والأنس الجميع  
علمت علام تحتمل الدروع  
بيل ثيابه علق نجيع  
وفي البجلي معبلة وقيع

خذوا ما أسارت منها قداحي  
فلو لاقيتني وعلي درعي  
تركت جبيلة بن أبي عدي  
وآخر منهم أجزرت رمحي

- 16 - وقال عنتره أيضاً:

سود لقطن من الجومان أخلاق  
أيدي النعام فلا أسقاهم الساقى  
ماء الكلاب عليها الظبي معناق

قد أرددوني بأرماع معلبة  
لم يسلبوها ولم يعطوا بها ثمناً  
عمرو بن أسود فازباء قاربة

- 17 - وقال أيضاً في قتل فرواش وقتل عبد الله بن الصمة أخي دريد:

على فارس بين الأسنة مقصد  
سباع تهادى شلوه غير مسند  
ولا تأمنن ما يحدث الله في غد

نجا فارس الشهباء والخيل جناح  
ولولا يد نالته منا لأصبحت  
فلا تكفر النعمى وأثن بفضلها

فإن يك عبد الله لاقى فوارسا  
فقد أمكنت منك الأسنة عانية

- 18 - وقال عنتره وتروى للربيع بن زياد العبسي:

يردون خال العارض المتوقع  
فلم نجز إذ تسعى فتيلة بمعبد

فإني لم أكن ممن جناها  
وشبوا نارها لمن اصطلاها  
سأسعى الآن إذ بلغت إناها

إن تك حربكم أمست عواناً  
ولكن ولد سودة أرثوها  
فإني لست خاذلكم ولكن

- 19 - وقال عنتره أيضاً:

فإني لائم للجعد لحي  
هدرجا بين أقلبة ملاح  
بكوراً أو تعجل في الرواح  
أجم إذا لقيت ذوي الرماح  
سلاحه بعد عري واقتضاح

إذا لاقيت جمع بني أبان  
كأن مؤشر العضدين جحلا  
تضمن نعمتي فعدا عليها  
ألم تعلم لحاك الله أني  
كسوت الجعد جعد بني أبان

- 20 - وقال أيضاً:

عند الحروب بأي حي تلحق  
رفع اللواء لها وبئس الملحق  
حرباً ذوائبها بموت تخفق  
بلوى النجيزة أن غنك أحرق

سائل عميرة حيث حلت جمعها  
أبحق قيس أم بعذرة بعدما  
واسأل حذيفة حين أرث بيننا  
فلتعلمن إذا التقت فرساننا

- 21 - وقال في قتل ورد بن حابس نضلة الأسدي:

يجر الأسنة كالمحتطب  
فإن أبا نوفل قد شجب  
وأدركه وقع مرد خشب  
بأبيض كالقبس الملتهب

غادرن نضلة في معرك  
فمن يك عن شأنه سائلاً  
تذاعب ورد على أثره  
تدارك لا يتقي نفسه

- 22 - وقال أيضاً:

بضربة فيصل لما دعاني

ومكروب كشفت الكرب عنه

فما أدرى أباسمي أم كناني  
ولكن قد أبان له لساني  
عطفت عليه خوار العنان  
وأبيض صارم ذكر يمان  
عليه سبائب كالأرجوان  
كما تردى إلى العرس البواني  
حياة يد ورجل تركضان  
ولكن ما تقادم من زماني  
أهش إذا دعيت إلى الطعان  
وصلت بناتها بالهندواني  
علقوا الأعنة بالبنان  
وأردوا حاجباً وابني أبان

دعاني دعوة والخيل تردى  
فلم أمسك بسمعي إذ دعاني  
فكان إجابتي إياه أني  
بأسمر من رماح الخط لدن  
وقرن قد تركت لدى مكر  
تركت الطير عاكفة عليه  
ويمنعهن أن يأكلن منه  
فما أوهى مراس الحرب ركني  
وقد علمت بنو عبس بأني  
وأن الموت طوع يدي إذا ما  
ونعم فوارس الهيجاء إذا ما  
هم قتلوا لقيطاً وابن حجر

- 23 - وقال أيضاً:

غدت منها سنيح وبارح  
بزنديين في جوفي من الوجد قادح  
فبح عنك منها بالذي أنت بائح  
وخشنت صدراً غيبة لك ناصح

طربت وهاجتك الظباء السوانح  
فمالت بي الأهواء حتى كأنما  
تعزيت عن ذكرى سهية حقبة  
لعمري لقد أعذرت لو تعذريني

له منظر بادي النواجذ كالح  
ولا كافحوا مثل الذين نكافح  
على أعوجي بالطعان مسامح  
تطاعننا أو يذعر السرح صائح  
وردت على أعقابهن المسالحي  
حديد كما تمشى الجمال الدوالحي

أعادل كم من يوم حرب شهدته  
فلم أر حياً صابروا مثل صبرنا  
إذا شئت لأقاني كمي مدجج  
نزاحف زحفاً أو نلاقي كتيبة  
فلما التقيننا بالجفار تضعضوا  
وسارت رجال نحو أخرى عليهم ال

إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم  
فأشرع رايات وتحت ظلالها  
ودرنا كما دارت على قطبها الرحي  
بهاجرة حتى تغيب نورها  
تداعى بنو عبس بكل مهند  
وكل رديني كأن سنانه  
فخلوا لنا عوذ النساء وخببوا  
وكل كعاب خذلة الساق فخمة  
تركنا ضراراً بين عان مكبل  
وغمراً وحيانا تركنا بقررة  
يجرون هاماً فلقنتها سيوفنا  
- 24 - وقال أيضاً:

سيولاً وقد جاشت بهن الأباطح  
من القوم أبناء الحروب المراجح  
ودارت على هام الرجال الصفائح  
وأقبل ليل يقبض الطرف سائح  
حسام يزيل الهام والصف جانح  
شهاب بدا في ظلمة الليل واضح  
عباديد منها مستقيم وجامح  
لها منيت في آل ضبة طامح  
وبين قتيل غاب عنه النوائح  
تعودهما فيها الضباع الكوالح  
تزيل منهن اللحي والمسائح

وكتيبة لبستها بكتيبة  
خرساء ظاهرة الأداء كأنها  
فيها الكماة بنو الكماة كأنهم  
شهب بأيدي القابسين إذا بدت  
صبر أعدوا كل أجرد سابح  
يغدون بالمستلثمين عوابساً  
يحملن فتياناً مداعس بالقنا  
من كل أروع ماجد ذي صولة  
وصحابة شم الأنوف بعثتهم  
وسرريت في وعث الظلام أقودهم  
ولقيت في قبل الهجير كتيبة  
وضربت قربي كبشها فتجد لا

شهباء بأسلة يخاف رداها  
نار يثب وقودها بلظاها  
والخيل تعشر في الوغى بقناها  
بأكفهم بهر الظلام سناها  
ونجية ذبلت وخف حشاها  
قوداً تشكى أينها ووجاها  
وقراً إذا ما الحرب خف لواها  
مرس إذا لحقت خصي بكلاها  
ليلاً وقد مال الكرى بطلاها  
حتى رأيت الشمس زال ضحاها  
طعنت أول فارس أولاهها  
وحملت مهري وسطها فمضاها

حتى رأيت الخيل بعد سودها  
يعثرن في نقع النجيع جوافلا  
فرجعت محموداً برأس عظيمها  
ما استمت أنثى نفسها في موطن  
ولما رزأت أخوا حفاظ سلماً  
أغشى فتاة الحي عند خليلها  
وأغض طرفي ما بدت لي جارتني  
إني امرؤ سمح الخليفة ماجد  
ولئن سألت بذاك عبلة أخبرت  
وأجيبها إما دعت لعظيمة

حمر الوجوه خضن من جرحاها  
ويطأن من حمى الوغى صرعاها  
وتركتها جزراً لمن ناءها  
حتى أوفى مهرها مولاها  
إلا له عندي بها متلاها  
وإذا غزا في الحرب لا أغشاها  
حتى يوارى جارتني مأواها  
لا أتبع النفس اللجوج هواها  
لا أريد من النساء سواها  
وأعينها وأكف عما ساها

- 25 - وقال عنتره أيضاً في قتل قراوش العبسي:

ومن يك سائلاً عني فإني  
مقربة الشتاء ولا تراها  
لها بالصيف أصبرة وجل  
ألا أبلغ بني العشراء عني  
قتلت سراتكم وخسلت منكم  
ولم نقتلكم سراً ولكن  
فلم يك حقكم أن تشتمونا

وجروة لا ترود ولا تعار  
وراء الحي يتبعها المهار  
ونيب من رائمها غزار  
علانية فقد ذهب السرار  
خسبلاً مثلما خسل الوبار  
علانية وقد سطع الغبار  
بني العشراء إذ جد الفخار

- 26 - وقال يرثي مالك بن زهير العبسي وتولى قتله بنو بدر:

لله عينا من رأى مثل مالك  
فليتهما لم يجريا نصف غلوة  
وليتهما ماتا جميعاً ببلدة  
لقد جلبا حيناً وحرباً عظيمة  
وكان فتى الهيجا ويحمى ذمارها

عقيرة قوم أن حرى فرسان  
وليتهما لم يرسلأ لرهان  
وأخطأهما قيس فلا يريان  
تبيد سراة القوم من غطفان  
ويضرب عند الكرب كل بنان



## عمر بن كلثوم 500 - 600 م

- 1 -

### حياته

### تمهيد

هو عمرو بن كلثوم، أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم وأشرفهم، ومن أصحاب المعلقات، ومكانته في الشعر الجاهلي تضارع مكانة كثير من الشعراء وإن كان ليس له ديوان شعر معروف.

### نسبه

هو أبو الأسد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير التغلبي، من تغلب بن وائل، وتغلب هم من الأهم في الشرف والسيادة والمجد وضخامة العدد وجلال المحتد والأرومة. وأسرته سادات تغلب ورؤساؤها وفرسانها حتى قيل: لو أبطأ الإسلام لأكلت تغلب الناس.. كان أبوه كلثوم سيد قومه وأمه ليلى بنت المهلهل أخي كليب المشهور، واشتهرت أمه ليلى بالأنفة وعظم النفس، كما كانت لجلالة محتها من فضليات السيدات العربيات قبل الإسلام.

### بيئته وموطنه

ولد ونشأ عمرو بن كلثوم في أرض قومه التغلبيين، وكانوا يسكنون الجزيرة الفراتية وما حولها، وتخضع قبيلته لنفوذ ملوك الحيرة مع استقلالهم التام في شؤونهم الخاصة والعامة، والحيرة كما نعلم إمارة عربية أقامها الفرس على حدود الجزيرة العربية، وحموها بال سلاح والجنود.

### نشأته وحياته

ولد عمر بين مجد وحسب وجاه وسلطان، فنشأ شجاعاً هماماً خطيباً جامعاً لخصال الخير والسؤدد والشرف، وبعد قليل ساد قومه وأخذ مكان أبيه وله من العمر خمس عشرة سنة، وقال الشعر وأجاد فيه وإن كان من المقلين.

قاد عمر الجيوش وحارب أعداء قومه وكان مظفراً في كثير من أيامهم وحروبهم، وأكثر ما كانت فتن تغلب وحروبها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشهورة "البسوس"، وفي آخر الأمر أصلح بينهما المنذر ملك الحيرة وأخذ من كل منهما رهينة من الغلمان مائة غلام من أشرفهم حتى لا يعودوا إلى القتال، ولما تولى الحيرة عمرو بن هند عام 562 م حذا حذو أبيه، فحدث أن عمرو بن هند وجه قوماً من بكر وتغلب إلى جبل طيء في أمر من أموره، فترلوا على ماء لبني شيبان وهم من بكر، فأبعدوا التغلبيين عن الماء حتى ماتوا عطشاً، وقيل بل أصابتهم شتوم في بعض مسيرهم فهلكوا وسلم البكريون، فطلب التغلبيون دينهم من بكر، واختصما وتحاكما إلى عمرو بن هند، وكان سيد تغلب هو عمرو بن كلثوم، وشاعر بكر هو الحارث بن حلزة، فتفاخرت القبيلتان بين يديه، وفي هذا الموقف قال الحارث بن حلزة معلقته يفتخر فيها بيكر وقال عمرو بن كلثوم بعض معلقته يفتخر فيها بتغلب، وأثرت قصيدة الحارث بن حلزة على عمرو بن هند، ففضى لبكر حقداً على تغلب وحسداً لعمرو، لإدلاله بشرفه وحسبه ومجده.

ويقال إن عمرو بن هند الملك - وكان جباراً متكبراً مستبداً - كان يريد إذلال عمرو وإهانته ويضمّر ذلك في نفسه، وأنه كان جالساً يوماً مع ندمائه، فقال لهم: "هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي هند؟ فقالوا نعم، أم عمرو وبن كلثوم. قال: ولم؟ قالوا لأن أباهما مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل أعز العرب، وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه، وكانت هند عمّة امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور وكانت أم ليلى بنت مهلهل هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس وبينهما هذا النسب، فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ويسأله أن يزيّر أمه، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب، وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه. ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق، وكان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى، فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بطرف، فقالت هند: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق، فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها فأعادت عليها فصاحت ليلى: "واذلاه، يا لتغلب!" فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر إليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس ابن هند وقتله وكان ذلك نحو سنة 569م ونادى عمرو في بني تغلب فاتتهوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة وجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الأنفة والنخوة فنظم بعض معلقته في هذه الحادثة، يصف

فيها حدثه مع ابن هند ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة. وهكذا عاش عمرو عظيمًا من عظماء الجاهلية وأشرفهم وفساهمهم، عزيز النفس مرهوب الجانب، شاعراً مطبوعاً على الشعر.. وعمر طويلاً حتى مات نحو سنة 600 م. ولعمرو ابن اسم عتاب بن عمرو بن كلثوم، كان كأبيه شجاعاً فارساً وهو الذي قتل بشر بن عمرو بن عدس، كما أن مرة بن كلثوم أخوا عمرو بن كلثوم هو الذي قتل المنذر بن النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ولذلك يقول الأخطل التغلبي مفتخراً:

ابني كليب إن عمى اللذا  
ماضر تغلب وائل: أهجوتها  
قتلا الملوك وفككا الأغلالا  
أم بلت حيث تناطح البحران  
قومي همو قتلوا ابن هند عنوة  
عمرا، وهم قسطوا على النعمان

- 2 -

### شعر عمرو بن كلثوم

#### أهم الدراسات عنه

كتب عن عمرو بن كلثوم من الأدباء والباحثين: أ - منهم من المحدثين: جورجى زيدان، وأصحاب الوسيط والمفصل، والزيات وصاحب شعراء النصرانية.

ب - ومن القدماء: أبو زيد الأنصاري في الجمهرة، وابن سلام في طبقات الشعراء، وأبو الفرج في الأغاني، وابن قتيبة في الشعر والشعراء.

ج - وشرح معلقته ورواها: الزوزني في كتابه "شرح المعلقات السبع"، والنعساني الحلبي في كتابه نهاية الأدب في شرح معلقات العرب، ورواها صاحب الجمهرة، وهي سبعة ومائة بيت. وقد طبعت المعلقة في مدينة بونا سنة 1819 مع ترجمتها اللاتينية بقلم كوزغارتن.

#### معلقة الشاعر

1 - عمرو بن كلثوم جاهلي قديم، قتل عمر بن هند الملك، أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب، ووالده كلثوم بن عتاب فارس العرب، وكان عمرو سيذاً في قومه من بني تغلب، وتوفي في أواخر القرن السادس الميلادي.

وعمر شاعر قوي الشاعرية مجيد، ومعلقته "ألا هي بصحنك فاصبحينا" مشهورة، وهي من جيد شعر

العرب وإحدى السبع المعلقات، وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند. يمتاز عمر في شعره بالبديهة والارتجال، وبأسلوبه الرائع، وأغراضه العالية. وهو مقل لم ينظم في فنون الشعر جميعها، وكل ما روي عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج من موضوعها. أجاد في الفخر إجادة منقطعة النظر.

2 - والمعلقة مشهورة بالرفقة والسلاسة والسهولة، وفيها تكرير في بعض معانيها وألفاظها، ومبالغة واضحة شديدة في الفخر مما لم يؤلف نظيرها في الشعر الجاهلي، مثل:

تخر له الجبابر ساجدينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما

ومثل:

ونبطش حين نبطش قادرينا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها

1 - بدأها عمر بن كلثوم بوصف الخمر، وهذه المعلقة فريدة في هذه الناحية، فلم تبدأ معلقة أو قصيدة بوصف الخمر في الجاهلية إلا هذه القصيدة، ولعل سر ذلك أن تغلب كانت النصرانية موجودة في بعض ربوعها، وأن الخمر كانت شائعة في هذه الربوع، قال:

ولا تبقى خمور الأندرينا

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

إذا ما الماء خالطها سخينا

مشعشعة كأن الحصى فيها

وكان الكأس مجراها اليمينا

صددت الكأس عنا أم عمرو

بصاحبك الذي لا تصبحينا

وما شر الثلاثة أم عمرو

وأخرى في دمشق وقاصرينا

وكأس قد شربت ببعلبك

من الفتيان خلت به جنونا

إذا صمدت حمياها أريبا

ب - ثم يأخذ في الغزل ووصف محبوبته وجمالها:

نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي قبل التفرق يا طعينا

لوشك البين أم خنت الأميना

قفي نسألك هل أحدثت صرما

وإخوتها وهم لي ظالمونا

أفي ليلي يعاتبني أبوها

ج - ثم ينتقل إلى الفخر بقومه ومجدهم وعزتهم، ويهدد الملك عمرو بن هند وينذره ويتوعده في أسلوب قوي جزل مع عذوبة وجمال، والظاهر أن ذلك كان أيام التحاكم أمام عمر بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر:

أبا هند فلا تعجل علينا  
وأنظرنا نخبرك اليقيناً  
بأننا نورد الرايات بيضا  
ونصدرهن حمراً قد رويها  
وأيام لنا غر طوال  
عصينا الملك فيها أن ندينها  
ورثنا المجد قد علمت معد  
نطاعن دونه حتى يبينها

والجزء التالي من المعلقة يبدو أنه نظم بعد قتل عمرو بن هند، وهو:

بأي مشيئة عمر بن هند  
تطيع بنا الوشاة وتزدرينا  
تهددنا وتوعدنا رويدا  
متى كنا لأمك مقتوينها  
وأن قناتنا يا عمر أعيت  
على الأعداء تملك أن تلتينا

ثم ينتقل إلى ذكر وقائع قومه مفتخراً بها على بكر، ومنها يوم خزاز، ثم يحتمها بفخر قوي، منه:

وأنا الحاكمون بما أردنا  
وأنا النازلون بكل ثغر  
إذا ما الملك سام الناس خسفا  
ألا لا يجهلن أحد علينا  
ملأنا البر حتى ضاق عنا  
موج البحر نملؤه سفينا  
إذا بلغ الفطام لنا رضيع  
تخر له الجبابر ساجدينها  
لنا الدنيا ومن أمسى عليها  
ونبطش حين نبطش قادرينا

وبعد، فالمعلقة من روائع الفخر، ويقال إنها كانت تزيد على الألف بيت، وإنما وصل إلينا بعضها مما حفظه الناس منها.

والغالب - كما ذكرنا - أن الشاعر نظمها على مرتين: في مفاخرته ليكون عند عمرو بن هند، وفي حادثة أمه، ولذلك رأينا فيها إشارة إلى كليتهما وقد وقف عمر بن كلثوم بهذه المعلقة في سوق عكاظ فأنشدها في موسم الحج وكان بنو تغلب يعظموها ويرويها صغارهم وكبارهم، لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها. وقد أثرت هذه القصيدة في نفوس قبيلة تغلب وفخروا بها، واتخذوها أنشودتهم، حتى قال فيها بعض البكرين:

إلهي بني تغلب عن جل أمرهم  
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

## يفاخرون بها مذ كان أولهم

## يا للرجال لشعر غير مسؤول

والميزة الواضحة فيها السهولة والقوة، والاعتداد بالنفس والقبيلة، المبالغة في الفخر، وأنها شعر صدر عن سيد قومه يعترف فيه بسيادته وسيادة قبيلته ومجدها وأيامها وبطولة أبطالها وانتصارهم. وبدؤها بالخمير يرجع إلى انتشار النصرانية في تغلب وانتشار الخمر بينهم. وتكاد تكون هي القصيدة الوحيدة في بدئها بالخمير على غير عادة الشعراء الجاهليين. ويعجب النقاد بمعلقة عمرو إعجاباً شديداً، قال ابن قتيبة: وهي من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقة. وقدمه بها النقاد وقال مطرف عن عيسى بن عمرو: لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها.

## آثار من شعر عمرو

1 - روى صاحب ديوان الحماسة لعمرو بن كلثوم أبياتاً له من خير الأبيات يمتدح فيها بقومه، هي:

على هالك، أو أن نضج من القتل

معاذ الإله أن تتوح نساؤنا

بأرض براح ذي أراك وذي أثل

قراع السيوف بالسيوف حلنا

سوى جذم أذواد محذفة النسل

فما أبقت الأيام لممال عندنا

وأقواتنا وما نسوق إلى القتل

ثلاثة أثلاث، فأثمان خيلتنا

2 - وله يتوعد عمرو بن أبي حجر الغساني:

على عمد سنأتي ما نريد

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا

وأن زياد كبتنا ديد

تعلم أن محملنا ثقيل

يوزننا إذا لبس الحديد

وأنا ليس حي من معد

3 - ومعلقته مشهورة ومطلعها:

ولا تبقي خمور الأندرينا

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

يبدوها بوصف الخمر، وينتقل منها إلى الغزل إذ يقول:

نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي قبل التفرق يا طعينا

ثم ينتقل إلى موضوع المعلقة، ويظهر أن هذا الموضوع مقسم إلى قسمين عملاً في زمنين مختلفين، أولهما عمل أيام التحاكم أمام عمر بن هند والمفاخر بين تغلب وبكر ويتدئ من قوله:

وأنظرنا نخبرك اليقيناً

أبا هند فلا تعجل علينا

ونصدرهن حمرا قد رويانا

بأننا نورد الرايات بيضا

ويفخر فيه بنفسه وقومه:

نطاعن دونه حتى يبيننا

ورثنا المجد قد علمت معد

والثاني عمل بعد قتله عمرو بن هند، وأوله:

نطيع بنا الوشاة وتزدرينا؟

بأي مشيئة عمرو بن هند

نكون لقيلكم فيها قطينا؟

بأي مشيئة عمرو بن هند

متى كنا لأمك مقتوينا

تهددنا وتوعدنا!! رويدا

على الأعداء قبلك أن تلتينا

فإن قناتنا يا عمرو أعيت

### آراء النقاد في شعره

- 1 - قال الكمي: عمرو بن كلثوم أشعر الناس، وذكره في المزهرة مع أصحاب الواحدة وأولهم طرفة، ومنهم عنترة، والحارث بن حلزة، وشاعرنا عمرو بن كلثوم.
- 2 - وجعله ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية، وهم أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة، وأولهم عمرو بن كلثوم، ثم الحارث بن حلزة وعنترة، وسويد بن أبي كاهل اليشكري.
- 3 - وقد قدمه بعض النقاد وقالوا: هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفساً وأكبرهم امتناعاً وأجودهم واحدة، وقال عيسى بن عمر: لله در عمر أي حلس شعر ووعاء علم، لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه، من الشعراء.. وإن واحده لأجود سبعمهم - يعني السبع المعلقات - . وذكر أبو عمرو بن العلاء أن عمرو بن كلثوم لم يقل غير واحده - معلقته - ولولا أنه افتخر فيها وذكر مآثر قومه ما قالها. وجعله صاحب شعراء النصرانية من شعراء الطبقة الأولى.
- 4 - وقيل إنه كان ينشد عمرو بن هند وهو المحرق الثاني من ملوك الحيرة، فبينما هو ينشده في صفة جمل إذ حالت الصفة إلى صفة ناقة، فقال طرفة "استنوق الجمل"، والبيت الذي قاله عمرو:

بناج عليه الصيعرية مكدم

وإني لأمضي الهم عند احتضاره

فقال عمرو: وما يدريك يا صبي؟ فتشأتما. فقال عمرو بن المنذر: سبه يا طرفة، فقال قصيدته:

أشجاك الربع أم قدمه

أم سواد دارس حممه

حتى بلغ قومه:

فإذا أنتم وجمعكمو

حطب للنار نضطرمه

فقال عمرو بن كلثوم يتوعد عمرو بن هند:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بأي مشيئة عمرو بن هند

تطيع بنا الوشاة وتزدرينا؟

ويروى أن هذه القصة كانت بين طرفة والمتلمس، وأنه ما كان ليحترى على عمرو بن كلثوم. يمثل هذا لشدته في قومه.

ويروى لعمرو ذي الطوق.

صددت الكأس عنا أم عمرو

وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو

بصاحبك الذي لا تصحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم في معلقته. والاستلحاق أخذ الشاعر بيتاً مما سبقه على الجهل المثل "216-  
2 العمدة".

ويرى الدكتور طه حسين في كتابه الأدب الجاهلي أن عمرو بن كلثوم قد أحيط بطائفة من الأساطير، وأن معلقته لا يمكن أن تكون هي أو أكثرها جاهلية، وأن الرواة شكوا في بعضها، وأن معلقة الحارث أمتن وأرصن من معلقة ابن كلثوم.. وذكر أخيراً أنه يرجح أن المعلقتان منتحلتان.

### خصائص شعر عمرو

أ - وعمرو بن كلثوم شاعر غمر البديهة رائق الأسلوب، نبيه الغرض وإن كان مقلداً، لم يتقلب في فنون الشعر ولم يرخ العنان لسليقته، شغلته الرياسة وخوض الحروب وتكسب الشعراء بالشعر عن أن يفيض في الشعر ويطلق أكثر أبوابه، ولذلك لم يشتهر إلا بمعلقته التي قامت له مقام الشعر الوفير، لحسن لفظها وانسجام عبارتها ووضوح معناها ورشاقة أسلوبها وعلو فخرها ونباهة مقصدها، ورويت له مقطعات، لم يخرج فيها عن أغراض معلقته.. ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر.

ب - وأسباب شاعريته ترجع إلى: 1 - أسرة الشاعر وكثرة الشعراء منها ومن قبيلته.

2 - بيئته في الجزيرة الفراتية واتصالها بثقافات كثيرة منها ثقافة النصرانية التي انتشرت فيها، ومنها الثقافة

الفارسية التي لا بد أن تكون قد أحدثت آثارها في هذه النواحي الخاضعة لنفوذ الحيرة وملوكها.

3 - مجد الشاعر وحسبه فقد أنطقاه بهذا الشعر الرائع والفخر القوي البليغ.

4 - كثرة الخصومات والحروب بين تغلب وبكر، وقد شاهدها الشاعر وأججت ثورة الشاعرية في نفسه.

5 - الخصومات الأدبية بينه وبين خصمه شاعر بكر الحارث بن حلزة، إلى غير ذلك من بواعث شاعريته.

ج - وأهم أغراض الشعر عند عمرو هو الفخر، ومن أولى من عمرو بن كلثوم بأن يفتخر بمجده ومجد قومه وحسبهم وشرفهم ومحتدهم الرفيع وفخره في معلقته صفحة من تاريخ قومه الحربي والسياسي.

د - ومهما كان فأسلوب عمرو يمتاز بقوته وسلاسته وحلاوته، وتمتاز معانيه بالوضوح وكثرة المبالغة وبالصراحة وروح الصحراء البادية فيه.

### نثر الشاعر

1 - قال عمرو من خطبة له: أما بعد، فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه، ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته وائتمانه إياهم على حرمة.

2 - وأوصى عمرو بن كلثوم التغلبي بنيه، فقال من وصية له: "زوجوا بنات العم بني العم، فإن تعديم بمن إلى الغرباء، فلا تألوا بمن الأكفاء، وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر، وأعف للبشر، ومتى كانت المعاينة واللقاء، ففي ذلك داء من الأدواء، ولا خير فيمن لا يغار لغيره، كما يغار لنفسه. وقل من انتهك حرمة لغيره، إلا انتهكت حرمة، وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا، وموت عاجل خير من ضنى آجل وما بكيت من زمان، إلا دهاني بعده زمان وربما شجاني، من لم يكن أمره عناني، وما عجبت من أحدىة إلا رأيت بعدها أعجوبة، واعلموا أن أشجع القوم العطوف وخير الموت تحت ظلال السيوف الخ". "والوصية بتمامها في بلوغ الأرب ج3".

## الحارث بن حلزة

### حياته

من يشكر بن وائل، فارس مقدم وشاعر مجيد، وسيد من سادات بكر، كما كان عمرو بن كلثوم سيد تغلب وشاعرها، وهو أحد شعراء المعلقات، ومطلع معلقته:

#### آذنتنا ببينها أسماء

#### رب تاو يمل منه الثواء

وكان سبب إنشاده هذه القصيدة أن عمرو بن هند ملك الحيرة - وكان جباراً عظيم السلطان - جمع بين بكر وتغلب وأصلح بينهم، وأخذ من الحيين رهنا من كل حي مائة غلام. فكف بعضهم عن بعض، وكان أولئك الرهن يكونون معه في سيره يغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغليين وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر بن وائل: أعطونا دية غلماننا، فأبت بكر ذلك فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم واجتمعت بكر إلى النعمان بن هرم اليشكري، واجتمع الجمع عند الملك عمرو بن هند، وتلاحي عمرو بن كلثوم والنعمان بن هرم أمام الملك فغضب عمرو بن هند، وكان يؤثر بني تغلب على بكر، واشتد غضبه على بكر والنعمان صاحبهم فقام الحارث بن حلزة وارتجل قصيدته ارتجالاً وهو متوكئ على قوسه، وكان الملك يسمع قصيدة الحارث من وراء حجاب لأنه كان لا يجب رؤية أحد فيه سوء، وكان الحرث به وضح فلما أنشد القصيدة أدناه حتى خلص إليه.. ويقال إن الحارث عندئذ كان طاعنا في السن وكان فوق المائة، وترى أثر السن ونضوجها وحكمتها وحلمها ووقارها في القصيدة واضحاً جلياً حيث رد على تغلب في أناة وهدوء وحملها تبعة الحرب واستدرج عمرو بن هند إلى أن يكون في جانب قومه فمدحه ومدح قومه، وبها قضى عمرو لبكر على تغلب، وأطلق رهنهم وكانوا عدة فتيان من أشرف بكر. وقد بدأها بالغزل ووصف الناقة، ثم وصل إلى غرضه من الخصومة بين بكر وتغلب:

#### وأنا عن الأراقم أنبا

#### ء، وخطب نعننى به ونساء

ويرد على عمرو بن كلثوم بقوله:

#### أيها الناطق المرقش عنا

#### عند عمرو، وهل لذاك بقاء؟

ثم يأخذ في مدح عمرو بن هند:

#### فملكنا بذلك الناس حتى

#### ملك المنذر بن ماء السماء

## ملك أضلع البرية لا يو

جد فيها لما لديه كفاء؟

وفي المعلقة بعد ذلك أبيات لها قيمة كبيرة في شرح أحداث تاريخية وسياسية، من صلح كان بين تغلب:

## واذكروا حلف ذي المجاز وما قد

م فيه العهود والكنفلاء

وأيام كانت بين تغلب أخرى غلبت فيها تغلب: أعلينا جناح كندة: أن يغنم غازيهم، ومنا الجزاء؟ وعداء قديم كان بين المنذر ملك الحيرة والتغليبين لما امتنوا به من نصرته وعلى العكس من ذلك ولاء البكرين للملوك الحيرة. وينتقل من ذلك إلى مدح عمرو بن هند وآبائه:

## أيها الناطق المبلغ عنا

عند عمرو، وهل لذاك انتهاء؟

## ملك مقسط وأفضل من يم

شي، ومن دون ما لديه الثناء؟

وطبعت المعلقة في أوروبا لأول مرة عام 1827 م.

وعلى الجملة، فقد كان عمرو بن كلثوم في قوله أعز نفساً وأعلى قدراً، وضع نفسه وقومه موضع الند لعمرو بن هند وقومه.. وكان الحارث أحكم وأعقل. وضع الحارث أمام نفسه غرضاً تحايل على الوصول إليه، في دهاء وإيماء وملق، حتى وصل إليه فحكم له ولقومه.

## شعره

يمتاز الحارث بالبديهة والارتجال وقوة الشاعرية، وتعدد فنون الشعر في معلقته وكثرة غريبها وإحكام نظمها على طولها، واشتمالها على كثير من أيام العرب ووقائعها، حتى قال أبو عمرو الشيباني: "لو قالها في حول لم يلم".  
ومن شعره في غير المعلقة:

الدهر مال على عمدا

من حاكم بيني وبين

تركوا لنا حلقا وجردا

أودى بسادتنا وقد

أبيك كان أعز فقدا

خيلي وفارسها ورب

أصاب من ثهلان هدا

فلو أن ما يأوي إلى

الدهر قد أفنى معدا

فضعي قناعك إن ريب

قد جمعوا مالا وولدا

فلكم رأيت معاشرنا

ك النوك ما لاقيت جدا

فعرش بجد ولا يضر

ل النوك ممن عاش كدا

والعيش خير في ظلا

### معلقة الحارث بن حلزة

1 - الحارث بن حلزة اليشكري من بكر، كان سيداً في قومه، وشاعراً مجيداً، ارتجل معلقته ارتجالاً في مجلس عمرو بن هند، يستدني بها عطفه، ويستجلب رضاه ويزود بها عن قومه، وكان هوى عمرو بن هند مع تغلب، فتحول إلى العطف على البكرين بسبب هذه القصيدة الرائعة. وليس للحارث إلا آثار قليلة من الشعر مع معلقته هذه.

2 - وتمتاز هذه المعلقة بإحكام نسجها وتنوع أغراضها، وبأنها أثر من آثار البديهة والارتجال. أ = بدأها بالغزل في محبوبته أسماء:

رب ثاو يمل منه الثواء

أذنتنا بينها أسماء

ء فأدنى ديارها الخلصاء

بعد عهد لنا ببرقة شما

كي اليوم دلها وما يحير البكاء

لا أرى من عهدت فيها فأب

ب - ثم انتقل إلى وصف ناقته، وكما يقول:

ابن هم بلية عمياء

أتلهى بها الهواجر إذ كل

ج - ثم يعاتب إخوانه من بني تغلب لصلفهم على قومه:

ن علينا في قيلهم إحقاء

إن إخواننا الأراقم يغلو

ب ولا ينفع الخلي الخلاء

يخطون البريء منا بذي الذن

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

أجمعوا أمرهم عشاء، فلما

هال خيل خلال ذاك رغاء

من مناد، ومن مجيب، ومن تص

عند عمرو وهل لذاك بقاء؟

أيها الناطق المرقش عنا

قبل ما قد وشى بنا الأعداء

فبقينا على غراتك إنما

نا حصون وعزة قعساء

فبقينا على الشنائة تنمي

ثم يمدح الملك عمرو بن هند حيناً، ويستمر في عتاب إخوانه من تغلب حيناً آخر:

شي ومن دون ما لديه الثناء

ملك مقسط، وأفضل من يم

## أيما خطة أردتم فأدو

ها إلينا تمشي بها الأملاء

ويسير على هذا النهج من المدح والعتاب.

د - ثم يفتخر بقومه ومجدهم وأيامهم في صدق وجمال وقوة عاطفة:

## هل علمتم أيام ينتهب النا

س غوارا لكل حي عواء

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة، التي يصح لنا أن نعدّها ملحمة شعرية مصغرة، تنطق بمجد بكر ومفاخرها في الحرب والسلم في الجاهلية.

مختارات من المعلّقة:

وأنا من الحوادث والأن

باء خطب نعى به ونساء

أن إخواننا الأرقام يغلو

ن علينا في قيلهم إحقاء

يخلطون البريء منا بذي الذن

ب، ولا ينفع الخلي الخلاء

زعموا أن كل من ضرب العي

ر موال لنا، وأنا الولاء

أجمعوا أمرهم عشاء فلما

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من مناد، ومن مجيب، ومن تص

هال خيل، خلال ذلك رغاء

أيها الناطق المرقش عنا

عند عمرو، وهل لذاك بقاء

لا تخلنا على غراتك، إنا

قبل ما قد وشى بنا الأعداء

فبقينا على الشنائة تنمي

نا حصون، وعزة قعساء

قبل ما اليوم بيضت بعيون

الناس فيها تعيط وإباء

وكأن المنون تردى بنا أر

عن جوناً ينجاب عنه العماء

مكفهرًا على الحوادث لا تر

توه للدهر مؤيد صماء

أيما خطة أردتم فأدو

ها إلينا تمشي بها الأملاء

إن نبشتم ما بين ملحّة فالصا

قب فيه الأموات والأحياء

أو نقشتم، فالنقش يحشمه النا

س، وفيه الصلاح والإبراء

أو سكتم عنا، فكنا كمن أغ

مض عيناً في جفنها أقداء

## أمية بن أبي الصلت 550 - 624 م

- 1 -

### حياة الشاعر

### نسبه وأسرته

هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن أمية الثقفي شاعر ثقيف، وأحد المتلمسين للدين في الجاهلية، ومن أشرف قبيلته ورؤسائها. أبوه أبو الصلت من سادات ثقيف، وأمه رقية بنت عبد شمس بن مناف. وكان والده شاعراً، وله قصائد يمدح فيها سيف بن ذي يزن 579 م ويشيد بالفرس الذين ساعدوه على تحرير اليمن من نير الحبشة واحتلالها، ومنها هذه القصيدة التي نظمت عام 573 م، والرسول ابن عامين.

في البحر لجج للاعذام أحوالا

لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزن

ويروى: خير أي أقام.

ومنها في الفرس:

ما إن ترى لهم في الناس أمثالا

لله درهم من عصبه خرجوا

أسدا تربب في الغيصات أشبالا

بيضا مرزبه غراً جاجحه

ولا ترى منهم في الطعن ميالا

لا يرمضون إذا حرت مغافرهم

أو مثل وهرز يوم الحبش إذ صالا

من مثل كسرى وسابور الجنود له

في رأس غمدان دارا منك محلالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا

شييا بماء فعادا بعد أبوالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن

وتنسب القصيدة لأمية نفسه لا لأبيه في بعض المصادر.

### بيئته ومولده

ولد أمية في أواسط القرن السادس الميلادي، ونشأ بالطائف، وهي مصيف أهل مكة ومنتزههم، وروضة خصبة وسط الصحراء القاحلة، وأطيب البلاد العربية هواء وأجملها مناخاً وأكثرها بساتين وكروماً وزرعاً وفاكهة وعيوناً وهي في الجنوب الشرقي لمكة وبينهما خمسة وسبعون ميلاً. ويقول الشاعر:

### ومصيفها بالطائف

### تشتو بمكة نعمة

وكانت الفترة التي عاش فيها أمية فترة عجيبة في تاريخ العرب، فالاحتلال الحبشي لليمن قد انتهى وصحبه امتداد نفوذ الفرس على هذه البلاد واختلاط العقليات العربية والفارسية وتجاورها وتبادل التفكير والثقافات الطارئة وقد وعى العرب لهذه الألوان الطريفة من القصص والأساطير والأخبار والعقائد والمخاورات التي هي جزء من ثقافة الفارسي الأصلية أو المستمدة من ثقافات الهند وعلومها. أما بيئة الطائف الأدبية فإنها على أي حال لم تصل نهضة الشعر فيها إلى ما وصلت إليه في نجد، كان فيها شعراء وليس شعرهم بالكثير، والسبب في ذلك كما يرى ابن سلام هو قلة الحروب والخصومات بين أهل الطائف، وأنه إنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، وهذا هو السبب أيضاً في قلة شعر قريش وأهل عمان، ولم ينبع في الطائف سوى أبي الصلت، وابنه أمية وهو أشعرهم، وغيلان بن سلمة وكنانة بن عبد يا ليل.

### نشأته وحياته

نشأ أمية في هذه البيئة، وشب شاعراً يرث من أبيه مواهب الشعر وملكاته، وأخذ بممارسة التجارة وظل يمارسها طول عمره، فتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن. واتصل بالفرس في اليمن وسمع محاوراتهم وقصصهم، كما اتصل بالكهان والأخبار والقسس في الشام وسمع عظاتهم، وشاهد مظاهر القلق الروحي البادية في تفكير بعض العرب المتعبدين أمثال: زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل، ويبدو أنه كان عالماً بغير العربية على ما يظهر فاطلع على كتب القدماء وخصوصاً التوراة والإنجيل.

وهكذا نشأ أمية مفطوراً على التدين، موهوباً ملكات الشاعرية القوية الجياشة.

وسافر إلى الشام في رحلات تجارية كما سافر إلى اليمن فلقى في رحلته بعض المتدينين هناك وسمع أخبارهم وعظاتهم، فرغب عن عبادة الأوثان وزهد في الدنيا، واستزاد النظر في الأديان وطلبها من أهل الكتاب، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وأقاصيص الشيوخ في الجاهلية من الذين يعبدون الله على دين إبراهيم وإسماعيل، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة وتعبد ولبس المسوح وحرّم الخمر والزنا والقمار على نفسه، ورأى في الكتب الدينية ما يبشر ببعثة نبي من العرب فطمع في أن يكون هو النبي

المنتظر، وأخذ يدعو الناس إلى الحيفية دين إبراهيم وإسماعيل ويظهر التأله طمعاً في نزول الوحي عليه، ومع ميله إلى الحيفية ملة إبراهيم السمحاء فقد كان لا يقلع عن التردد على الأديار، يجافس الرهبان ويختلف إلى الكنائس، يحاور القسس ويخبر الناس أن نبياً يخرج قد أطل زمانه.

ولما بعث محمد رسول الله صلوات الله عليه وقام بالدعوة، أدرك أمية الحسد وكفر به، وقال: "إنما كنت أرجو أن أكونه"، فترل قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي أتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين"، ثم أخذ يحرض على الرسول ويرثي قتل أعدائه في موقعة بدر، فنهى عن رواية شعره في ذلك، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا سمع شعره في التوحيد يقول "آمن لسانه وكفر قلبه"، ويقول "كاد ليسلم" كما روى الإمام مسلم في صحيحه: ولم يطق أمية - بعد أن شاهد ذبوع الدعوة وانتشار الإسلام - أن يقيم على مقربة منه، فذهب بابنيه إلى أقصى اليمن ولكنه عاد إلى الطائف ثانياً بعد هجرة رسول الله إلى المدينة. وبقي بها إلى أن توفي في السنة التاسعة من الهجرة عام 624م، ويروون أنه لما مرض مرضته التي مات فيها جعل يقول "قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي وأنا أعلم أن الحيفية حق ولكن الشك يداخلني"، وأنه لما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

هأنذا لديكما

لبيكما لبيكما

ولا عشيرة تتجيني .

لا مال يفيدني

وأغمي عليه ثم أفاق وهو يقول ذلك البيت ويصله بقوله: "لا برئ فاعتذر ولا قوي فانتصر" وأغمي عليه ثلاثة ثم أفاق وهو ينشد البيت المذكور ويصله بيت آخر بعده هو:

وأي عبد لك لا ألما

إن تغفر اللهم تغفر جما

وأقبل على القوم فقال: قد جاعني وقتي فكروا في أهبي. واستمر يحدثهم حتى كان آخر قوله هذه الأبيات:

منتهى أمره إلى أن يزولا

كل عيش وإن تطاول دهرا

في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي

غولة الدهر، إن للدهر غولا

فاجعل الموت نصب عينيك واحذر

وقد تكون هذه القصة من أساطير الرواة.

وبذلك انتهت حياة أمية، ومات ولم يؤمن بدين الإسلام والتوحيد، بعد أن كان داعية الطهر والتوحيد، وتوفي عام 9 هـ وفي كتاب شعراء النصرانية أن وفاته كانت في السنة الثانية من الهجرة.

## ألوان من حياته

1 - كان لأمية ابن عاق فأنشد فيه قصيدته:

غذونك مولوداً وعلتك يافعاً  
تعل بما أحنى عليك وتنهل  
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت  
لشكواك إلا ساهراً أتململ  
كأنني أنا المطروق دونك بالذي  
طرقت به دوني فعينا ي تهمل  
تخاف الردى نفسي عليك وإنها  
لتعلم أن الموت وقت مؤجل  
فلما بلغت السن والغاية التي  
إليها مدى ما كنت فيك أوّمل  
جعلت جزائي منك هجراً وغلظة  
كأنك أنت المنعم المتفضل  
وسميتني باسم المفند رأيه  
وفي رأيك التفتيد لو كنت تعقل  
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي  
فعلت كما الجار المجاور يفعل

وهي نط جميل من الشعر العالي، وتصوير لما لقي أمية من ابن من أبنائه من جفاء وعقوق.

2 - واتصل أمية أكثر ما اتصل بعبد الله بن جدعان التيمي وهو سيد من سادات قریش، وكان جواداً مضيافاً، وكان أمية كثير المدح له، وكان ابن جدعان يعطيه عطاء جزلاً، كما كان يفعل هرم بن زهير. ومن شعره فيه:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني  
حياؤك إن شيمتك الحياء  
وعلمك بالحقوق وأنت فرع  
لك الحسب المهذب والسناء  
كريم لا يغيره صباح  
عن الخلق الجميل ولا مساء  
تبارى الريح مكرمة ومجدا  
إذا أتتى عليك المرء يوماً  
فأرضك كل مكرمة بناها  
فهل تخفى السماء على بصير  
إذا أتتى عليك المرء يوماً  
فأرضك كل مكرمة بناها  
فهل تخفى السماء على بصير

ويقول فيه أيضاً:

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته  
بيذل وما كل العطاء يزين  
وليس بشين لامرئ بذل وجهه  
إليك كما بعض السؤال يشين

ويقول فيه أيضاً حين صنع ابن جدعان الفالوذ ووضع موائده بالأبطح إلى باب المسجد، ونادى الناس فحضرُوا وكان هذا أول أكلهم له وحضر أمية فقال:

ومالي لا أحبييه وعندني

مواهب يطلعن من النجاد

له داع بمكة مشمعل

وآخر فوق دارته ينادي

إلى ربح من الشيزي ملاء

لباب البر يلبك بالشهاد

إلى آخر هذه الأبيات الطرفية التي تنسب أيضاً إلى أبي الصلت.

هذا وابن جدعان هو عبد الله بن جدعان التيمي. وقد كان من مشاهير الأجداد، ومن سارت بجوده الأمثال في الأقطار والبلاد. وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب. وقالوا في المثل أقرى من حاسي الذهب. وكان من قريش، وفيه قال أبو الصلت الثقفي أو ابنه أمية:

له داع بمكة مشمعل وآخر

فوق دارته ينادي

إلى ربح من الشيزري ملاء

لباب البر يلبك بالشهاد

وكان في ابتداء أمره على ما يروى صعلو كما ترب اليدين، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضه عشيرته ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبداً، فخرج في شعار مكة حائراً ثائراً يتمنى الموت أن يتزل به فرأى شقاً في جبل فظن أن فيه حية فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما بقتله فيستريح فلم ير شيئاً فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدحان كالسراجين، وإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت، فإذا جثث طوال على سر لم ير مثلهم طولاً وعظماً، وعند رؤوسهم لوح من فضة تاريخهم وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتا الحرث بن مضاض، وإذا عليهم ثياب من وشى لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب في اللوح عظات. وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذتم علم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكثر، ويطعم الناس ويفعل المعروف وفي القاموس، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه. وكانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمتها، بل كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها صبي فغرق ومات. وعبد الله بن جدعان تيمي يكنى أبا زهير، وهو ابن عم عائشة رضي الله تعالى عنها. ولذلك قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. وكان ابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان بها مغرى وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه، فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبداً. فلما

كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دين منه لطمه لطمه خفيفة ثم يقول له: قم فأنشد لطمتك واطلب ديتك فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جدعان.

- 2 -

## شعر أمية

### أهم الدراسات عن أمية وشعره

1 - كتب عن أمية ابن سلام في طبقات الشعر وابن قتيبة الشعر والشعراء وذكره الأغاني والمرزباني والدميري وصاحب خزنة الأدب، وابن رشيق في العمدة. وترجم له صاحب شعراء النصرانية وجورجي زيدان، وصاحب كتاب الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، وترجم له السباعي بيومي، والزيات، وأصحاب الوسيط. وعده صاحب الجمهرة من أصحاب المجهرات - وهي سبع قصائد تلي المعلقة الأدبية - وروى مجهرته:

### لزيب إذ تحل بها قطينا

### عرفت الدار قد أفوت سنينا

وألف أحد أساتذة كلية اللغة العربية رسالة فيه وفي حياته وشعره وهي مخطوطة بمكتبة الكلية. وطبع ديوانه المستشرق الألماني "فريدريك شولتهيس" عام 1911 معتمداً على عدة مصادر، منها شرح محمد ابن حبيب العالم الرواية م 245 هـ. وطبع لأمية ديوان في بيروت عام 1943، إلى غير ذلك من شتى الدراسات عن أمية. ويلاحظ أن بعض الباحثين يعدون أمية جاهلياً لأنه قد توفي بعد ظهور الإسلام بقليل ولأن أكثر آثاره الشعرية نظم قبل الإسلام، وليد جاهلي مع أنه توفي عام 41 هـ لأنه لم ينظم في الإسلام شيئاً. وبعضهم يجعله من المخضرمين، لأنه توفي بعد الهجرة ورثى من قتل في بدر من المشركين.

- 3 -

### مكانته في الشعر وآراء النقاد فيه

1 - قال أبو عبيدة: اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس "سكان البحرين"، ثم ثقيف والطائف وان أشعر ثقيف أمية.

وذكره ابن سلام في شعراء الطوائف حين تكلم على شعراء القرى، وقال: وأمّية أشعر أهل الطوائف. وكان الكميّ يقول: أمّية أشعر الناس، قال كما قلنا ولم نقل كما قال. وقال الأصمعي كما في الأغاني: ذهب أمّية بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنتره بعامة ذكر الحروب وذهب عمر بعامة ذكر الشباب، وكان أبو عبيدة والأصمعي يقولان، عدي في الشعراء بمترلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها وكذلك أمّية. وجعله صاحب كتاب شعراء النصرانية من شعراء الطبقة الثانية وذكر ما نصه. وقيل انه من الطبقة الأولى، وهذا مبالغة شديدة منه.

- 4 -

### أسباب شاعريته

هناك أسباب كثيرة كونت شاعرية أمّية وأثرت فيها.. منها: 1 - عصره وبيئته: فقد كان العصر الجاهلي وكانت البيئة العربية عامة والطوائف خاصة من بيئات الشعر والأدب والبلاغة والبيان، وجو الطوائف وجمالها وكثرة خيراتها ومزارعها واستقرار الحياة فيها، كل ذلك كان له أثره في شاعرية الشاعر ولا ريب. 2 - وراثته الشعر عن أسرته: فقد كان أمّية من أسرة شاعرة، واشتهر أبوه بالشعر، وامتدت تلك المواهب الفنية فتوارثها أبناء أمّية، وكان ابنه القاسم شاعراً وينسب إليه وإلى أبيه.

ردوه رب صواهل وقيان

قوم إذا نزل الغريب بدارهم

سدوا شعاع الشمس بالفرسان

وإذا دعوتهم لكل ملمة

إلى آخر هذه الأبيات.

3 - ثقافته ورحلاته: فقد ألم أمّية بثقافات واسعة واختلط بالحياة والناس والعناصر في رحلاته التجارية إلى اليمن والشام، مما كان له أثره في شعره وشاعريته. 4 - فطرته على حب التدين: فقد دفعه ذلك إلى مخالطة رجال الأديان والتحدث إليهم والتأثر بعظاتهم، مما جعل قلبه رقيق العاطفة والشعور، وهما أساس الأدب والشعر، ومما جعله يلون شعره بهذا الروح الديني القوي الغلاب. 5 - اختلاطه بالحياة الأدبية والشعراء في الطوائف ومكة وسائر بلاد الجزيرة العربية شاباً ورجلاً وكهلاً، مما جعل الشعر أقرب إلى قلبه وروحه من أي شيء سواه. إلى غير ذلك من بواعث الشعر وأسبابه في نفس أمّية.

إن شعر أمية جدير بأوفر عناية وأدق درس لأنه وقد ذكر ما ذكر من أنباء الرسل وأمور الآخرة لا يعدو واحدة من اثنتين إما أن يكون قد قيل قبل نزول القرآن أو بعد بدء نزوله وفي أثناءه، فإن كانت الأولى فهو وثيقة فريدة في الدلالة على ما عرف بعض العرب لذلك العهد من تلك الشؤون، وإن كانت الثانية فقد أراد به صاحبه لا محالة معارضة القرآن فانقطع وتخلف ولم يستطع الكفار أن يشغبوا به. وهذه أبيات من شعره تدل على طريقته، والأرجح أن نسبتها إليه صحيحة فإنها من قصيدة استشهد سيويه بيت منها وعنى بروايتها شراح كتابه، وقل أن يجوز عليهم غير صحيح. قال أمية يذكر إرسال موسى وهارون إلى فرعون وفي الأبيات روح التأثر بالقرآن:

وأنت الذي فضل من سيب ونعمة  
بعثت إلى موسى رسولا مناديا  
فقال أعني بابن أمي فانتني  
كثير به، يارب صل لي جناحيا

وقلت لهارون اذهبا فتنظاهرا  
على المرء فرعون الذي كان طاغيا  
وقولا له هل أنت سويت هذه  
بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا  
وقولا له هل أنت رفعت هذه  
بلا عمد أرفق إذن بك بانيا  
وقولا له هل أنت سويت وسطها  
منيرا إذا ما جنه الليل ساريا  
وقولا من أخرج الشمس بكرة  
فأصبح ما مست من الأرض ضاحيا  
وقولا له من أنبت الحب في الثرى  
فأصبح منه البقل يهتز رايبا  
فأصبح منه حبه في رؤوسه  
ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

- 5 -

### خصائص شعره

#### أولاً، من حيث الأسلوب والألفاظ

يعد أمية من أكبر شعراء القرى العربية على قلة الشعر فيهم، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعض النقاد حتى أسقطوا الاحتجاج به كثرة استعماله للتدخيل من العبرية والسريانية في شعره، كما أنكروا عليه حق التعريب لشدة مخالطته للأعاجم وإن كان عربياً صريحاً، كما أنكروه على عدي لإدخاله الكثير من ألفاظ الفرس في شعره. قال ابن قتيبة: "واي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب،

منها قوله: وخان أمانة الديك الغراب. ومنها قوله: قمر وساهور يسيل ويغمد". وزعم أهل الكتاب أن الساهور غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف. وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة.. وكان أمية يسمي الله في بعض أشعاره "السلطيط" وفي بعضها "التغرور"، وربما اقتبسهما من الحبشية أو صاغهما على صيغ تلك اللغة، فالأحباش يسمون الله في اللغة الأخرية "أغزاهم" فلعلها كانت قبلاً أقرب إلى "التغرور". ومهما كان فإن في أساليب أمية بل وفي معانيه أشياء لم تكن العرب تعرفها، ولا شك أنه قرأها في بعض الكتب فأدخلها في شعره، وكان أمية يسمي السماء صاقورة وحاقورة. وكان قلق اللفظ سخييف النسخ نابي القافية. كل هذا إنما كان في شعر أمية الديني. أما شعره الغير الديني فأرى عليه طلاقة الأسلوب وسهولة اللفظ وعذوبة العبارة وحلاوتها ورقتها وطلاوة البيان. كما في مدائحه لابن جدعان وقصيدته في ابنه وسواهما.

### ثانياً، من حيث المعاني والأخيلة

انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية فاشتهر بها أمره، واصطبغ بها شعره، فوصف الله عز وجل وذكر الحشر والحساب والجنة والنار والملائكة كما ذكر خلق الأرض والسموات. قال ابن سلام: "وكان أمية كثير العجائب في شعره، يذكر فيه خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء.

ونظم حوادث التوراة كخراب سدوهم وقصة إسحاق وإبراهيم، وأدخل في الشعر معاني لم يألّفها الشعراء، ولم يعرفها العرب، فكان مذهب أمية في شعره غير معهود في عصره، وكان سبباً في أن ينحله العلماء ما جاء على شاكلة تلك المعاني من الشعر ولم يعرفوا قائله، مما كان له أثره في عدم عناية الأدباء والرواة والنقاد بشعره، وإهمالهم له. ويقول الحجاج: "ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام".

وذكر كثيراً من العجائب والقصص الخيالية والأساطير الخرافية وخلق العالم وفنائه وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له. مما يتخلله شيء من الحكم والأمثال. ولا شك أن شعر أمية الذي لم يصطبغ بصبغته الدينية يخلو من هذه السمات ويسير الشاعر فيه على نهج الشعراء الجاهليين، من صدق المعنى وبساطته وسذاجته، مع تلون الثقافة فيه إلى حد ما، لثقافة أمية الواسعة. ومع البعد عن الخيال الكاذب والمبالغة المفرطة فيه. ويأخذ في شعره الكوني والديني من أساليب ومعاني وروح القرآن الكريم كما في قوله من قصيدة:

عند ذي العرش يعرضون عليه يعلم الجهل والكلام الخفيا

يوم نأتيه وهو رب رحيم  
 يوم نأتيه مثل ما قال فردا  
 أسعيد سعادة أنا أرجو  
 رب كلا حتمته وارد النا  
 إنه كان وعده مأتيا  
 لم يذر فيه راشدا وغويا  
 أم مهان بما كسبت شقيا  
 ر كتابا حتمته مقضيا

إذ لا يتأتى أن يحمل ذلك على المصادفة والاتفاق، ولا على أنه أخذه مما قرأ من الكتب. ولا شك أن ثقافة أمية الواسعة جعلته يستمد معانيه وأفكاره وأخيلته من كثير من الثقافات والمصادر.

### ثالثاً، من حيث أغراض الشعر وفنونه

ويمكننا أن نقسم شعر أمية إلى قسمين:

#### "أ" شعره في غير الدين

وقد نحا أمية فيه منحى الشعراء في الأغراض والمعاني والأسلوب: 1 - فنظمه في المديح، كما في مدائحه السابقة لابن جدعان التي يظهر عليها روح الشاعرية ومواهبها العالية القوية الأحاذة المندفقة. 2 - ونظمه في الرثاء، ومن ذلك قصائد له كثيرة، منها قوله يرثي زمعة بن الأسود وأحاه عقيلاً من بني أسد:

عين بكى بالمسبلات أبا الحا  
 وعقيل بن أسود أسد البأ  
 فعلى مثل هلكهم حوت الجو  
 وهم الأسرة الوسيطة من كع  
 أنبتوا من معار سعر الرأ  
 فبنو عمهم إذا حضر البأ  
 وهم المطعمون إذا أقحط القط  
 رث لا تذخري على زمعة  
 س ليوم الهياج والدقعة  
 زاء لا خانة ولا خدعة  
 ب وفيهم كذروة القمعة  
 س وهم ألحقوهم المنعة  
 س عليهم أكبادهم وجعة  
 ر، وحالت فلا ترى قزعة

وقال يرثي قتلى بدر وفيهم عتبة وشيبة ابنا خاله:

ألا بكيت على الكرا  
 كبكا الحمام على فرو  
 م بني الكرام أولى الممادح  
 ع الأيك في الغصن الجوانح

نات يرحن مع الروائح  
ت المعولات من النوايح  
حزن ويصدق كل مادح  
ولقد أبان لكل لامح  
ة فهي موحشة الأباطح  
ريق نفى اللون واضح  
جمة الملاوثة المناجح  
بين الأمرين بكل صالح  
ق الخبز شحما كالأنافح  
م مزية وزن الرواجح  
قسطاس في الأيدي النوافح  
يحمون عورات الفضائح  
من بين مستسق وصائح  
أيم منهم وناكح  
شعواء تجحر كل نابح  
ت الطامحات مع الطوامح

يبكين حرى مستكي  
مثالهن الباكي  
من يبكهم يبكي على  
أولا ترون لما أرى  
أن قد تغير بطن مك  
من كل بطريق لبط  
ومن السراطمة الخلا  
القائلين الفاعل  
المطعمين الشحم فو  
لكرامهم فوق الكرا  
كتثاقل الأبطال بال  
خذلتهم فئة وهم  
ولقد عناني صوتهم  
لله در بني علي  
إن لم تغيروا غارة  
بالمقربات المبعدا

2 - الفخر: كانت مادة الفخر أمام أمية كثيرة لمجد بيت أبيه من ثقيف وبيت أمه من عبد شمس، وكان قوله فيه فائقا بالغا وإن كان مقلا، ولعل إقلاله في هذا الباب ناشئ كما يقول السباعي بيومي من ميله إلى الناحية الدينية التي تزهد الإنسان في مفاخر هذه الحياة، ولذا يغلب أن تكون مجمهرته في الفخر قد قيلت قبل أن يتوغل في الورع والتدين، وهي حافلة بماله ولقومه من مكانة وعلاء. وقد جاءت متفقة مع معلقة ابن كلثوم وزناً وروياً ومتحدة معها في كثير من المعاني والأساليب لما فيه طبع أمية من ميل إلى السهل النازع إليه عمرو دون غيره من رجال المعلقات، ومنها:

وعن نسبي أخبرك اليقينا  
وأجداد سموا في الأقدمينا  
فأورثنا مآثرنا البنينا

فإما تسألني عنى لبيني  
ثقي أنى النبيه أبا وأما  
ورثنا المجد عن كبرى نزار

## وأرصدنا لريب الدهر جردا

## تكون متونها حصنا حصينا

وسياتي تحليل لها.

4 - ونظم الشعر في الوصف المعنوي لا الحسي، كما في قصيدته في عقوق ابنه، وهو بذلك يخالف جميع شعراء الجاهلية الذين عنوا بمظاهر الصحراء الحسية ووصفها، أما الوصف الحسي فليس له وجود في شعر أمية الذي نظمته في غير الكونيات وشؤون الدين ولكنه كثير جداً في شعره الديني وإن كان هذا الوصف الحسي لا يتناول الصحراء ومشاهدها وإنما يتناول الكون والسماء والأرض ووصف الحياة نفسها.

### "ب" شعره الديني

وهو كثير ويغلب على شعر أمية وقد نظمته في أغراض كثيرة منها: 1 - القصص كما في وصفه لسفينة نوح وأسطورة تطويق الحمامة التي دلت أصحاب السفينة على الأرض اليابسة فأعطوها هذا الطوق وكما في قصيدته في ذكر إبراهيم ونذره ولده لله وما كان من حديث الذبح وكما في ذكره لقصة مريم وذكره لخراب سدوم وهي مدينة لوط وما وقع له مع قومه. وكما في قصيدته في غارة الأحباش على الكعبة وإشارته إلى قصة الفيل، وكما في كلامه عن فتنة الهدد وخرافة الديك والغراب وصدقاتهما القديمة وقصة ثمود ورسالة موسى وهرون، إلى غير ذلك من قصصه وأساطيره.

2 - شعره في الكونيات وهو كثير كوصفه للكون وخلقه، وللجنة والنار والملائكة، وسوى ذلك من نواحي هذا الفن.

3 - شعره في توحيد الله وهو كثير جداً في شعره.

ويظهر في شعر أمية الديني الضعف الفني، لصعوبة الكلام في أمور الدين ولأنه كان يعارض القرآن في بعض معانيه فعجز وضعف وخذي.

- 6 -

### نماذج من شعر أمية

1 - قال في سفينة نوح وخرافة تطويق الحمامة إذ دلت من فيها على اليابسة:

نزل على المهالك لا تهاب

وأرسلت الحمامة بعد سبع

عليه الثأط والطين الكتاب

فجاءت بعدما ركضت بقطف

لها طوقا كما عقد السخاب

فلما فتشوا الآيات صاغوا

إذا ماتت تورثه بنيتها  
جزى الله الأجل المرء نوحا  
بما حملت سفينته وأنجت  
وفيهما من أرومته عيال  
وإن تقتل فليس له استلاب  
جزاء البر ليس له كذاب  
غداة أتاهم الموت الغلاب  
لديه لا الظماء ولا السغاب

2 - وقال في نذر إبراهيم ولده وإرسال الله بالفداء حين هم بالذبح واستسلم الذبيح:

ولإبراهيم الموفى بالنذر  
بكره لم يكن ليصبر عنه  
ابني إني نذرتك الله  
فأجاب الغلام أن قال فيه  
أبتي إنني جزيتك بالله  
فاقض ما قد نذرته لك واكفف  
واشدد الصفد أن أحميد عن ال  
بينما يخلع السراويل عنه  
قال خذه وأرسل ابنك إني  
ربما تجرع النفوس من الأم  
احتسابا وحامل الأجزاء  
أو يراه في معشر أقتال  
شحيطا فاصبر فدى لك خالي  
كل شيء الله غير انتحال  
تقيا به على كل حال  
عن دمي أن يمسه سربالي  
سكين حيد الأسير ذي الاغلال  
فكه ربه بكبش جلال  
للذي فعلتم غير قالي  
ر له فرجة كحل العقال

3 - وقال في خراب سدوم مدينة قوم لوط:

ثم لوط أخو سدوم أتاها  
راودوه عن ضيفه ثم قالوا  
عرض الشيخ عن ذاك بنات  
غضب القوم عند ذاك وقالوا:  
أجمع القوم أمرهم وعجوز  
أرسل الله عند ذاك عذابا  
ورماها بحاصب ثم طين  
إذ أتاها برشدها وهداها  
قد نهيناك أن تقيم قراها  
كطاء بأجرع مرعاها  
أيها الشيخ خطبة تأباها  
خبيب الله سعيها ورجاها  
جعل الأرض سفلها أعلاها  
ذي حروف مسمم إذ رماها

ويروى مسوم أي معلم.

4 - وقال في قصة مريم:

وفي دينكم من رب مريم آية  
تدل عليها بعدما نام أهلها  
فقال ألا لا تجزعي وتكذبي  
أنبيي وأعطي ما سئلت فإنني  
فقالته له أنى يكون ولم أكن  
فسبح ثم اغترها فالتقت به  
فقال لها إني من الله آية  
وأرسلت لم أرسل غويا ولم أكن

منبئة بالعبد عيسى بن مريم  
رسول فلم يحصر ولم يترمرم  
ملائكة من رب عاد وجرهم  
رسول من الرحمن يأتيك بابنم  
بغيا ولا حبلى ولا ذاب قيم  
غلاما سوى الخلق ليس بتوأم  
وعلمني والله خير معلم  
شقيا ولم أبعث بفحش ومأثم

5 - وقال في حادثة الفيل وأن الدين الحق هو حنيفية إبراهيم بعد ذكر شيء من آيات الله:

إن آيات ربنا باقيات  
خلق الليل والنهار فكل  
ثم يجلو النهار رب كريم  
حبس الفيل بالمغمس حتى  
لازما حلقة الجران كما قطر  
حوله من ملوك كندة أبطا  
خلفوه ثم اندعروا جميعا  
كل دين يوم القيامة عن

ما يمارى فيهن إلا الكفور  
مستبين حسابه مقذور  
بمهاة شعاعها منشور  
ظل يحبو كأنه معفور  
رمن صخر ككبكب محذور  
ل ملاويث في الحروب صقور  
كلهم عظم ساقه مكسور  
د الله إلا دين الحنيفة زور

6 - وقال في إرسال الله إلى فرعون موسى وهارون:

وأنت الذي من فضل من ورحمة  
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا  
وقولا له هل أنت سويت هذه  
وقولا له هل أنت رفعت هذه

بعثت إلى موسى رسولا مناديا  
إلى الله فرعون الذي كان طاغيا  
بلا وتد حتى اطمأنت كما هي  
بلا عمد؟ أرفق إذن بك بانيا

وقولاله هل أنت سويت وسطها  
منيراً إذا ماجنه الليل هاديا؟

وقولاله من يرسل الشمس غدوة  
فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا  
وقولاله من ينبت الحب في الثرى  
فيصبح منه البقل يهتز رابيا؟

وقد مضت برواية أخرى.

7 - وقال في قترعة الهدهد وأما مكان حملة أمه في قفاه:

غيم وظلماء وغيث سحابة  
أيام كفن واستراد الهدهد  
يبغي الفرار بأمه ليجنّها  
فبنى عليها في قفاه بمهد  
مهذا وطبا فاستقل بحمله  
في الطير يحملها ولا يتأود  
فتراه يدلج ماشيا بجنازة  
منها وما اختلف الجديد المسند  
إلى غير ذلك من قصصه وأساطيره.

8 - وقال في التوحيد:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا  
بالخير صبحنا ربى ومسانا  
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه  
مملوءة، طبق الآفاق سلطانا  
ألا نبي لنا منا فيخبرنا  
ما بعد غايتنا من رأس محيانا؟  
بيننا يربينا آباؤنا هلكوا  
وبينا نقتني الأولاد أفنانا  
وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا  
أن سوف يلحق أحرانا بأولانا

9 - وقال في خلق الكون وفناء الخلق وعاقبة الناس مجرمين ومتقين:

إله العالمين وكل أرض  
ورب الراسيات منى الجبال  
بناها وابنتي سبعا شدادا  
بلا عمد يرين ولا حبال  
وسواها وزينها بنور  
من الشمس المضيئة والهلال  
ومن شهب تلالاً في دجاها  
مراميتها أشد من النضال  
وشق الأرض فانجست عيوننا  
وأنهارا من العذب الزلال  
وبارك في نواحيها وزكي  
بها ما كان من حرث ومال  
فكل معمر لا بد يوماً  
وذي دنيا يصبر إلى زوال

ويبنى بعد جدته ويبنى  
وسبق المجرمون وهم عراة  
فنادوا ويلنا ويلا طويلا  
فليسوا ميئين فيستريحوا  
وحل المتقون بدار صدق  
لهم ما يشتهون وما تمنوا  
سوى الباقي المقدس ذي الجلال  
إلى ذات المقامع والنكال  
وعجوا في سلاسلها الطوال  
وكلهم بحر النار صالي  
وعيش ناعم تحت الظلال  
من الأفراح فيها والكمال

- 7 -

### بعض المنحول من شعره

هذا وقد نخل لأمية شعر كثير، وينفي الأصمعي عنه القصيدة المنسوبة إليه التي منها:

من لم يمت غبطة يمت هرما  
الموت كأس فالمرء ذائقها

وينسبها لرجل من الخوارج، ونقد قوله "الموت كأس".

وينسب هذه القصيدة لأمية: الزبير بن بكار عن شيوخه وعن الحسن البصري أيضاً.

- 8 - كلمة أخيرة: وبعد، فهذا هو تحليلنا لشعر أمية، ومنه يبدو أنه عبقرى في بابه، ونسيج وحده في أغراضه الدينية والكونية على الرغم مما فيها من ضعف في الأسلوب والتركيب لغرابة المعاني التي نظمها. أما أمية في شعره البعيد عن الدين فيكاد يكون قريباً من زهير، وشبيهاً بالخطيئة وسواه من الشعراء المجيدين.

- 9 - مجمهرة أمية وتحليلها: 1 - وهي قصيدة غير طويلة نظمها أمية في الفخر بقومه وأحسابهم. وتشبه في شاعريتها وموضوعها وروحها ووزنها وقافيتها وحيالها وكثير من معانيها وأساليبها قصيدة عمرو بن كلثوم أو معلقته:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا  
ولا تبقى خمور الأندرينا

2 - ومطلع الجمهرة:

عرفت الدار قد أقوت سنينا  
لزينب إذ تحل بها قطينا

3 - وبعد أبيات في الغزل وذكر الطلول يقول مفتخراً:

فإما تسألني عن لبيني  
وعن نسبي أخبرك اليقينا

وَأَجْدَادًا سَمَوْا فِي الْأَقْدَمِينَا	ثَقِي أَنِي النَّبِيَّهَ أَبَا وَأَمَا
فَأُورَ لَنَا مَأْتَرْنَا الْبِنِينَا	وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَن كَبْرِي نَزَارَ
أَقْمَنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَا	وَكَنَّا حَيْثَمَا عَلِمْتَ مَعَدَ
إِذَا عَدُوا سَعَايَةَ أَوْلِينَا	وَتَخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مَن مَعَدَ
وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا لَقِينَا	بِأَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ
وَإِنَّا الْمَقْبَلُونَ إِذَا دَعِينَا	وَإِنَّا الْمَانِعُونَ إِذْ أَرَدْنَا
أَكْفَا فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا	وَإِنَّا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدَ
وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَن يَلِينَا	نَشْرُدُ بِالْمَخَافَةِ مَن أَتَانَا

4 - والقصيدة خلو من الروح الديني وقد يكون نظمها في بدء حياته الشعرية وقبل أن يقف نفسه وحياته وشعره على شؤون الدين وذلك يوضح لنا أسباب احتدائه لعمرو بن كلثوم، فالشاعر في أول حياته في الشعر كثيراً ما يقلد النابغين من الشعراء ويحتذيهم، وبين القصيدتين موازنة أدبية طويلة في كتابي موقف النقاد من الشعر الجاهلي.

وأصحاب الجمهرات هم عبيد وعنترة وأمّية وعدي وبشر بن أبي خازم وخدّاش بن زهير والنمر بن توبل.

بعض ما أخذ عليه: 1 - أخذ عليه قوله:

حمرأ مطلع لونها متورد	والشمس تطلع كل آخر ليلة
إلا معذبة وإلا تجلد	تأبى فلا تبدو لنا في رسلها

فما شأن الشمس تجلد.

2 - وأخذ عليه قوله:

سماء الإله فوق سبع سمائيا	له ما رأت عين البصير وفوقه
---------------------------	----------------------------

فقد خرج عن الاستعمال الفصيح لجمعه سماء على فعائل والقياس جمعها على فول ولأنه أقر الهمزة العارضة في الجمع، مع أن اللام معتلة، وهذا غير معروف، ألا ترى أنهم يقولون خطيئة وخطايا لا خطائي، ولأنه أجرى ياء "سمائي" مجرى الباء في ضوارب ففتحها في موضع الجر، والمعروف أن تقول هؤلاء جوار ومررت بجوار فتحذف الياء والنون، وهذه الأوجه ذكرها صاحب الخزانة.

دين أمية: لم يكن أمية وثنياً، وجعله البعض نصرانياً ومنهم المسعودي، وروى صاحب الإصابة أنه مات مسلماً ونسبوا إليه شعراً في مدح الرسول، والذي يراه أنه كان متحنفاً، ويقول:

### كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

مصادر ثقافته الدينية: 1 - حنيفة وما كانت تمده به من آراء في الحياة والإله والكون.

2 - كتب أهل الكتب الدينية التي اطلع عليها أمية كما يبدو ذلك بوضوح شعره، ومنها التوراة والإنجيل.

3 - الأساطير والقصص والذي كان ذاتعاً في العصر الجاهلي، وما تلقفه من أفواه الأبحار والكهان، وما سمه من أساطير فارسياً.

4 - آراؤه الخاصة في الدين والوجود.

5 - القرآن الكريم، وهو أهم مصادر ثقافته الدينية.

### آراء المستشرقين في أمية

وقد أعمى التعصب الديني بعض المستشرقين "أ" فذهب المستشرق الفرنسي كليمان هيوار "1854 - 1927" إلى أن شعر أمية كان من مصادر القرآن، وأن الرسول ألف القرآن متأثراً فيما تأثر به بثقافات أمية الدينية في شعره، وهو رأي باعته التعصب الممقوت.

"ب" وذهب المستشرق الألماني "شولتهيس" إلى أن الأمية منهجاً مستقلاً، ومن ثم أخذ يوازن بين القرآن وشعر أمية وذهب في خطأ جسيم إلى أن أمية كان أدق في كثير من الأحيان في النقل عن الكتب القديمة وأنه كان أعلم وأبعد مدى في الثقافة من محمد وأن المصدر الذي نقل عنه كل منهما واحد، وينكر رأي هيوار في أي شعر أمية كان من مصادر القرآن، ويرى أن القرآن كتاب محمد.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: أن القصائد والمقطوعات التي وصلت إلينا منسوبة إلى أمية، يمكن قسمتها بحسب موضوعها قسمين كبيرين، أصغرهما يتكون من قصائد وأبيات قيلت في مدح أشخاص وبخاصة في مدح رجل من أغنياء مكة هو عبد الله بن جدعان، وهي لا تختلف في جوهرها عن نظائرها عند غيره من شعراء العرب القدماء، أما القسم الأكبر الذي يبدأ بالقصيدة الثالثة والعشرين، فبدل دلالة كاملة على التزعة التي يمكن تسميتها بالحنيفية، وأساسها القول بإله واحد هو رب العباد، ونرى فيها صوراً شبيهة بالوحي عن مقام الله وملائكته، وحكايات عن الخلق وآراء تتعلق بيوم القيامة والجنة والنار، وفيها دعوة إلى عمل الخير، وإشارات إلى عبر أخذ بعضها من أخبار العرب من عاد وثمود، وبعضها من

قصص التوراة عن الطوفان وإبراهيم ولوط وفرعون. وابن أبي الصلت مولع إلى جانب هذا بقصص الحكايات على ألسنة الحيوان. ونلاحظ في شعره أيضاً ذكراً للأعمال السحرية.. ومن قصته عن إبراهيم:

**احتساباً وحامل الأجزاء**

**ولإبراهيم الموفى بالندى**

**أو يراه في معشر أقتال**

**يكره لم يكن ليصبر عنه**

ومن يقرأ هذه القصة وما شابهها في القرآن الكريم يعلم صحة ما نقول من أن أمية في هذا الباب متكلف متصنع، محاك لم يحكم المحاكاة، بل إنه نظام وليس بشاعر، وهذا لا يخليه من بعض أبيات كان له فيها بعض الإجادة في هذا الباب.

وقال ابن سلام فيه: وكان أمية كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء. وقال أبو عبيدة: "اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت". وقال الكميت: "أمية أشعر الناس، كما قلنا ولم نقل كما قال". وقال الأصمعي: "ذهب أمية بعامة ذكر الآخرة وذهب عنتره بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب".

ونقول: تلك آراء العلماء في شعر أمية، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا يتزله هذه المترلة، فلعل كثيراً من شعره الجيد قد ذهب مع الزمان.

وقال أبو الفرج في أغانيه: "كان أمية بن أبي الصلت في نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبدًا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنفية وحرم الخمر، وشك في الأوثان، وكان محققًا. والتمس الدين، وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيًا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه فحسده عدو الله وقال إنما كنت أرجو أن أكونه فأنزل الله عز وجل "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها". وهو الذي يقول:

**ه إلا دين الحنيفة زور**

**كل دين يوم القيامة عند الل**

فأنت ترى من هذا أنه كان متألهًا يعبد الله على دين إبراهيم، ويتوقع أن يكون هو صاحب الرسالة الذي بشرت به الكتب التي عكف عليها بالدرس. فلما لم يكن ما خط في سجل القدر موافقًا لما وقر في نفسه، غلب جهله على حلمه، وسيطر حسده على فكره، فلم يؤمن بالنبي عليه السلام، ولم ينهل من حياض شريعته. قال ابن عتبية في طبقات الشعراء: "وكان أمية يخبر أن نبيًا يخرج قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن

يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به جسداً". ولما بلغه خبر وقعة بدر والذين قتلوا بها من ذوي قرابته قال قصيدته التي يرثي فيها من قتل من قريش ويجرضهم على أخذ الثأر:

ألا بكيت على الكرا  
م بني الكرام أولى الممادح  
كبك الحمام على فرو  
ع الأيك في الغصن الجوانح

ثم أخذ يفيض في وصف قتلى بدر حتى لم يدع مكرمة إلا ألقىها بهم إلى أن قال:

خذلتهم فئة وهم  
يحمون عورات الفضائح  
الضاربين التقدمة  
بالمهندة الصفائح

قال ابن هشام بعد رواية هذه القصيدة: "تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب الرسول". وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: "والأخبار مختلفة في موقفه بالنسبة للنبي وللإسلام، ولعل الأرجح أنه لم يلق النبي وأبي أن يصدق بدعوته، يؤيد هذا ما يتجلى في قصيدته المذكورة من عطف على قريش.. وأياً ما كان من شأن هذه الروايات فقد اتفقت جميعاً على أنه مات كافراً ولم يؤمن بالنبي عليه السلام، روى صاحب الأغاني بسنده قال: "لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا  
بالخير صبحنا ربى ومسانا  
رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه  
مملوءة بطبق الآفاق سلطانا  
ألاني لنا منا فيخبرنا  
ما بعد غايبتنا من رأس مجرانا

إلى أن قال:

يا رب لا تجعلني كافر أبدا  
واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا  
واخلط به بنيتي واخلط به بشري  
واللحم والدم ما عمرت إنسانا

فقال صلى الله عليه وسلم "آمن شعره وكفر قلبه". ولولا ما نعرف من غلبة الكذب على كثير من الشعراء لقلنا إن هذه الأبيات منحولة على أمية كما نحل الكثير غيرها ولكننا قد تعودنا من الشعراء غير ذلك، فلا بعد في أن تكون من شعره. ولقائل أن يقول إن هذه القصيدة قيلت قبل مبعث النبي عليه السلام، وقد اتفق الرواة كما قدمنا على أنه كان موحداً حنيفياً، فلم نشك في نسبتها إليه؟.

## الشنفري الأزدي

من شعراء العرب وفتاكهم، ومن أشهر العدائين فيهم هو والسليك وعمرو بن براق وتأبط شراً. ويروي أنه حلف مرة ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي أمسكه أسير بن جابر أحد العدائين المشهورين، رصده حتى نزل في مضيق ليشرّب الماء فوقف له فأمسكه ليلا ثم قتله، فمر رجل منهم بمجمته فضر بها برجله، فدخلت شظية من الجمجمة في عينيه فمات منها، فتمت القتلى مئة. ومن أحسن شعره قصيدته "لامية العرب":

أقيموا بني أمي صدور مطيعكم      فإني إلى قوم سواكم لأميل

وعليها شروح كثيرة، وقد طبعها العلامة سلوستر دي ساسي في كتابه "الأنيس المفيد" ترجمت للفرنسية بقلم العلامة فرستال، كما ترجمت إلى اللغة النمساوية مراراً. نماذج من شعر الشنفري: - 1 -

أقيموا بن أمي صدور مطيعكم      فإني إلى قوم سواكم لأميل  
فقد حمت الحاجات والليل مقمر      وشد لطيات مطايا وأرحل  
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى      وفيها لمن خاف القلى متعزل  
ولي دونكم أهلون: سيد عملس      وأرقط ذهلول وعرفاء حيأل  
هم الأهل لا مستودع السر ذائع      لديهم ولا الجاني بما جر يخذل  
وكل أبي باسل غير أنني      إذا عارضت أولى الطرائد أبسل  
وإن مدة الأيدي إلى الزاد لم أكن      بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل  
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل      عليهم وكان الأفضل المتفضل  
وأنى كفاني فقد من ليس جازيا      بحسنى ولا في قربه متعل  
ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع      وأبيض إصليت وصفراء عيطل  
هتوف من الملمس المتون يزينها      رصائع قد نيظت إليها ومحمل  
إذا زل عنها السهم حنت كأنها      مرزأة عجلي ترن وتعول

ويصف الشنفرى الذئاب الجائعة في لاميته فيقول:

وأعدو على القوت الزهيد كما غدا  
غدا طاويا يعارض الريح هافيا  
فلما لواه القوت من حبت أمه  
مهللة شيب الوجوه كأنها  
أو الخشرم المبعوب حثث دبره  
مهترته فوه كأن شدوقها  
فضج وضجت بالبراج كأنها  
وأغضى وأغضت وأقسى وأقسى به  
شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت

أزل تهاده النوائف أطحل  
نجوت بأذئاب الشعاب وبعسل  
دعا فأجابته نظائر نحل  
قداح بكفي ياسر تتقلقل  
محاييض أرادهن سام معسل  
شقوق العصى كالحالات وبسل  
وايها نوح فوق علياء تكل  
مراميل عزاها وعزته مرمل  
وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

## لقيط بن يعمر

هو شاعر جاهلي قديم مقل، ذكر ابن الشجري أنه كان كاتباً في ديوان كسرى، ولم يكن بيد الناس من شعره في زمن صاحب الأغاني إلا قصيدة كتب بها إلى قومه يجذرهم ما اعتزمه كسرى من غزوهم وقتالهم، وقطع أخرى لطاف متفرقة، فإذا صحب رواية ابن الشجري - وفي ما قاله أبو الفرج ما يقويها وإن لم يصرح وكان لقيط قد خدم الأكاسرة وكتب لهم - فهو أقدم من بلغنا خبره ممن أتقن الفارسية من العرب وأجدرهم بأن يتأثر بها شعره.

وليس من المستطاع اليوم وقد ضاع شعر لقيط تعيين ما كان لعلمه بالفارسية واتصاله بخدمة الملوك من أثر فيه، ولكن القصيدة التي بقيت له وانتهت إلينا تتميز من شعر ذلك العهد بأنها نسق واحد لا خلة فيه ولا وثبة، وأنها لا تبدأ معنى حتى تتمه وتستوفيه، ولا تنتقل عنه إلى آخر حتى يكون هو الذي أدى إليه واقتضاه. ولعل خير ما يدل على مذهب الشاعر ويكشف عن طريقته إثبات أبيات منها تجمع إلى وضوح الدلالة كثيراً من الفائدة.

قال لقيط يجذر قومه عاقبة أمرهم إذا قهرهم الفرس، ويذكرهم بما يحل بهم إذا دارت عليهم الدائرة وغلبهم الأجنبي على سلطانهم، ويوصيهم باجتماع الكلمة والتشمير للحرب وتقليد زمامهم من توفرت فيه خلالها وتمت له أداؤها:

هيهات لا مال من زرع ولا إيل  
يرجى لغابركم إن أنفسكم جدعا  
لا تلهكم إيل ليست لكم إبلا  
إن العدو بعظم منكم قرعا  
لا تنثمروا المال للأعداء إنهم  
إن يظفروا يحتووكم والتلاد معا  
يا قوم إن لكم من إرث أولكم  
إن ضاع آخره أو ذل واتضعا  
ماذا يرد عليكم عن أولكم  
مجداً قد أشفقت أن يفنى وينقطعاً  
فلا تغرنكم دنيا ولا طمع  
أن تتعشوا بزمام ذلك الطمعا

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا  
على نسائك كسرى وما جمعا  
يا قوم ببيضتكم لا تفجعن بها  
إني أخاف عليها الأزلم الجذعا  
هو العناء الذي تبقى مذلتة  
إن طار طائرکم يوماً وإن وقعا  
هو القتاد الذي يجتث أصلکم  
فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم  
وقلدوا أمركم الله دركم  
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده  
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه  
مسهد النوم تعنيه أموركم  
ما انفك يحلب در الدهر أشطره  
وليس بشغله مال يثمره  
قد استمر على شرر مريرنه  
ثم افزعوا، قد ينال الأمن من فزعا  
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
ولا إذا عض مكروه به خشعا  
هم تكاد حشاه تحطم الضلعا  
تروم منها إلى الأعداء مطلعا  
يكون متبعا طورا ومتبعا  
عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا  
مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا

### أبو دؤاد الأبيادي

شاعر قديم كان على خيل المنذر بن النعمان من ملوك الحيرة، أكثر من وصف الخيل في شعره، وأجاد وبرع حتى قال أبو عبيدة أنه أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وقال ابن الأعرابي: لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد وقدمه: الخطيئة وأبو الأسود الدؤلي على جميع الشعراء ومع ذلك كانت الرواة - على ما قال الأصمعي - لا تروي شعره ولا شعر عدي بن زيد، لمخالفتهما مذهب الشعراء.

### عدي بن زيد 480 - 587 م

#### بيت عدي

هو عدي بن زيد بن حماد، ينتهي نسبه إلى مضر، وكان من بيت مشهور بالكتابة والأدب. هاجر أجداده من اليمامة إلى الحيرة، ونزلوا على أبناء خوولتهم فيها، ثم استقروا بها واتصلوا بملوك الحيرة ونالوا جوائزهم.

وتعلم جده حماد الكتابة ونبغ فيها وكان أول من تعلمها من أسرته، وصار كاتب النعمان الأكبر. ونشأ والده زيد في رعاية أمه الطائية وأبيه حماد ولما توفي حماد كفله صديق له من كبار تجار الفرس وقوادهم.. فتعلم زيد العربية، وأجاد الكتابة وحذق الفارسية وتولى وظيفة في دولة كسرى حيث كان

يحمله على البريد في حوائجه وصار من المقربين في دولته كما كان أثيراً لدى المنذر بن ماء السماء الذي ولي عرش الحيرة بعد موت النعمان "505-554 م".

### مولده ونشأته

وولد عدي ونشأ في هذا المجد والجاه وفي ظلال والده ونفوذ، وتعلم العربية والكتابة بها في الكتاب بالحيرة كما تعلم الفارسية والكتابة بها في ديوان كسرى حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ونظم الشعر وتعلم الفروسية ووصف لكسرى بأنه أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية مع الجمال الفائق والذكاء العجيب والبديهة الحاضرة، فأثبته كسرى في ديوانه وكان أول من كتب بالعربية فيه.

### بيئته

في هذه البيئة العامة، وفي الحيرة عاصمة إمارة المناذرة ولد ونشأ عدي. وكانت الحيرة إمارة عربية على حدود الجزيرة العربية ومملكة كسرى، وكان أمراؤها خاضعين للنفوذ الفارسي.

وكانت الحيرة كذلك ملتقى للثقافة الفارسية والعربية ومنتدى واسعاً للأدب والشعر، يظللها ألوان من الحضارة والتقاليد الفارسية وكانت النصرانية سائدة فيها كما كان أئمة الشعراء يقدون إليها لينعموا بجوائز المناذرة وصلاتهم السنوية وكان ممن قصد إليها النابغة والأعشى وعلقمة وحسان وسواهم. كما كان تنقل عدي بين البلاد الفارسية سبباً في تنوع ثقافته، وسعة معارفه، وتعدد مشاهدته، وكثرة تجاربه، وتباين البيئات التي عاش فيها.

### حياته

انتقل عدي من الحيرة إلى المدائن حيث كان يعمل كما ذكرنا في ديوان كسرى، يؤذن له عليه في الخاصة، وهو معجب به، قريب منه، كما أصبح له نفوذه عند أمراء الحيرة، فعلا له بذاك صيت عظيم، وذكر كريم.

وكانت إقامته الغالبة في المدائن عاصمة كسرى فإذا أراد المقام بالحيرة في منزله مع أهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وكثيراً ما كان يتزل البادية قريباً من الحيرة. وأرسله كسرى رسولاً له إلى إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية وأكرمه القيصر وطاف به

في أرجاء مملكته الواسعة، وكان من البلاد التي زارها في هذه الرحلة دمشق ويؤثر له فيها قصيدة قالها وكانت فيما يروى أول شعر نظمته. ومن هذه القصيدة:

رب دار بأسفل الجزع من دو  
ممة أشهى إلى من جيرون  
وندامى لا يفرحون بما نا  
لوا ولا يرهبون صرف المنون

وقدم عدي المدائن على كسرى بمديّة قيصر، وبلغه خبر موت والده أثناء رحلته فاستأذن كسرى في زيارة أهله بالحيرة فتلقاه ملكها في وجوه الناس يعزونه.

وتزوج عدي هنداً بنت النعمان بن المنذر، وكانت من أجمل نساء أهلها وزمانها، وكان لعدي فضل في تولي النعمان عرش الحيرة بعد المنذر، فعظمت منزلة عدي في دولة المناذرة، وخاصة أن النعمان ربي على يد أستاذه عدي، ثم وشى الوشاة به إلى النعمان فحبسه حتى مات في حبسه.

### شخصيته وأخلاقه

كان عدي من أجمل الناس، وأشدّهم ظرفاً، وأكثرهم أدباً، وكان واسع الحيلة كثير الدهاء والذكاء كبير المعرفة والتجربة والخبرة بالحياة والناس، وكان لطيف المعاشرة، قوي الألفة والوفاء لأصدقائه. وكان حسن الكلام رائع البيان، ساحر الحديث، بادي الفصاحة واللسن. أما ديانته فيقول مؤلف كتاب "شعراء النصرانية": إنه كان نصرانياً، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله. ويروى أن النعمان ملك الحيرة كان يعبد الأوثان، وأنه خرج يتتزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد فمرا على مقابرها فقال له عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا. قال: إنها تقول:

أيها الركب المخبون  
على الأرض المجدون  
فكما أنتم كنا  
وكما نحن تكونون

فدخلت قلب النعمان الرقة وحب التدين، فرجع وتنصر. ولست أجد مظهراً لنصرانية عدي في شعره، فليس فيه ما يوجد في شعر أمية بن أبي الصلت مثلاً من أساطير دينية وقصص الأنبياء، وما إلى ذلك، وأما الحكمة في شعره فلا تدل على نصرانيته، بل قد تدل على أنه كان متحنفاً. ويروى أنه كان له كتاب في تاريخ الروم، أخذ عنه المسعودي، وهذا بعيد.

### شاعريته

1 - كان لوراثات عدي العربية الأصيلة المطبوعة على البلاغة والبيان والشعر أثر في تنشئته الشعرية، كما كان لفطرته واستعداده الشخصي وثقافته وميله إلى التدين آثار في تنمية ملكاته وإرهاب مشاعره وذوقه وعاطفته ووجدانه، مما يساعد على تكوين ملكات الشعر ومواهبه.

وكانت بيئته الحيرة المتحضرة ومشاهدها، وكثرة رحلاته في البلاد، واتصاله بالملوك وخبرته الواسعة، وذكاؤه العجيب، باعثاً على تقوية خياله وكثرة معانيه، وسهولة أساليبه في الشعر.

ولقد سمع عدي وهو صغير الشعراء في الحيرة، ينشدون ملوكها الشعر الجيد، والمدائح العالية والقصائد الحيرة كالنابغة، وحسان، وعلقمة، والأعشى، والمتلمس، وطرفة، وسواهم. فغذى ذلك الجو الأدبي شاعريته وأيقظ فطرته الأدبية، ونشأه على الشعر ونظمه.

وكانت المنافسات الأدبية، ورغبته الحاضرة في الفوق على أقرانه وفي استدامة نفوذه وجاهه الذين كانا له، مما يدفعه إلى قوله الشعر والإجادة فيه، إلى غير ذلك من بواعث شاعريته وأسبابها.

2 - ويمتاز شعر عدي بكثرة المعاني وتنوعها ودقتها مع الوضوح والصدق، ولعل هذه الكثرة راجعة إلى أثر حياته وبيئته وثقافته في شعره.. والحكمة والتجربة الصادقة تشيعان في معانيه.

وخياله خيال غذي بالحضارة، فقلت صور البادية وأثرها فيه وفي شعره وتكثر فيه الصور العقلية وتقل الصور المادية في شعره، ومن ثم اتكأ خياله على العقل والفطنة لا على المحسّات والمشاهدات المادية، وهو مقتصد في تشبيهاته ومجازاته.

ويمتاز أسلوبه بشيوع الرقة والسهولة، وعدم ظهور الجزالة ووضوحها فيه، ويرجع ذلك إلى بيئته الحضرية التي عاش فيها وهي بيئة الحيرة، وإلى كثرة إقامته بالمدائن، ورحلاته إلى بلاد الشام وسواها، مما أشاع في شعره السهولة، ولذلك كثر الغناء به، وقد كانت هذه السهولة مدعاة إلى اللين، مما عابه النقاد عليه، حتى قال ابن سلام فيه:

"وعدي كان يسكن الحيرة ويراکز الريف، فلان لسانه، وسهل منطقته فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد، واضطرب فيه خلف، وخلط فيه المفضل فأكثر". وقال ابن قتيبة: "كان عدي يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف، فثقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثير جداً، وعلمناؤنا لا يرون شعره حجة".

وقد عدد صاحب الأغاني بعض الألحان التي صنعت في شعره. ونحن لا نوافق النقاد على مؤاخذه عدي بهذه الرقة، وبتلك السهولة، مادام الشعر غير متكلف ولا مصنوع. ولقد انقضى عصر البداوة في الأسلوب، وأصبحنا الآن نعيش في حياة جديدة لا تخالف حياة أجدادنا الأولين، وهذه الحياة وتلك الحضارة لا ترى في السهولة ما يستحق النقد والعيب.

## التاريخ الأدبي لعدي

سجل أبو الفرج صاحب الأغاني حياة عدي وشعره في الجزء الثاني من كتابه، كما جمع الكثير من أخباره وشعره مؤلف كتاب "شعراء النصرانية" في القسم الرابع من الكتاب. وذكره ابن سلام في طبقات الشعراء، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، والمزباني في الموشح. وأخرج بعض المعاصرين بحثاً عن عنوانه "زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد".

وقد جمع أبو سعيد السكري وجماعة أخرى شعر عدي في القرن الثالث الهجري - كما ذكر ابن النديم - في الفهرست - وذلك رواية عن هشام الكلبي وابن الأعرابي والضبي وسواهم.

### ألوان من حياة عدي بن زيد وشعره

كان نصرانياً وكذلك أبوه وأمه وأهله، وكان أبوه ممن حذق الفارسية وأحادها وتوصل إلى كسرى، فجعله على البريد ولم يكونوا يفعلون ذلك إلا بأولاد المرازية، ولما ولد له عدي وتحرك وأيفع طرحه في الكتاب حتى حذق العربية. ثم أسلمه أبوه إلى صديق له من مرازبة الفرس فجعله مع ابنه في كتاب الفارسية فاختلف إليه زمناً، حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب ولعب لعب العجم على الخيل بالصواجلة وغيرها، ووفد المرازبان على كسرى فذكره له وقال إن عندي غلاماً من العرب وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج إلى مثله فرغب فيه وجعله في كتاب الديوان وأوفده إلى قيصر فأكرمه وحمله إلى عماله على البريد ليريه بسطة سلطانه وعظيم شأنه وأقام عدي بالمدائن يؤذن له على كسرى في الخاصة وهو معجب به قريب منه فإذا أراد المقام بالحيرة في منزله ومع أهله استأذنه فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل. وقد أثر كل هذا في شعر عدي فلان لسانه وسهل منطقه كما قال ابن سلام، وذهب مذهبا خالف فيه الشعراء كما قال الأصمعي، وكان لمكان الدين منه يتلطف في دعوة النعمان إلى النصرانية حتى نقله من الوثنية إليها، ويتوسل لذلك بالشعر فيضع من الأبيات ما يجعله حديثاً عن المقابر أو غيرها، فإذا خرج للترهة أو الصيد ومرا بما قال أتدري ما تقول هذه المقابر قال لا قال فإنها تقول:

من رأنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صم الجبال

رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليها قدم وحياد الخيل تردى في الجلال

عمر وادهر ابعيش حسن آمني دهرهم غير عجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم  
وكذلك الدهر يودي بالفتى  
وكذلك الدهر يودي بالرجال  
في طلاب العيش حالا بعد حال

وقد ظلت هذه المعاني وأشباهها مما يتصل بالدين تعتلج في صدره وتمجس في نفسه وتصطبغ بها حواطره  
حتى نفثها في غرر شعره وعيون قصائده التي كتب بها من حسنه إلى النعمان:

لم أر مثل الفتیان في غ  
ينسون إخوانهم ومصرعهم  
بين الأيام ينسون ما عواقبها  
وكيف تعناقهم مخالبيها  
ماذا ترجى النفوس من طلب ال  
خير وحب الحياة كاريها  
تظن أن ليس يصيبها عنت الد  
هر، وريب المنون صائبها

ويقول عدي:

ليس شيء على المنون بباق  
فبرئ صدري من الظلم للرب  
غير وجه المسيح الخلاق  
وحنث بمعقد الميثاق

وشاهد ذلك حاضر في مصارع من غير من الأمم وسلف من الملوك:

أيها الشامت المعير بالد  
أم لديك العهد الوثيق من الأ  
هر: أنت المبرأ الموفور  
يام، بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من  
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر  
ذأ عليه من أن يضام خفير  
وان أم أين قبله سابور  
الروم لم يبق منهم مذکور  
لثة تجبى إليه والخابور  
فللطير في ذراه وكور  
ملك عنه فبابه مهجور  
بل يوما وللهدى تفكير  
لك والبحر معرضا والسدير  
طة حي إلى الممات يصير  
شاده مرمرًا وجلله كلسا  
وأخو الحضرة إذ بناء وإذ دج  
لم يهبه ريب المنون فباد ال  
وتذكر رب الخورنق إذا أق  
سره ماله وكثرة ما يم  
فارعى قلبه فقال: وما غب

## شعراء النسب في العصر الجاهلي

وهم كثيرون ومنهم: المرقش الأكبر 552 م، وعبد الله بن العجلان 566 م، ومالك، وعنترة، ومسعود بن خراشة التميمي وقد أدرك الإسلام، ومنظور بن زبان الفزاري. ولهم شعر رائع وقصائد كثيرة قصروها على الغزل وحده كما في قصيدة المرقش الأكبر: سرى ليلا خيال سليمي.

وقد يبدو أن نسب فن إسلامي بدأه عمر بن أبي ربيعة وجميل وكثير وطبقتهم، والحقيقة أن هؤلاء كانوا يحتذون مثلاً لمن تقدمهم، وما أظن أحداً بلغ من صفة النساء ما بلغ النابغة حين سأله النعمان أن يصف امرأته المتجردة، أو ما بلغ المنخل اليشكري والمرار العدوي وسويد بن أبي كاهل وشعر المرقشين الأكبر والأصغر وعبد الله بن العجلان النهدي وقيس بن الحداية، ممن صدقوا الحب ونسبوا في لفظ عفيف ومعنى نزيه مشهور معروف.. قال المرقش الأكبر:

سرى ليلا خيال من سليمي	فأرقني أصحاب هجود
فبت أدير أمري كل حال	وأرقب أهلها وهم بعيد
على أن قد سما طرفي لنار	يشب لها بذى الأرطي وقود
حواليها مهاجم التراقي	وآرام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس العيش	أوانس لا تروح ولا ترود
يرحن معاً بطاء المشي بدا	عليهن المحاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى	وقطعت الموائق والعهود
فما بالي أفي ويخان عهدي	وما بالي أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر	منعمة لها فرع وجيد
وذو أشر شتيت النبت عذب	نقي اللون براق برود
لهوت بها زماناً من شبابي	وزارتها النجائب والقصيد
أناس كلما أخلقت وصلا	عناني منهم وصل جديد

وقال:

حسان الوجوه لينات السوالف  
له زبد يعيان به كل واصف  
يعوجن من أعناقها بالمواقف  
خفيضا فلا يلغى به كل طائف

نواعم أبكار سرائر بدن  
يهدلن في الآذان كل مذهب  
قصرن شقيا لا يباليين غيه  
نشرن حديثاً أنساً فوضعتة

ولعبد الله بن العجلان:

فقلبي مذ شطت بها الدار مدنف  
بأنعم في أهل الديار تطوف  
دبيب القطا أو هن منهن أقطف  
سراة الضحى مني على الحي موقف  
منيت بذوي صول يغار ويعتف

ألا أبلغا هند أسلامي فإن نأت  
ولم أر هندا بعد موقف ساعة  
أنت بين أتراب تمايس إذ مشت  
أشارت إلينا في خفاء وراعها  
وقالت تباعد يا ابن عمي فإنني

وقال:

ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا  
أغيا يلاقى في التعجل أم رشدا  
وإن لم تكن هند لوجهي كما قصدا  
ولكننا جرننا لنلقاكم عمدا

خليلي زورا قبل شحط النوى هندا  
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة  
ومرا عليها بارك الله فيكما  
وقولا لها ليس الضلال أجارنا

وقال قيش بن الحدادية من قصيدة طويلة:

قد اقتربت لو أن ذلك نافع  
نوالا ولكن كل من صن مانع  
فما نولت والله راء وسامع  
لما استرعيت والظن بالغيب واسع  
وشحط النوى إلا لذي العهد قاطع  
ويسترجع الحي السحاب اللوامع

أجدك أن نعم نأت أنت جازع  
قد اقتربت لو أن في قرب دارها  
وقد جاورتنا في شهور كثيرة  
وظني بها حفظ لغيبى ورعية  
فقالته لقاء بعد حول وحجة  
وقد يلتقي بعد الشتاء أولو النوى

ومنها:

حذار وقوع البين والبين واقع

كأن فؤادي بين شقين من عصا

يحث بهم حاد سريع نجاؤه

ومعرى عن الساقين واللوب واسع

فقلت لها يا نعم حلى محلنا

فإن الهوى يا نعم والعيش جامع

فقلت وعيناها تفيضان عبرة

بأهلي بين لي متى أنت راجع

فقلت لها تالله يدري مسافر

إذا أضمرت الأرض ما الله صانع

فشدت على فيها اللثام وأعرضت

وأمعن بالكحل السحيق المدامع

وإني لعهد الود راع وإنني

بوصلك مالم يطوني الموت طامع

فنصيب هذا العصر من النسيب كما رأيت أوفر وأجود مما توهم الأدباء، وهو أصل ينتمي إليه بارع النسيب الإسلامي من قريب.

## لبيد بن ربيعة

### حياته وشعره

لبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة، وهي قبيلة مضرية، وأمه من بني عبس. كان في الجاهلية شريفاً جواداً شجاعاً شاعراً وقد أدرك الإسلام وأسلم، وعمر طويلاً حتى مات في خلافة معاوية عام 41هـ. وأكثر شعره قاله قبل الإسلام، فلما أسلم لم يقل إلا قليلاً. وهو شاعر بدوي يصف في شعره حياة بدوية صحراوية ولاسيما في معلقته التي مطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها

بمن تأبد غولها فرجامها

ويظهر أنه قالها في شبابه وهي تمثل الشعر البدوي في متانته وقوته.

وفي شعره بعد ذلك - وهو الذي عمله في الكهولة والشيخوخة على ما يظهر - أثر الحكمة وقوة الشعور الديني كزهير، مثل قوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه

يحور رمادا بعدما هو ساطع

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان: فعامل

يتبر ما يبني، وآخر رافع

وقصيدته التي مطلعها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نفيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم

دويهيّة تصفر منها الأنامل

وقصيدته:

إن تقوى ربنا خير نفل

وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله ولا ند له

بيديه الخير ماشاء فعل

من هده سبل الخير اهتدى

ناعم البال ومن شاء أضل

وكان لبيد أحدث أصحاب المعلقات عصرا وآخرهم موتا.

وشعر لبيد مثال للفخامة والقوة والمتانة والبداءة فتراه فخم العبارة قوي اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة.

ولبيد من أحسن الجاهليين تصرفا في الرثاء وفخره قوي ينم عن شرفه وعزته ومجده وحسبه العريق. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطل". وقد نظم لبيد الشعر في جاهليته وجرى به على سنن الأشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يتكسب بشعره ولذلك ترى فيه ولاسيما معلقته قوة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيلة، ولم ينظم شعراً بعد أن أسلم.

هذا ويقدم لبيد بعض النقاد محتجين بأنه أفضلهم في الجاهلية والإسلام وأقلهم لغواً في شعره، وقالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيدا ما أشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر

لا ينفعون ولا يرجى خيرهم

ويعب قائلهم وإن لم يشغب

وكان لبيد جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام وقصص جودة كثيرة.

### ديوان لبيد

شرحه السكري والشيباني والأصمعي وابن السكيت والطوسي. ولم يصل إلينا من ذلك كله إلا نصف شرح الطوسي في مخطوطة طبعها في فيينا يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي سنة 1880 وفيها عشرون قصيدة هي الجزء الثاني من الديوان وقد صدرت بمقدمة عن الديوان والشاعر. وكذلك عن الديوان المستشرق هوبر الذي طبعه في ليدن سنة 1981 ووضع مقدمة له في حياة لبيد، وأخرجه بإشراف بروكلمان.

ولمعلقة لبيد شروح، وقد نشرها دي ساسي وقد ترجمها إلى الفرنسية أيضاً.

### مصادر حياة لبيد

ترجم له صاحب الأغاني في الجزء الرابع عشر، وابن قتيبة في الشعر والشعراء وذكره ابن سلام في طلبقات الشعراء والمرزباني في الموشح.

وترجم له صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي"، والزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وأصحاب الوسيط والمفصل وسواهم. وترجم له أيضاً في سلسلة الروائع.

### معلقة ليبيد

ليبيد بن ربيعة العامري من سادة العامريين القيسيين وأشرفهم وكان يقال لأبيه ربيعة المعترين وعمه ملاعب الأسنة عامر بن مالك أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية. كان ليبيد من شعراء الجاهلية وفرسانهم وقال الشعر في الجاهلية في كل غرض، وأجرك الإسلام وأسلم وهجر الشعر وأقام بالكوفة إلى أن مات عام 41هـ مائة وسبع وخمسين سنة. وسئل ليبيد من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل، ثم الشاب القتيل، ثم الشيخ أبو عقيل يعني نفسه. وهو من أصحاب المعلقات، وكان نظم ليبيد الجاهلية فجم العبارة منضد اللفظ قليل الحشو مزداناً، فالحكمة العالية ثعات، وهو أحسن الجاهليين تصرفاً في الرثاء، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين بلفظ رائق وألوب مؤثر، وقدمه بعض النقاد "لأنه أفضل الشعراء في الجاهلية والإسلام، وأقلهم لغواً في شعره".

ومعلقته ليبيد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها. أ – بدأها ليبيد بذكر الديار وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبت بها ويمحو معالمها. قال:

بمعنى تأبد غولها فرجامها

عفت الديار محلها فمقامها

زبر تجد متونها أقلامها

وجلا السيول عن الطول كأنها

صما خوالد ما يبين كلامها

فوقفت أسألها، وكيف سؤالنا

ثم يصف رحيل أحبابه عنها، حتى يقول:

وتقطعت أسبابها ورمامها

بل ما نذكر من "نوار" وقد نأت

أهل الحجاز، فابن منك مرامها

مرية، حلت بفيدي، وجاورت

وأخيراً، يرى لا أن يتسلى ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله، ولكن أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها مادامت نوار قد تغير وصلها:

ولشر واصل خلة صرامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله

ب - ثم يأخذ في وصف ناقته في لفظ غريب وتعبير بدوي متين، ويطيل في هذا الوصف ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الرؤوم المفجوعة إلى أن يقول:

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى  
أقضي اللبانة لا أفرط ريبة  
وألم تكن تدري نوار بأنني  
تراك أمكنة إذا لم أرضها  
واجتاب أرجية السراب كامها  
أو أن يلوم بحاجة لوامها  
وصال عقد حبائل جذامها  
أو يرتبط بعض النفوس حمامها

ج - ثم يتحدث عن نفسه وعزتها، ولذات الراح التي شارك فيها، وشجاعته وبطولته في مواقف التزال والنضال، وكرامه وسخائه، ونواله للجار الفقير والضيف النازل والجار الغريب وللبنائين والمساكين:

وجزور أيسار دعوت لحتفها  
فالضيف والجار الغريب كأنما  
تأوي إلى الأطناب كل رزية  
بمغالق متشابه أعلامها  
هبطا تبالة مخصبا أهضامها  
مثل البلية قالص أهدامها

د - ثم يفتخر بقومه ومآثرهم ورفهم ومجدهم فيقول:

من معشر سنت لهم آباؤهم  
فبنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه  
فاقنع بما قسم المليك فإنما  
وإذا الأمانة قسمت في معشر  
فهم السعاة إذا العشيرة أفضعت  
وهم ربيع للمجاور فيهم  
ولكل قوم سنة وإمامها  
فسما إليه كهلها وغلامها  
قسم الخلائق بيننا علامها  
أوفى بأعظم حظنا قسامها  
وهم فوارسها وهم حكامها  
والمرملات إذا تطاول عامها

## أعشى قيس 535 - 629م

### حياته

1 - صناجة العرب أعشى قيس المعروف بالأعشى الأكبر، وهو أبو بصير ميمون بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد من قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وقيس بن ثعلبة من أشهر القبائل شاعرية وأكثرهم شعراء، والأعشى هو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية

وفحولهم، وكانت العرب تتغنى بشعره وتسميه صناجة العرب.  
ولقب بالأعشى لضعف في بصره.

2 - والده قيس بن جندل يسمى قتيل الجوع، قال جهنم البكري:

**أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل**      **وخالك عبد من خماعة راضع**

روي أنه دخل غاراً يستظل به من لفح الحر فوقعت صخرة فسدت الغار فمات جوعاً.  
وأمه أخت المسيب بن علس الشاعر 580م من بني خماعة من بني ضبيعة وتزوج امرأة من بني عترة من هزان ثم طلقها.

3 - ولد الأعشى بقرية من قرى اليمامة يقال لها منفوحة ونشأ راوية لخاله المسيب وتلمذ عليه في الشعر وبدأ حياته شاباً فقيراً ماجناً يلعب القمار ويشرب الخمر، ثم سكن الحيرة وتردد على النصارى فيها يأتيهم ويشرب الخمر معهم، ثم جاب الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها يمدح ملوكها وأمراءها:

**قد جبت ما بين بانقيا إلى عدن**      **وطال في العجم تردادي وتسياري**

ويقول:

**وطوفت للمال آفاقه**      **عمان فحمص فأورشليم**

**أتيت النجاشي في داره**      **وأرض النبيط وأرض العجم**

وكان تطوافه سبباً في كثرة معارفه وسعة ثقافته.

اتصل بنصارى بجران وبأهل الحيرة وبشريح بن السموع اليهودي صاحب تيماء بخصه "الأبلق" وعده بعض الباحثين من النصارى، والظاهر أنه لم يؤمن بدين وأن مسحة العقيدة النصرانية التي قد تبدو على شعره إنما كان منشؤها كثرة تردده على الحيرة ومعاشرته لأهلها.

وكان يوافي سوق عكاظ وينشد فيه شعره فيحفظ عنه ويغني به ولذلك كانت العرب تضيفه وتهاديه ليمدحها ويطير ذكرها.

قيل إن عبد العزى الملقب الكلابي كان أبوه من أشرف العرب فمات، وقد أتلف ماله وبقي الملقب وثلاث أخوات له لم يترك لهم إلا ناقة واحدة وحلي برود جيدة فأقبل الأعشى في بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فترل الماء الذي به الملقب فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه فأقبلت عمه الملقب فقالت يا ابن أخي هذا الأعشى نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلا رفعهم ولم يهج قوماً إلا وضعهم، فاحتل في زق خمر من عند بعض التجار فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردى أبيك، فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البرد ليقولن فيك شعراً يرفعك به. قال: ما

أملك غير هذه الناقة وأنا أتوقع رسلها، فأخذت عمته تحضه، ثم دخل عليها وقال قد ارتحل الرجل. قالت الآن والله أحسن ما كان القرى تتبعه ذلك مع غلام أريك فحيثما أدركه أخبره عنك أنك كنت غائباً عند نزوله الماء وأنتك لما وردت فعلت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه، فإن هذا أحسن لموقعه عنده. فمأزالت به حتى فعل ذلك فخرج مولاه يتبع الأعشى، فكلما مر بماء قيل له: قد ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزله بمنفوحة، فوجد عنده جماعة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وسقاهم، ففرع الباب فقال لهم: انظروا من هذا. فدخلوا عليه وقالوا: رسول الملق الكلابي أتاك بكيت وكيت، ومازالوا به حتى أذن له، فدخل وأدى الرسالة فقال له: أقرئه السلام وقل: وصلتك رحم سيأتيك ثناؤها. وقام الفتيان فنحروا الجوز وأخذوا يشوون ويأكلون ويشربون من الخمر، فلما شبع الأعشى قال:

**أرقت وما هذا السهاد المؤرق**      **وما بي من سقم وما بي تعشق**

فسارت القصيدة وشاعت في العرب، فما أتى على الملق سنة حتى زوج إخوته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرف.

ويروى أن امرأة كسدت عليها بناهما فأنت الأعشى وسألته أن يشيب بواحدة فواحدة منهن وبعثت له هدايا فما زال يشيب بواحدة منهن واحدة حتى زوجن جميعا.

4 - وفد الأعشى على كسرى، وقصد النعمان بن المنذر وأنشده:

**إليك أبيت اللعن كان كلالها**      **تروح مع الليل الطويل وتغتدي**

ثم أنشده قصيدته:

**أزمت من آل ليلي ابتكارا**      **وشطت على ذي هوان تزارا**

ويقال: إن الأعشى أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد ورحل به إلى الملوك والأمراء وكان يغني بشعره، فكانت العرب تسميه صناجة العرب، وكان بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل مفاخرة، وكان الأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويهجو علقمة، ومما قال فيه:

**علقم ما أنت إلى عامر**      **الناقض الأوتار والواتر**

فلما بلغ ذلك علقمة نذر دمه وجعل له على كل طريق رسداً، فخرج الأعشى يوماً يريد وجهاً فأخطأ به الدليل فألقاه في ديار عامر، فأخذه رهط علقمة فأتوه به فقال:

**علقم قد صيرتني الأمور**      **إليك وما أنت لي منقص**

**فهب لي نفسي فدتك النفوس**      **ولا زلت تنمو ولا تنقص**

فهم علقمة بقتله، ثم دخل إلى أمه، فقال لها: قد أمكنني الله من هذا الأعمى الخبيث. قالت: فما تراك فاعلاً به؟ قال سأقتله شر قتله. فقالت: يا بني قد كنت أرجوك لقومك عامة وإني اليوم لأرجوك لنفسك خاصة وإنما الرأي أن تكسوه وتحمله وتسيره إلى بلاده، فإنه لا يحو عنك ماقاله إلا هو. ففعل ما أمرته به وأحسن صلته، فقال الأعشى:

للضيف والصابح والزائر

علقم يا خير بني عامر

والغافر العثرة للعائر

والضاحك السن على همه

ومدح شريح بن السموع والأسود بن الهنذر أخوا النعمان لأمه وكان من تيم الرباب وهي قبائل من الياس بن مضر وكان أخوه ولاء عليهم وقد كان عنده أسرى من بني سعد بن ضبيعة، فأتاه الأعشى ومدحه بقصيدته:

وسؤالي وما ترد سؤالي

ما بكاء الكبير بالأطلال

وسأله أن يطلقهم ففعل. وهذه القصيدة عند بعض العلماء معدودة من المعلقات وبعضهم يذكر أن معلقته هي قصيدته:

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

ودع هريرة إن الركب مرتحل

وبعضهم يجعل معلقته هي مدحته للرسول:

وبت كما بات السليم مسهدا

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا

وهي قصيدة رائعة.

ومدح قيس بن معد يكرب الكندي، وسواه.

وقال الأعشى بمدح السموع، ويستجير بآبائه شريح بن السموع من رجل كلي كان الأعشى هجاه ثم أغار على قوم كان الأعشى نازلاً فيهم، فأسرهم وهو لا يعرفه، ثم سار حتى نزل بشريح بن السموع فأحسن ضيافته، ومر بالأسرى فناداه الأعشى:

حبالك اليوم بعد القد أظفاري

سريح، لا تسلمني بعد ما علقت

وطال في العجم تكراري وتسياري

قد سرت ما بين بقاء إلى عدن

عقداً أبوك بعرف غير إنكار

فكان أكرمهم عهداً وأوتقهم

وفي الشدائد كالمستأسد الضاري

كالغيث ما استمطروه جاد وابله

كن كالسموعل إذ طاف الهمام به  
 إذ سامه خطتي خسف فقال له  
 فقال :غدر وتكل أنت بينهما  
 فشك غير طويل ثم قال له:  
 هذا له خلف إن كنت قاتله  
 وسوف يعقبنيه إن ظفرت به  
 فاختر أذراعه كي لا يسب به  
 في جحفل كسواد الليل جرار  
 قل ما تشاء فإني سامع حار  
 فاختر .وما فيهما حظ لمختر  
 اقتل أسيرك، إني مانع جاري  
 وإن قتلت كريما غير خوار  
 رب كريم وقوم أهل اطهار  
 ولم يكن وعده فيها بخنار

فجاء شريح الكلبي فقال: "هذا الأسير المنصور" فقال "هو لك" فأطلقه وقال له الأعشى "إن تمام إحسانك إلى أن تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة" فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: "ابعث إلي الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه" فقال: "قد مضى" فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه.  
 ولما وفد الأعشلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مدحه بقصيدته التي أولها:

ألم تغمض عينك ليلة أرمدا  
 وما ذاك من عشق النساء وإنما  
 وعاك ما عاد السليم المسهد  
 تناسيت قبل اليوم خلة مهددا  
 وفيها يقول لناقته:

فأليت لا أرثي لها من كلاله  
 نبي يرى ما لا ترون وذكره  
 ولا من حفا حتى تزور محمدا  
 أغار لعمرى في البلاد وأنجدا  
 متى ما تناخى عند باب ابن هاشم  
 تراحى وتلقى من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشاً قط، فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح أحداً قط إلا رفع قدره. فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم. قالوا: إنه ينهاك عن خلال ويجرمها عليك. قال: وما هي؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا. قال: لقد تركني الزنا وتركته، ثم ماذا؟ قالوا: القمار. قال لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار، ثم ماذا؟ قالوا: الربا. قال: ما دنت ولا أدنت، ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال أوه! أرجع إلى صباية قد بقيت في المهراس فأشربها. قال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هدنة، فتأخذ مائة من الإبل، وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت

خلفا، وإن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. قال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً وأتبعه ليضر من عليكم نيران العرب بشعره. فاجمعوا له مائة من الإبل. ففعلوا، فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.

### شعر الأعشى

1 - للأعشى ديوان شعر كبير طبع مراراً، وقد قدمه كثير من النقاد محتجين بكثرة طوالة الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وقيل إنه أمدحهم للملوك وأوصفهم للخمر وأغزروهم شعراً وأحسنهم قريضا. وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده: أدهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة، قاتله الله ما كان أعذب بجره وأصلب صخره فمن زعم أن أحداً من الشعراء أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر.

ومهما كان فهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على تقديمهم على من عداهم وهم: امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى، فهو من الطبقة الأولى عند كثير من النقاد ويروى أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب.

2 - ويمتاز شعره بمعارفه الواسعة، وقد أدخل فيه ألفاظاً فارسية لإقامته في الحيرة، ووصف سيل العرم والقصر الأبلق.

وأكثر الأعشى من وصف الخمر وما إليها من نديم وساقى وقينة وعود وأطال في ذلك حتى عد إمام الأخطل وأبي نواس.

3 - وعلى أي حال، فعلى شعره رونق الحسن وطلاوة الأسلوب والبراعة في وصف الخمر والإجادة مع الطول.

ولقوة طبعه وجلبة شعره سمي صناجة العرب حتى ليخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر ينشده معك. وجلالة شعر الأعشى وأثره بين العرب كان يرفع الوضيع الخامل وتضع الخامل الشريف. ومن شعره قصيدته التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعدها بعضهم من المعلقات، ومطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا	وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما	تناسيت قبل اليوم حلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن	إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
شباب وشيب وافتقار وثروة	فله هذا الدهر كيف ترددا
فأليت لا أرثي لها من كلاله	ولا من حفي حتى تلاقي محمدا

متى ما تتأخى عند باب ابن هاشم

نبي يرى مالا يرون وذكره

له صدقات ما تغب ونائل

ومن شعر الأعشى قصيدته اللامية المعروفة التي يقول منها:

صدت هريرة عنا ما تكلمنا

أئن رأيت رجلاً أعشى أضربه

قالت هريرة لما جئت زائرها:

إما ترينا حفاة، لا نعال لنا

وقد أقود الصبا يوماً، فيتبعني

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني

في فتية كسيوف الهند قد علموا

نازعتهم قضب الرياح متكئا

لا يستفيقون منها، وهي راهنة

يسعى بها ذو زجاجات له نطف

ومستجيب تخال الصنج يسمعه

والساحبات ذيول الربط آونة

من كل ذلك يوم قد لهوت به

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا

كناطع صخرة يوماً ليوهنها

تغرى بنا رهط مسعود وإخوته

لا أعرفنك إن جدت عداوتنا

نلحم أبناء ذي الجدين إن غضبوا

تراحى وتلقى من فواضله ندى

أغار لعمرى في البلاد وأنجدا

وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

جهلاً بأم خلود حبل من تصل؟

ريب المنون ودهر مفند خبل

ويلى عليك وويلى منك يا رجل

إنا كذلك ما نحفى ومنتعل

وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل

شاو مثل شلوب شلثل شول

أن هالك كل من يحفى وينتعل

وقهوة مزرة رواوقها خضل

إلا بهات وإن علوا وإن نهلوا

قلص أسفل السربال معتمل

إذا ترجع فيه القينة الفضل

والرافلات على أعجازها العجل

وفي التجارب طول اللهو والغزل

أبا ثبيت أما تتفك تأتكل

ولست ضائرها ما أطت لأبل

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

يوم اللقاء، فتردى، ثم تعزل

والتمس النصر منكم عوض تحتل

أرماحنا، ثم تلقاهم، وتعزل

لا تقعدون، وقد أكلتها حطبا  
تعوذ من شرها يوماً وتبتهل  
سائل بني أسد عنا، فقد علموا  
أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل  
واسأل قشيرا وعبد الله كلهم  
واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل  
إنا نقاتلهم حتى نقتلهم  
عند اللقاء، وإن جاروا وإن جهلوا  
قد كان في آل كهف إن هم احتربوا  
والجاشرية من يسعى وينتضل  
إني لعمر الذي خطت مناسمها  
لئن قتلت عميدا لم يكن صددا  
تخدى، وسيق إليه الباقر الغيل  
لئن قتلت بنا عن غب معركة  
لئن منيت بنا عن غب معركة  
لا تنتهون، ولن ينهى ذوي شطط  
كالطعن يذهب فيه الزيت والفنل  
لا تلفنا عن دماء القوم ننفتل  
لا تلفنا عن دماء القوم ننفتل  
كالطعن يذهب فيه الزيت والفنل

### السموأل بن عاديا

كان السموأل يهودياً مشهوراً بالوفاء وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق، كانت العرب تترل فيه فيضيفها، وبالسموأل يضرب المثل في الوفاء. يقال أوفى من السموأل، لأنه فضل قتل ابنه على التفريط في أمانة أودعها عنده امرؤ القيس لما سار إلى الشام يريد قيصر، وكانت الأمانة أدرعا وفي ذلك يقول السموأل:

وفيت بأدرع الكندي إني  
إذا ما خان أقوام وفيت  
وأوصى عاديا يوماً بأن لا  
تهدم يا سموأل ما بنيت  
بني لي عاديا حصنا حصينا  
وماء كلما شئت استقيت

ومن أشعاره المعروفة قصيدة يمدح بها قومه، أوردها أبو تمام في كتاب الحماسة، مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه  
فكل رداء يرتديه جميل  
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها  
فليس إلى حسن الثناء سبيل

وكان للسموأل أخ شاعر أيضاً وابن يدعى شريحا مدحه الأعشى في شعره.. وعلى ما يقول المحققون: إن السموأل عاش في أواخر الجيل السادس ومات في أوائل الجيل السابع وكان معاصراً للأعشى، ويقال إنه توفي سنة 560م.

## حاتم الطائي

1 - اشتهر بالجود والكرم حتى جرى ذكره مجرى الأمثال فيقال "أجود من حاتم الطي" وقد وصل إلينا من شعره قليل جاء في ديوان الحماسة وكتاب الأغاني وغيرهما من كتب الأدب، وله ديوان معروف باسمه وتوفي حاتم سنة 605م، وقبره بعوارض، وهو جبل لبني طي، ويحكى عن جوده الحكايات الكثيرة، ومن غريبها أن نفرًا من بني أسد مروا بقبر حاتم فقالوا: نزلنا بجاتم فلم يقرنا، وجعلوا ينادون: يا حاتم ألا تقرأ أضيافك؟ ثم ناموا جميعاً وكان رئيس القوم رجلاً يقال له أبو الخبيري فنام أيضاً، حتى إذا كان السحر وثب وجعل يصيح: وا رحلتاه. فقال له أصحابه: مالك! قال: خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي. قالوا: كذبت. فنظروا إلى راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث. قالوا والله قراك. فظلوا يأكلون من لحمها ثم أردفوه فانطلقوا فساروا، وإذا راكب يلحقهم فنظروا فإذا هو عدي بن حاتم راكباً قارناً جملاً أسود فلحقهم وقال أيكم أبو الخبيري فدلوه عليه فقال جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك له وأنه قرى راحلتك لأصحابك وقد قال في ذلك أبياتاً ورددها حتى حفظتها وهي:

حسود العشيرة شتامها

أبا الخبيري وأنت امرؤ

بداوية صخب هامها

فما ذا أردت إلى رمة

وحولك غوث وانعامها

تبغي أذاها وإعسارها

كرم بالسيف نعامها

وإنا لنطعم أضيافنا من ال

وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه فأخذوه وركبه وذهبوا.

ولم يبلغ أحد في الجود ما بلغ حاتم، وهو من بني الحشرج من طي وأحد شعراء الجاهلية.. ويكنى أبا عدي وأبا سفانة.. وأدرك ابنه الإسلام وأسلم.

قال عدي قلت يا رسول الله: إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا، قال: إن أباك أراد أمراً فأدركه يعني الذكر. وكانت سفانة بنته أتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت، يا محمد هلك الولد، وغاب الرافد فإن رأيت أن تتخلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي سيد قومه، وكان يفك العاني ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده، أنا ابنة حاتم طي.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق.

قال ابن الأعرابي كان حاتم من شعراء الجاهلية، وكان جواداً يشبه جوده شعره، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفراً إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا ضرب بالقداح فاز،

وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق. وكان إذا أهل رجب نحر في كل يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه، وكان أول ما ظهر من جوده أن أباه خلفه في إبله وهو غلام، فمر به جماعة من الشعراء، فيهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابعة الذبياني، يريدون النعمان بن المنذر، فقالوا هل من قرى؟ ولم يعرفهم. فقال أتسالوني القرى وقد رأيتم الإبل والغنم، انزلوا فتلوا فحمر لكل واحد منهم، وسألهم عن أسمائهم، فأخبروه ففرق فيهم الإبل والغنم، وجاء أبوه فقال: ما فعلت؟ قال طوقتك مجد الدهر طقة الحمامة وعرفه القضية، فقال أبوه إذا لا أساكنك بعدها أبدا ولا آويك. فقال حاتم: إذا لا أبالي.

ومن حديثه، أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض عترة ناداه أسير لهم: يا أبا سفانة أكلني الاسار والقمل. فقال: ويحك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء، وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي ومالك مترك، ثم ساوم به العتريين واشتراه منهم فخلاه وأقام مكانه في قيده حتى أتى بفدائه فأداه إليهم. وحدثت ماوية امرأة حاتم أن الناس أصابتهم سنة فأذهبت الحف والظلف فبتنا ذات ليلة بأشد الجوع فأخذ حاتم عديا وأخذت سفانة فعللناهما حتى ناما، ثم أخذ يعللني بالحديث لأنام، فرققت لما بعد من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أنني نائم، فقال لي أمت مرارا فلم أحبه، فسكت ونظر من وراء الخباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه، فإذا امرأة تقول: يا أبا سفانة قد أتيتك من عند صبية جياع. فقال أحضريني صبيانك فوالله فأشبعنهم. قالت: فقمتم سريعا فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل، فقام إلى فرسه فذبحه ثم أجاج ناراً وقال اشتوى وكلي وأطعمي ولدك. وقال لي أيقظي صبيتك فأيقظتهم، ثم قال والله إن هذا للوم أن تأكلوا وأهل الصرم حالهم كحالكم فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ويقول: عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتقنع بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئا.

- 2 - ولحاتم الطائي شعر كثير وهو من البلاغة بمكان، والمذكور في ديوانه بعض منه ومن شعره يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله:

ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد	أيا ابنة عبد الله وابنة مالك
أكيلا فإنني لست أكله وحدي	إذا ما صنعت الزاد فالتمس له
أخاف مذ مات الأحاديث من بعدي	أخا طارقا أو جار بيت فإنني
وما في إلا تلك من شيمة العبد	وإني لعبد الضيف مادام ثاويا

عني بذي البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة. وكان من حديث البردين حين لقب به أن الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس، وماء السماء قبيل أمه، نسب إليها لشرفها، وقيل لقب بماء السماء لصفاء نسبها ويقال لنقاء لونها، ويراد أنهما كماء السماء لم يحتمل كدورة. وأخرج المنذر بردين يوماً يملو الوفود، وقال ليقيم أعز العرب قبيلة فليأخذهما، فقام عامر بن أحيمر فأخذهما واتتر بأحدهما وارتدى بالآخر. فقال له المنذر: أنت أعز العرب قبيلة؟ قال العز والعدد في معد، ثم في نزار ثم في مضر، ثم في خندف ثم في تميم، ثم في سعد ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بهدلة، فمن أنكر هذا فلينافري. فسكت الناس، فقال المنذر هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك؟ فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وخال عشرة، وعم عشرة، وأما أنا في نفسي فشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض فقال: من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل؟ فلم يقم إليه أحد من الحاضرين، ففاز بالبردين.

ومن شعر حاتم أيضاً قوله:

وعاذلة قامت علي تلومني  
 كأني إذا أعطيت مالي أضيئها  
 أعاذل أن الجود ليس بمهلكي  
 ولا مخلد النفس الشحيحة لومها  
 وتذكر أخلاق الفتى وعظامه  
 مغيبة في اللحد بال رميمها  
 ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه  
 يدعه ويغلبه على النفس خيمها  
 ومن ذلك قوله أيضاً:

أكف يدي عن أن ينال التماسها  
 أكف أصحابي حين حاجتنا معا

أبيت هضيم الكشح مضطر الحشا  
 من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا  
 وإني لأستحيي رفيقي أن يرى  
 مكان يدي من جانب الزاد أقرعا  
 وآنك مهما تعط بطنك سؤله  
 وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا  
 وقال أيضاً:

أما والذي لا يعلم السر غيره  
 ويحيي العظام البيض وهيم رميم  
 لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا  
 محافظة من أن يقال لنئيم  
 وإني لأستحيي يميني وبينها  
 وبين فمي داجي الظلام بهيم

وقال أيضاً:

ولما رأيت الناس هرت كلابهم  
وقلت لأصباء صغار ونسوة  
عليكم من الشطين كل ورية  
ضربت بسيفي ساق أفعى فخرت  
بشهباء من ليل الثمانين قرت  
إذا النار مست جانبيها أرمعلت

وقال أيضاً:

لا تشتري قدري إذا ما طبختها  
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي  
على إذا ما تطبخين حرام  
بجزل إذا أوقدت لا بضرام

وقال أيضاً:

وقائلة أهلك بالجوود مالنا  
فقلت دعيني إنما تلك عادتي  
وهو القاتل لعلامه يسار، وكان إذا اشتد البرد وكتب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في بقاع من الأرض،  
لينظر إليها من أضل الطريق ليلا فيصمد نحوه:  
ونفسك حتى ضربت نفسك جودها  
لكل كريم عادة يستعيدها

أوقد فإن الليل ليل قر  
عل يرى نارك من يمر  
والريح يا واقد ربح صر  
إن جلبت ضيفا فأنت حر

وقال أيضاً:

أماوي قد طال التجنب والهجر  
أماوي إن المال غاد ورائح  
أماوي إما مانع فمبين  
أماوي إني لا أقول لسائل  
أماوي لا يغني الثراء عن الفتى  
أماوي إن يصبح صداي بفقرة  
ترى إن ما أنفقت لم يك ضررتي  
إذا أنا دلاني الذين بلونني  
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم  
وقد عذرتنا في طلابكم العذر  
ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
وإما عطاء لا ينهنهه الزجر  
إذا جاء يوماً حل في مالي النذر  
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
من الأرض لا ماء لدي ولا خمر  
وأن يدي مما بخلت به صفر  
بمظلمة لج جوانبها غير  
يقولون قد أدمى أظافرنا الحفر

أماوي إن المال مال بذلته  
وقد يعلم الأقبام لو أن حاتما  
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي  
غنيا زمانا بالتقصد والغنى  
فما زادنا مأوى على ذي قرابة  
غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر  
فأوله شكر وآخره ذكر  
أراد ثراء المال كان له وفر  
شهودا وقد أودى باخوته الدهر  
وكل سفانا وهو كاسينا الدهر  
غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقر

وله قصيدة طويلة تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق، وهي مسطورة في الحماسة البصرية وغيرها.. وهي هذه:

وعاذلتين هبتا بعد هجعة  
تلومان لما غور النجم ضلة  
فقلت وقد طال العتاب عليهما  
ألا لا تلوماني على ما تقدما  
فإنكما لا ما مضى تدركانه  
فنفسك أكرمها فإنك إن تهن  
أهن للذي تهوى البلاد فإنه  
ولا تشقين فيه فيسد وارث  
يقسمه غنما ويشرى كرامة  
قليلاً به ما يحمدنك وارث  
تحلم عن الأذنين واستبق ودهم  
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر  
وأغفر عوراء الكريم ادخاره  
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً  
ولا زادني عنه منأى تباعدا  
وليل بهيم قد تسربلت هوله  
ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى  
تلومان متلافا مفيدا ملوما  
فتى لا يرى الإنفاق في الحمد مغرما  
وأوعدي تمانى أن تبينا وتصرما  
كفى بصروف الدهر للمرء محكما  
ولست على ما فاتني متندما  
عليك فلن تلقى مدى الدهر مكرما  
إذا مت كان المال نهبا مقسما  
به حين تغشى أغبر الجوف مظلما  
وقد صرت في خط من الأرض أعظما  
إذا نال مما كنت تجمع مغنما  
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما  
وذمي أود قومته فتقومما  
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما  
ولا أشتم ابن العم إن كان مفحما  
وإن كان ذا نقص من المال مصرما  
إذا الليل بالنكس الدنيء تجهما  
إذا هو لم يركب من الأمر معظمما

لحا الله صعلوكا مناه وهمه  
 من العيش أن يلقي لبوساً ومغتما  
 ينام الضحى حتى إذا نومه استوى  
 تنبه مثلوج الفؤاد مورما  
 مقيم مع المثرين ليس ببارح  
 إذا نال وجدي من الطعام ومجثما  
 والله صعلوك يساور همه  
 وتمضي على الأحداث والدهر مقدما  
 فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة  
 ولا شبعة إن نالها عد مغتما  
 إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت  
 تيمم كبراهن ثمت صمما  
 ويغشى إذا ما كان يوم كريهة  
 صدور العوالي فهو مختضب دما  
 يرى رمحه ونبله ومجنه  
 وذا شطب غضب الضريبة مخدما  
 وأحناء سرج قاتر ولجامه  
 عتاد فتى هيجا وطرفا مسموما  
 وذلك إن يهلك فحسنى تناؤه  
 وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

وعلى الجملة فشعر حاتم صورته لنفسه وأخلاقه وجوده، ولذلك قال ابن الأعرابي: جوده يشبه شعره. وهو غزير البحر، فياض بالأمثال والحكم والمعاني المتصلة بالجوهر واللوم عليه وما يتصل به من جمال الذكر وحسن الأحداث.

وقد ترى بعض التفاوت في شعره، وذلك إنما يرجع إلى كثرة المدسوس عليه، وجمع شعره في ديوان طبع بلندن وبيروت. وتوفي حاتم نحو سنة 45 ق.هـ.

3 - ويقول فيه الشريشي في شرح المقامات: أبو عدي فارس شاعر جاهلي أحد الأجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهر منهم، وهم كعب بن أمامة وهرم بن سنان وحاتم، وكان إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب وإذا قامر سبق وإذا أسر أطلق وإذا أثر أنفق ويقال إنه لا يعرف ميت قرى أضيافه إلا هو وذلك أن ركباً من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفذ زادهم وفيهم رجل يكنى أبا خيرى فجعل يقول: أبا سفانة أما تقرى أضيافك أبا سفانة إن أضيافك جياع، ويعيدها، فلما نام ثار من نومه وهو يقول: وا راحلتاه عقرت والله ناقتي، فقال له أصحاب: وكيف؟ قال رأيت أبا سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائماً ينشدني:

أبا خيرى لأنت امرؤ  
 ظلوم العشيرة لوامها  
 وماذا تريد إلى رمة  
 بداوية صخب هامها  
 أتبعي أذاهم وأسعارها  
 ودونك طي وأنعامها

ثم عمد إلى سيفي فانتضاه من غمده وعقر ناقتي وقال: دونكم فما أيقظني إلا رغاؤها، وإذا الناقة ترغو ما تبعث، فقالوا قد والله قراك حاتم. فنحروها وأكلوا وتزودوا واقتسموا متاع أبي خيبرى واستمروا لوجهتهم فلما صاروا في الظهرية وضح لهم راكب يجنب بعيرا يؤم سمتهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبرى؟ قالوا نعم، فقال فإن عدي بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول إن أبا خيبرى وأصحابه استقروني فقريتهم ناقته فعوضه منها وزده بكرًا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبو خيبرى الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بأتم قرى.. وأدرك عدي ابنه النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه، وكان يحدث أصحابه بهذا الحديث بعد إسلامه.. وقال الشاعر في عدي:

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل      لدن شاب حتى مات في الخير راغبا

قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به      ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة من إبله فتهبها وتعطيها للناس، فقال لها أبوها: يا بنية إن الغويين إذا اجتمعوا في المال أتلفاه فيما أن أعطي وتمسكي وإما أن أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء. فقالت والله لا أمسك أبدا. قال وأنا لا أمسك أبدا، قالت فلا نتجاوز، فقاسمها ماله وتباينا.. وحكي أن أمه كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تحبس شيئاً تملكه، وهي عتبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن تسألها، فقالت دونك الصرمة فخذها فوالله لقد عضني من الجوع مالا أمنع بعده سائلا أبدا.. ثم أنشأت تقول:

لعمري لقد ما عضني الجوع عضه      فأليت أن لا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفني      فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع

فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم      سوى عدلكم أو عدل من كان معانا

وهل ما ترون اليوم إلا طبيعة      وكيف بتركي يابن أم الطبايعا؟

فقد اكتنفته الجود من أمه وأبيه.. وقالت امرأته النوار: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض واغبر أفق السماء وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة فأيقنا بالهلاك، فوالله إني لفي ليلة صبرية بعيدة الطرفين إذ تضاعى صبيتنا جوعا، عبد الله وعدي وسفانة، فقام إلى الصبيين وقمت إلى الصبية فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل وأقبل يعلني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت، فلما تغورت النجوم إذا شيء قد رفع

كسر البيت فقال من هذا فقالت جاريتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاونون من الجوع عواء الذئب فما وجدت معلولا إلا عليك أبا عدي، فقال اعجلهم فقد أشبعك الله وإياهم فأقبلت تحمل اثنين ويمشي إلى جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رثالها، فقام إلى فرسه فوجا لبتها بمدية فخرت ثم كشط الجلد ودفع المدينة إلى المرأة وقال: شأنك. فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يأتيهم بيتاً بيتاً ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا، والتف في ثوبه ناحية ينظر إلينا والله إن ذاق منها مزعة، وإنه لأحوج إليها منا فأصبحنا وما على الأرض منها إلا عظم وحافر فأنشأ يقول:

مهلا نوار أقلي اللوم والعدلا      ولا تقول لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لشيء كنت مهلكه      مهلا وإن كنت معطي العنس والجملا

يرى البخيل سبيل الماء واحدة      إن الجواد يرى في ماله سبلا

ولم يكن يمسك شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه فإنه كان لا يوجد بهما.. وذكر الحريري أن عقيلاً تمثل بقول حاتم: شنشنة أعرفها من أخزم.

4 - ويروى أن الحكم بن أبي العاص خرج ومعه عطر يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يجتمع إليها الناس كل سنة، فمر في طريقه بحاتم بن عبد الله الطائي، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت، ثم دعاهم إلى الطعام فأكلوا ولما فرغوا من الطعام طيبتهم الحكم من طيبه.

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام ربع الطريق طعمة لهم، لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عنده ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بني لام، فوضع حاتم سفرتة وقال: اطعموا حياكم الله! فقالوا: من هؤلاء الذين معك يا حاتم؟ قال هؤلاء جيرانني. قال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا! قال له: أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته. فقالوا: لست هناك! وأرادوا أن يفضحوه، ووثبوا إليه وتناول سعد حاتم، فأهوى له حاتم بالسيف، وأطار أرنية أنفه، ووقع الشر حتى تجاوزوا ثم قالت بنو لام لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك، ثم وضعوا تسعة أفراس رهناً ووضع حاتم فرسه رهناً عند رجل من كلب وخرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة. وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصر الذي بينهم وبينه فجمع رهطه من بني حية، وقال: يا بني حية إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مماجدته، فقال رجل منهم: عندي ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء آدماء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدحج لا يرى منه إلا عيناه، وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمتم أن أبي قد مات وترك خيراً كثيراً، فعلى كل خمر ولحم أو

طعام ما أقاموا في سوق الحيرة، ثم قام إياس فقال: على مثل جميع ما أعطيتكم كلكم - وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا.

وذهب حاتم إلى ابن عمه وهم بن عمرو، وكان مصارماً له لا يكلمه فقالت له امرأته: أي وهم، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع. فقال: ما لنا ولحاتم! أثبتني النظر. فقالت: ها هو. قال: ويحك! هو لا يكلمني، فما جاء به إلي؟ ثم نزل حتى سلم عليه فرد سلامه وحياه ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرت على حسبك وحسي. قال في الربح والسعة، هذا مالي وعدته تسعمائة بغير فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد.

ثم إن إياس بن قبيصة قال لقومه: احملوني إلى الملك، وكان به نقرس، فحمل حتى أدخل عليه فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن! فقال النعمان: وحياك إلهك. فقال إياس: أتمد أختانك بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة! أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين لم يشعروا أن بني حية بالبلد؟ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دمًا فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له: يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك. وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه فقال: انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيتكم مالي تبذرونه وما أطيق بني حية.

فخرج بنو لام إلى حاتم وقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا. قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم، فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا: قبحها الله وأبعدها! فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس.

5 - ولما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طيء فريقاً من جنده، يقدمهم على عليه السلام، فرع عدي بن حاتم الطائي - وكان من أشد الناس عداء لرسول الله - إلى الشام فصبح على القوم، واستاق خيلهم ونعمهم ورجاهم ونساءهم إلى رسول الله.

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم، فقالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب المرافد. فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب! فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الدمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشي السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً، أنا بنت حاتم الطائي!.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه. خلوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق. ثم قال: "ارحموا عزيزاً ذل، وغنياً افتقر، وعالمًا ضاع بين جهال". وامتن عليها بقومها فأطلقهم تكريماً لها.

فاستأذنته في الدعاء له، فأذن لها. وقال لأصحابه: اسمعوا وعوا. فقالت: أصاب الله برك مواعده، ولا جعل لك إلا لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها عليه.

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدي وهو بدومة الجندل، فقالت له: يا أخي إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله. فإني قد رأيت هدياً ورأيت سيغلب أهل الغلبة. ورأيت خصلاً تعجبني، رأيت يهيب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزال في عز ملكه، فقدم عدي إلى رسول الله فأسلم، وأسلمت سفانة!.

- 6 - ويروى أن عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيء في دماء حملها عن قومه، فأسلموه فيها، وعجز عنها، فقال: والله لآتين من يحملها عني. وكان شريفاً شاعراً شجاعاً.

فلما قدم عليه قال: إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرت أهلي، وكنت أملّي، فإن تحملتها فرب حق قد قضيتها، وهم قد كفيته، وإن حال دون ذلك حاتم لم أذمم يومك، ولم أياس من غدك، ثم أنشأ يقول:

حملت دماء للبراجم جمة

فجئتك لما أسلمني البراجم

وقالوا سفاهاً: لم حملت دماءنا

متى آتته فيها يقل لي مرحباً

فيحملها عني، وإن شئت زادني

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء

ينادين: مات الجود معك فلا ترى

وقال رجال: أنهب العام ماله

ولكنه يعطى من أموال طيء

فيعطى التي فيها الغنى وكأنه

بذلك أوصاه عدي وحشرج

وسعد وعبد الله تلك القماقم

فقال له حاتم: إني كنت لأحبن مثلك من قومك، هذا مرباعي من مغارة علي بن تميم حذه وافرا، فإن وفي بالحمالة، وإلا كملتها لك، وهو مائنا بعير سوى نبيها وفصالها، مع أي لا أحب أن تؤبس قومك بأموالهم.

فضحك أبو جليل، وقال: أي بعير دفعته إلي، وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء، فدفعتها إليه وزاده مائة بعير فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه، فقال حاتم في ذلك:

أتاني البرجمي أبو جبيل  
فقلت له: خذ المربع منها  
على حال ولا عودت نفسي  
فخذها إنها مائنا بمير

لهم في حملته طويل  
فإني لست أرضى بالقليل  
على علاتها علل البخيل  
سوى الناب الرذية والفصيل

فلا من عليك بها، فإني  
فأب البرجمي وما عليه  
يجر الذيل ينفض مذرويه

رأيت المن يزرى بالجميل  
من أعباء الحمالة من فنيل  
خفيف الظهر من حمل ثقيل !

7 - وقالت ماوية امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء وراحت الإبل حدبا حدابير، وضنت المراضع على أولادها، فما تبض بقطرة، وحلقت ألسنة المال، وأبقنا بالهلاك. فوالله أنا لفي ليلة صنبر، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تضاغى صبيتنا جوعاً: عبد الله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبين، وقمت أنا إلى الصبية، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت.

فلما تمورت النجوم، إذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد. فقال حاتم: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء الذئاب، فما وجدت معلولاً إلا عليك يا أبا عدي. فقال: أعجلهم فقد أشبعك الله!.

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة، كأنها نعامة حولها رثالها، فقام حاتم إلى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر. ثم كشطه ودفع المدية إلى المرأة، فقال لها: شأنك! فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل. ثم جعل يمشي الحي يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول: هبوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا والتفح وجلس في ناحية ينظر إلينا. فوالله إن ذاق منه مزعة وانه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم وحافر، فأنشأ حاتم يقول:

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا  
ولا تقولي لمال كنت مهلكه

مهلا وإن كنت أعطي السهل والجبلا  
يرى البخيل المال واحدة

ولا تقولي لشيء فات ما فعلا  
إن الجواد يرى في ماله سبلا

8 - ولما تزوج حاتم ماوية، وكانت من أحسن النساء، لبثت عنده زمناً ثم إن ابن عم له يقال له مالك قال لماوية: ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنه، ولئن لم يجد ليتكلفن، ولئن مات ليركن ولده

عيالا على قومه، طلقتي حاتماً وأنا أتزوج بك، فأنا خير لك منه وأكثر مالاً، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك. فقالت ماوية: صدقت إنه لكذلك فلم يزل بها حتى طلقت حاتماً.

وكانت النساء أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية. وكان طلاقهن أمهن يحولن أبواب بيوتهن إن كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب، وإن كان الباب قبل اليمن جعلته قبل الشام، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقتة فلم يأتمها.

فأتى حاتم فوجدها قد حولت باب الخباء فقال لابنه: يا عدي ما ترى أمك؟ ما عدا عليها! قال: لا أدري غير أنها غيرت باب الخباء، وكأنه لم يلحن لما قال. فدعاه فهبط به بطن واد.

وجاء قوم فترلوا على باب الخباء، كما كانوا يتزلون فتوافي خمسون رجلاً فضاقت بهم ماوية ذرعاً، فقالت لجاريتهما: اذهبي إلى مالك فقولي له إن أضيفاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً فأرسل إلينا بنات نقرهم ولبن نعبقهم.

وقالت لجاريتهما: انظري إلى جبينه وفمه فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه وإن ضرب بلحييه على زوره فارجعي ودعيه.

فلما أتت مالكاً وجدته متوسداً وطبا من لبن، فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت، إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه، فأدخل يده في رأسه وضرب بلحييه على زوره، فقال لها: أفرئي عليها السلام، وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتماً من أجله. فما عندي من كبيرة، قد تركت العمل، وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلاها، وما عندي لبن يكفي أضيف حاتم.

فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه، وأعلمتها بمقالته، فقالت لها: ويليك ائتي حاتماً فقولي له: إن أضيفك قد نزلوا الليلة بنا، ولم يعلموا بمكانك، فأرسل إلينا بنات ننحرها ونقرهم، ولبن نسقهم، وإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك.

فأتت الجارية حاتماً فصرخت به، فقال حاتم لبنيك، قريباً دعوت، فقالت: إن ماوية تقرأ عليك السلام، وتقول لك: إن أضيفك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسل إليهم بنات ننحرها لهم ولبن نسقهم. فقال: نعم وأبي! ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنتين من عقاليهما، ثم صاح بهما حتى أتى الخباء، فضرب عراقبيهما، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء.

- 9 -

وكانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكمال، وحسب ومال، فألت ألا تزوج نفسها إلا من كريم، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه، فتحامها الناس حتى انتدب إليها زيد الخيل، وحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة الطائيون، فاتحلوا إليها.

فلما دخلوا عليها قالت مرحبا بكم، ما كنتم زوارا، فما الذي جاء بكم؟ قالوا: جننا زوارا خطابا، قالت أكفاء كرام، ثم أنزلتهم وفرقت بينهم وأسبغت لهم القرى، وزادت فيه.

فلما كان اليوم الثاني بعث بعض جواريتها متنكرة في زي سائلة تتعرض لهم، فرفع إليها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منهما، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته، وحمل إليها جميع ما حمل إليه.

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها، فقالت ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره، فابتدر زيد وأنشأ يقول:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي      عند الطعان إذا ما احمرت الحدق  
وجاءت الخيل محمرا بوادرها      بالماء يسفح من لباتها العلق  
والجار يعلم أنني لست خاذلة      إن ناب دهر لعظم الجار معترق  
هذا النشاء، فإن ترضى فراضية      أو تسخطي فإلى من تعطف العنق؟

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنا أكرم أحسابا، وأشهر أفعالا من أن نصف أنفسنا لك، أنا الذي يقول فيه الشاعر:

إلى أوس بن حارثة بن لأم      ليقضي حاجتي ولقد قضاها  
فما وطئ الحصا مثل ابن سعدى      ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأنا الذي عقت عقيقته، وأعتقت عن كل شعرة فيها عنه نسمة، ثم أنشأ يقول:

فإن تنكحي ماوية الخير حاتما      فما مثله فينا ولا في الأعاجم  
فتى لا يزال الدهر أكبر همه      فكاك أسير أو معونة غارم  
وإن تنكحي زيدا ففارس قومه      إذا الحرب يوماً أقعدت كل قائم  
وإن تنكحيني تنكحي غير فاجر      ولا جارف جرف العشيرة هادم  
ولا متق يوماً إذا الحرب شممت      بأنفسها نفسي كفعل الأثائم  
وإن طارق الأضياف لاذ برحله      وجدت ابن سعدى للقرى غير عائم  
فأى فتى أهدى لك الله فاقبلي      فإننا كرام من رؤوس أكارم

وأنشأ حاتم يقول:

أماوي قد طال التجنب والهجر      وقد عذرتني في طلابكم عذر

أماوي إن المال غاد ورائح  
أماوي إني لا أقول لسائل  
أماوي إما مانع فمبين  
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى  
أماوي إن يصبح صداي بقفرة  
ترى إن ما أنفقت لم يك ضائري  
أماوي إني رب واحد أمه  
وقد علم الأقوم لو أن حاتماً  
أماوي إن المال مال بذلته  
وإني لا آلو بمالي صنيعة  
يفك به العاني ويؤكل طيبا  
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتي  
غنيا زمانا بالتصعلك والغنى  
فما زادنا بأواً على ذي قرابة  
وما ضر جاراً ياابنة القوم فاعلمي  
بعيني عن جارات قومي غفلة  
ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
إذا جاء يوماً: حل في مالنا النزر  
وإما عطاء لا ينهه الزجر  
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
من الأرض لا ماء لدي ولا خمر  
وأن يدي مما بخلت به صفر  
أخذت فلا قتل عليه ولا أسر  
أراد ثراء المال كان له وفر  
فأوله شكر وآخره ذكر  
فأوله زاد وآخره نخر  
وما إن يعريه القداح ولا القمر  
شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر  
وكلا سقانه بكأسيهما الدهر  
غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر  
يجاورني ألا يكون له ستر  
وفي السمع مني عن أحاديثها وقر

فقلت أما أنت يا زيد فقد وترت العرب، وبقاؤك مع الحرّة قليل، وأما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر،  
والدخول عليهن شديد، وأما أنت يا حاتم فمرضي الأخلاق، محمود الشيم، كريم النفس، وقد زوجتكَ  
نفسى .